مهرجان القراءة للجميع / مكتبة الأسرة ٢٠٠٢
الأعمال الفكرية

رشاد كامل

الصحافة.. والثورة
ذكريات.....ومذكرات



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٤

أسرة المخرج / إبراهيم الصحن

القاهرة

الصحافة.... والثورة

ذكريات.... ومذكرات

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : كاريكاتير

التقنية : حبر شينى على ورق

المقاس : ٢٥ ×٣٥ سم

عبد السميع عبد الله

فنان مصرى ورائد من رواد فن الكاريكاتير، يعد استاذ فن الكاريكايتر فى مدرسة روز اليوسف ، تعلم على يديه أجيال من فنانى الكاريكاتير أثناء عمله فى جريدة الجمهورية ومجلة روزاليوسف ودار الهلال ، ومن أبرز تلاميذه الفنانين ماهر دواد ، نبيل السلمى ، شريف عليشى .. وآخرين يفوقون الحصر .

من أهم مميزات الفنان عبد السميع عبد الله إنه صاحب موقف سياسى ، وكان يكتب تعليقات كاريكاتيراته بنفسه ، على عكس فنانى مدرسة الأخبار ، واهتم إلى جانب كونه رسام كاريكاتير بالرسم للأطفال ، (مجلة سمير) وأنجز العديد من كتب الأطفال ، إلى جانب كتابته للرواية والمسرح وقراءة التراث العربى .

محمود الهندى

الصحافة.... والثورة

ذكريات.... ومذكرات

رشاد كامل



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢
مكتبة الأسـرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
سلسلة الأعمال الفكرية

الصحافة... والثورة

ذكريات... ومذكرات

رشاد كامل

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

الفنان : صبرى عبدالواحد

المشرف العام :

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص. ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «**مكتبة الأسرة**» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ **سوزان مبارك**..

د. سمير سرحان



قبل أن تقرأ

مأزق لا ينتهى تعيشه الصحافة!

ومأزق الصحافة - أمس واليوم وغداً - إنها إذا أرضت القارىء وانحازت له أغضبت الحكومة!

وإذا انحازت الصحافة للحكومة تهلل لانجازاتها غضب القارىء واتهمها بالنفاق!

باختصار شديد عاشت الصحافة - ولا تزال - أصعب مأزق: الحكومة والقارىء غير راضيان عنها، ويتربصان بها.

ومع ذلك فلا أحد ينكر دورها سواء الحكومة أو القارىء!

وليس سراً ذلك الدور العظيم والجهد الذى لعبته الصحافة المصرية فى التمهيد لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

لا أحد ينسى لـ «روزاليوسف» دورها المجيد والعظيم لكاتبها القدير اللامع «إحسان عبد القدوس» فى حملة الأسلحة الفاسدة التى شابت معركة فلسطين ١٩٤٨.

ولا أحد ينسى جريدة «المصرى» ورئيس تحريرها الكاتب الكبير «أحمد أبو الفتح» ومقالاته النارية فى مهاجمة الفساد.

كما لا ينسى أحد احتضان صحيفة «المصرى» لعشرات الأقلام الوطنية التى كتبت مقالات من نار ونور ضد الظلم والطغيان. فى صحف ومجالات عديدة. منها: «اللواء الجديد» و«الكاتب» و«الملايين» و«الجمهور المصرى» و«الدعوة» و«الاشتراكية».. وغيرها!

ولم تهدأ المقالات النارية والساخنة إلا بقيام الثورة !
طوال الأسابيع القليلة التى تلت ٢٣ يوليو لم يكن معروفاً للشارع المصرى أو العربى من هو الرجل الثانى فى الحركة بعد اللواء «محمد نجيب» لسبب بسيط هو أن «نجيب» قد احتل واستولى على عقول وقلوب الناس بالكامل ومنذ اللحظة الأولى !
لكن الأمر لم يكن كذلك داخل تنظيم «الضباط الأحرار» فقد كان الكل يعرف أن البكباشى «جمال عبد الناصر» هو رئيس التنظيم ومؤسسه أيضاً وعقله المفكر والمدبر !
وابتداء من ١١ أكتوبر ١٩٥٢ بدأ إحسان عبد القدوس رئيس تحرير روزاليوسف فى كتابة سلسلة مقالات تحت عنوان «كيف نريد أن تحكم مصر» وفى المقالة الرابعة له كان ينهيها على النحو التالى، وهو ما لفت الانتباه لها :
«وقد كنا نتساءل قبل حركة الجيش عن زعيم جديد للشعب، وعن قائد للثورة وعن رجل يستطيع أن يقف أمام الملك، وكان الرجعيون لا يؤمنون بأن هذا الرجل يمكن أن يوجد أو يظهر من بين صفوف الشعب.. ولكن ظهر «محمد نجيب» وظهر «جمال عبد الناصر» وغيرهما.. والشعب الذى ظهر من بينه هؤلاء القواد يستطيع أن يظهر من بينه أكثر من رئيس جمهورية.. وثقوا بالشعب».
ولم يتصور أحد دلالة إشارة إحسان ومغزى ذكره لاسم «جمال عبد الناصر» فى نهاية مقاله، ولكن بعد أسبوعين اثنين فقط كتب إحسان عبد القدوس برواذاً بعنوان «الرجل الثانى»، عن جمال عبد الناصر، قال فيه :
«أصبح معروفاً أن الرجل الثانى فى الدولة بعد الرئيس «محمد نجيب» هو البكباشى «جمال عبد الناصر».
وجمال عبد الناصر هو رئيس جماعة الضباط الأحرار التى قامت بحركة الجيش وإن كان هو لا يعترف بهذه الرئاسة. وقد عرف - رغم

شبابه - بالهدوء الشديد وطول البال وعمق التفكير والذكاء المفرط، حتى أنه استطاع أن يضلل جميع ضباط المخابرات ورجال البوليس السياسى فى جميع العهود المظلمة التى سبقت الحركة.. وهو محل ثقة جميع ضباط الجيش على اختلاف نزعاتهم، وأثبتت الشهور التى أعقبت الحركة أنه يستطيع دائماً أن يحقق أهداف العهد الجديد دون ضجة ودون عنف.. وقد زادت المسئوليات الملقاة على عاتق الرئيس محمد نجيب زيادة كبيرة حتى أصبح من الضرورى أن يقوم الرجل الثانى بعده ببعض هذا العبء وأن يتحمل بعض هذه المسئوليات أمام الشعب.. وينتظر أن تقع تطورات كبيرة فى بناء الدولة ابتداء من سبتمبر القادم.

انتهى ما كتبه إحسان (فى روزاليوسف ١٧ نوفمبر ١٩٥٢) وبعد أسبوع بالضبط خرجت مجلة «الاثنين والدنيا» وعلى صفحتها رقم ٢٤ برواز صغير بعنوان «شخصية الأسبوع» يتضمن رسماً كاريكاتورياً لجمال عبد الناصر وكتبت تقول عنه ما يلى:

«الرجل الذى جعل من رأسه مقر قيادة الحركة، وجعل من أعصابه خطوط شبكة مواصلاتها، وجعل من نور عينيه أنواراً كشافة تبدد الظلام فكان البطل الثانى فى المعركة.. شعلة من الذكاء والدهاء، ويستطيع إذا أراد أن يبدو كتلة من الغباء والانطواء.. وهكذا كان يعمل فى صمت.. ويرتب فى هدوء.. ويضفى على عمله وترتيبه سحباً كثيفة من الغباء، ضللت جميع العيون والآذان والعقول التى حاولت أن تعرفه وتكتشفه!

يشهد له الجميع بالقدرة على التحكم فى أعصابه، وفى بريق عينيه وفى توجيهات قلبه، وعاش فى الجيش كمحطة الإذاعة السرية يستمع إليها الجميع ولا يهتدى إليها أحد.. وأخيراً جاء اليوم الموعود.. وأنه بحث الخطة السرية للجيش بالخطة العلنية لمصر. وظل الصوت يدوى ويعلو وعرفه الجميع وأحبه الجميع، ولكن ظل صاحب الصوت يعمل

من وراء ستار كثيف لأن دوره فى الحركة يفرض عليه أن يكون دائماً خط الدفاع الثانى لقوات التحرير».

وفى النصف الثانى من عام ١٩٥٣ بدأ جمال عبد الناصر نشر خواطره تحت عنوان «فلسفة الثورة».

كانت الحلقات تنشر فى مجلة «آخر ساعة» التى كان الأستاذ «محمد حسنين هيكل» يرأس تحريرها.

كتب جمال عبد الناصر فى تقديمه لـ «فلسفة الثورة» يقول: «إن هذه الخواطر عن فلسفة الثورة، ليست محاولة لتأليف كتاب.. ولا هى محاولة لشرح أهداف ثورة ٢٣ يوليو وحوادثها.. إنما هى شىء آخر تماماً.. إنها أشبه ما تكون بدورية استكشاف!! إنها محاولة لاستكشاف نفوسنا، لكى نعرف من نحن وما هو دورنا فى تاريخ مصر المتصل الحلقات.. ومحاولة لاستكشاف الظروف المحيطة بنا فى الماضى والحاضر، لكى نعرف فى أى طريق نسير.. ومحاولة لاستكشاف أهدافنا والطاقة التى يجب أن نحشدها لنحقق هذه الأهداف»..

باختصار شديد كانت «فلسفة الثورة» على حد تعبير «جمال عبد الناصر» هى «مجرد دورية استكشاف فى الميدان الذى نحارب فيه معركتنا الكبرى من أجل تحرير الوطن من كل الأغلال».

كانت هذه هى المرة الأولى التى يقرأ فيها الناس فى مصر وخارجها ملامح من رؤية جمال عبد الناصر لما يدور حوله من أشياء وأحداث!! فى تلك الأيام القلقة والمقلقة كانت هناك أشياء ملفتة للانتباه فى العلاقة بين الصحافة ورجال الثورة.

خرجت روزاليوسف صباح ١١ مايو ١٩٥٣ وعلى صفحتها الثالثة رسالة خطيرة كتبتها السيدة الجليلة «فاطمة اليوسف» إلى «جمال عبد الناصر» ثم رد من جمال عبد الناصر نشر فى نفس العدد.

قالت السيدة «فاطمة اليوسف» تخاطب «جمال عبد الناصر»:

تحية أزكى بها شبابك الذى عرضته للخطر، وجهدك الذى تنفقه من أجل هذا الوطن.

تحية من سيدة عاصرت الحوادث واعتصرتها التجربة.. أنفقت عمرها تتأمل الوجوه القديمة حتى كفرت بكل وجه يحمل ملامح القدم، فلا يسعدها اليوم شيء كما يسعدها أن ترى الوجوه الجديدة تزحف، وتنال فرصتها الكافية لتحاول أن تسير بهذا الوطن بأسرع مما كان يسير.

إنني أعرف الكثير عن ساعاتك التي تنفقها عملاً بغير راحة، ولياليك التي تقطعها سهراً بلا نوم.. وتدقيقك البالغ في كل أمر بغية أن تصل فيه إلى وجه الصواب. ولكنك - وحدك - لن تستطيع كل شيء، ولا بالمعونة الخالصة من إخوانك، وأصدقائك، وكل الذين تعرفهم وتثق بهم. فلابد لك من معونة الذين لا تعرفهم أيضاً، الذين يعيشون في جو غير جوك، ويتأثرون بعوامل غير التي تؤثر في أصدقائك، ويمرون بتجارب كثيرة منوعة لا يمكن أن يمر بها واحد من الناس، ولا عشرة، ولا ألف!!

إنك باختصار - في حاجة إلى الخلاف.. تماماً كحاجتك إلى الاتحاد. إن كل مجتمع سليم يقوم على هذين العنصرين معاً، ولا يستغني بأحدهما عن الآخر. الاتحاد للغايات البعيدة والمعاني الكبيرة والخلاف للوسائل والتفاصيل، انظر إلى الأسرة الواحدة في البيت الواحد، قد تراها متماسكة متحابة متضامنة.. ولكن كل فرد فيها يفضل نوعاً من الطعام، ويتجه إلى طراز من العمل، ويروق له لون من الثياب. ثم انظر إلى أسرة الوطن الكبير - أي وطن كبير - تجد هذا التباين والخلاف موجوداً بينهم في أدق دقائق الحياة، وفي طريقة تذوق الحياة ذاتها.

وأنت تؤمن بهذا كله لاشك في ذلك وقد قرأت لك غير بعيد حديثاً تطالب فيه بالنقد، وبالآراء الحرة النزيهة ولو خالفتك. ولكن.. أتعتقد أن الرأي يمكن أن يكون حراً حقاً وعلى الفكر قيود؟ وإذا فرض وترفقت الرقابة بالناس، واستبدلت حديدها بحرير، فكيف يتخلص صاحب الرأي من تأثيرها المعنوي؟ يكفي أن توجد القيود كمبدأ

ليتحسس كل واحد يديه.. يكفي أن يشم المفكر رائحة الرقابة.. وأن يرى بعض الموضوعات مصونة لا تمس، ليتكبل فكره، وتتردد يده، ويصبح أسيراً بلا قضبان.

وقد قرأت لك أيضاً - أو لبعض زملائك - أنكم تبحثون عن كفايات، وأنكم تريدون طرازاً غير المنافقين الموافقين ولكن.. كيف يبرز صاحب الكفاية كفايته؟ أليس ذلك بأن يعبر عن نفسه.. يعبر عنها بصراحة ودون تحوير؟ إن مجرد شعور صاحب الكفاية مخطئاً أو مصيباً - بأن هناك شيئاً مطلوباً وشيئاً غير مطلوب يجعله إما أن يبعد بنفسه خشية ألا يوافق المطلوب، وإما أن يقترب بعد أن يهيىء نفسه ليتلاءم مع ما يعتقد أنه مطلوب، فتضيع الفائدة منه في كلتا الحالتين.

أترى.. إلى أي حد تفسد هذه القيود الجو؟ أترى إلى هذا الستار الكثيف الذي تقيمه بين الحاكم وبين ضمائر الناس؟..

إن الناس لابد أن يختلفوا لأنهم مختلفون خلقاً ووضعاً وطبعاً. وقد دعت الظروف إلى إلغاء الأحزاب، وإلى تعطيل الكثير من وسائل إبداء الرأي. وقد أصبح للعهد الجديد شعار واحد وألوان واحدة، فلم يبق شيء يمكن أن يتنفس فيه النقد وتتجاوب فيه وجهات النظر غير الصحف، وأسنة الأقلام، وتفكير المواطنين.

على أني أعرف الدوافع لإبقاء هذه القيود، أنت تخاف أنياب الأفاعي وفئران كل سفينة. أنت تخاف من إباحة الحريات أن يستفيد منها الملوثون المغرضون.. ولكن صدقني أن هذا النوع من الناس لا يكون لهم خطر إلا في ظل الرقابة وتقييد الحريات. إن الحرية لا يستفيد منها أبداً إلا الأحرار والنور لا يفزع إلا الخفافيش.. أما الهمسات في الظلام، والبسمات التي يبطنها النفاق والمدائح التي يمتزج بها السم الزعاف.. فلا شيء يبطل مفعولها إلا النور والهواء الطلق والرأي العام النابه الحريص.

ولا تصدق ما يقال من أن الحرية شيء يباح في وقت ولا يباح في وقت آخر، فإنها الرئة الوحيدة التي يتنفس بها المجتمع ويعيش. والإنسان لا

يتنفس في وقت دون آخر.. إنه يتنفس حين يأكل، وحين ينام، وحين يحارب أيضاً.

إنك بكل تأكيد تضيق ذرعاً بصحف الصباح حين تطالعها فتجد أنها تكاد تكون طبعة واحدة لا تختلف إلا في العناوين. حتى بعض حوادث الأقاليم المحلية يصدر بها أحياناً بلاغ رسمي واحد.. والناس كلهم يحسون ذلك ولا يرتاحون إليه.

وقد قلت مرة إنك ترحب بأن تتصل بك أية جريدة إذا أحست الضيق. ولكن.. أليس في هذا ظلم لك، وللصحف، وللقضايا الكبرى التي تسهو عليها؟.. ألم أقل إنك لن تستطيع وحدك كل شيء؟.. لقد أقدمت - وفي شبابك الباكر - على تجارب هائلة.. خضت بعضها ورأسك على كفك لا تبالي مصيره، وليس كثيراً أن تجرب إطلاق الحريات.

إن التجربة كلها لا تحتاج إلا إلى الثقة في المصريين..

وأنت أول من تجب عليه الثقة في مواطنيه.

«فاطمة اليوسف»

■■

انتهى مقال أو خطاب السيدة الجليلة «فاطمة اليوسف»، ولكن المهم إنه في وسط هذا المقال نشر برواز وبداخله كلمات قليلة تقول «اطلع البكباشي جمال عبد الناصر» على هذا المقال وقد كتب عليه رداً ننشره في الصفحة التالية:

كانت كلمات البرواز تحمل قدراً كبيراً من الذكاء والدلالة التي لا تخفى على ذكاء القارئ أيامها، فقد قرأ «عبد الناصر» خطاب فاطمة اليوسف قبل نشره على القراء وكتب الرد الذى نشر مع الخطاب في نفس العدد من «روزاليوسف».

وكان رد جمال عبد الناصر على السيدة «روزاليوسف» على النحو التالي:

اما تحيتك فإنى اشكرك عليها وأما تجربتك فإنى واثق أنها تستند على دروس الحياة .
وأما تقديرك لما ابذله من جهد فإنى أشعر بالعرفان لإحساسك به . وأما رأيك فى أنى لا استطيع أن افعل وحدى كل شىء فإن هذا رأيى أيضاً ورأى كل زملائى من الضباط الأحرار نحن الذين قامت حركتنا على تنظيم كامل عاشت فيه الفكرة وتوارت الأشخاص وقام كل فرد فى ناحيته بأقصى ما يستطيع من جهد .
وأما إنى فى حاجة إلى كل رأى فقد أعلنت هذا ولن أمل تكرار إعلانه ليس من أجلى وإنما من أجل مصر .
وأما حاجتنا إلى الخلاف فى التفاصيل قدر حاجتنا إلى الاتحاد فى الغايات فأنا مؤمن به واثق إنه من أسس الحرية الصميمة بل من أسس النظام أيضاً .
وأنا أكره بطبعى كل قيد على الحرية وأمقت بإحساسى كل حد على الفكر على أن تكون الحرية للبناء وليس للهدم وعلى أن يكون الفكر خالصاً لله وللوطن . . ودعينى ألجأ إلى تجربتك كى تبقى الحرية للبناء ويبقى الفكر لله والوطن . . لا تخرج بهما شهوات وأغراض ومطامع عن هذه المثل إلى انقلاب مدمر يصيب مصالح الوطن المقدسة بأبلغ الأضرار .
لقد قلت أنت بنفسك إنك تعلمين أنى أخشى على موقف البلاد الصلب من إطلاق الحريات خشية أن يندس بين أمواجها دعاة الهزيمة والتفكك . لقد عبرت بهذا عن جزء مما أشعر . . واسمحى لى أن أضيف عليه شيئاً آخر . . هو أننى لا أخشى من إطلاق الحريات وإنما أخشى أن تصبح هذه الحريات كما كانت قبل ٢٣ يوليو سلعاً تباع وتشترى .
ونحن لا نريد أن يشترى الحرية غيرنا ، ومن يدرى فقد يكون بينهم أعداء للوطن يفرقون هذا الشعب الطيب الوديع الذى استغلت طيبته واستغلت وداعته واستغل قلبه المفتوح وغرر به دون ما أساس سليم

بصونه من التضليل - بما لا يجب أن يفرق فيه فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بالوطن.

ومع ذلك فأين هى الحرية التى قيدناها؟ أنت تعلمين أن النقد مباح وأننا نطلب التوجيه والإرشاد ونلح فى الطلب بل إننا نرحب بالهجوم حتى علينا إذا كان يقصد منه إلى صالح الوطن وإلى بناء مستقبله وليس إلى الهدم والتخريب ومجرد الإثارة.

ذلك لأننى أعتقد أنه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد أو من هو منزه عن الخطأ.

وبعد فإنى أملك أن أضع رأسى على كفى ولكننى لا أملك أن أضع مصالح الوطن ومقدساته هذا الوضع.

«جمال عبد الناصر»

■■

أنتهى رد «جمال عبد الناصر» على خطاب السيدة «فاطمة اليوسف»!

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد كان هناك الكثير من المفاجآت ولعل على رأسها هى دخول الأستاذ الكبير «محمد حسنين هيكل» رئيس تحرير مجلة «آخر ساعة» إلى هذه المساجلة والمناقشة حول حرية الصحافة، فكتب على صفحات آخر ساعة (١٣ مايو ١٩٥٣) بعد ٤٨ ساعة فقط من صدور «روزاليوسف» يقول:

كان مفروضاً أن أضع على فمى مائة قفل.

وكان مفروضاً أن أربط قلمى بمائة سلسلة.

وكان مفروضاً أن لا أعود إلى الحديث الصريح عن صحافة مصر، نزولاً على قرار مجلس التأديب الذى أحالتنى عليه نقابة الصحفيين ليحاسبنى على هذا الحديث الصريح عن صحافة مصر.

وكانت النقابة قد طلبت وقف الحملة مادام الأمر كله بين يدى مجلس التأديب وكان مجلس التأديب قد أقرها على ما طلبت وكنت قد نزلت على هذا القرار.

ثم حدث شيء عجيب، رأيت بعده أن أرفع يدى - فى أدب !! وأن أطلب من مجلس التأديب أن يسمح لى بأن أرفع الأقفال، وأنزع السلاسل !!

لقد طلعت السيدة الكبيرة، والصحفية الجليلة «فاطمة اليوسف» بخطاب مفتوح وجهته إلى البكباشي «جمال عبد الناصر»، وكان موضوع الخطاب المفتوح هو حرية الصحافة، والمطالبة برفع جميع القيود عليها !

ورد البكباشي «جمال عبد الناصر» على الخطاب المفتوح الموجه إليه بقوله بالحرف الواحد:

«أنا أكره بطبعي كل قيد على الحرية، وأمقت بإحساسى كل حد على الفكر على أن تكون الحرية للبناء وليست للهدم، وعلى أن يكون الفكر خالصاً لله وللوطن ودعينى ألجأ إلى تجربتك كى تبقى الحرية للبناء ويبقى الفكر لله والوطن لا تخرج بهما شهوات وأغراض ومطامع عن هذه المُثل إلى انفلات مدمر يصيب مصالح الوطن المقدسة بأبلغ الأضرار.

لقد قلت أنت بنفسك إنك تعلمين أنى أخشى على موقف البلاد الصلب من إطلاق الحريات خشية أن يدنس بين أمواجها دعاة الهزيمة والتفكك. لقد عبرت بهذا عن جزء مما أشعر به..

واسمحى لى أن أضيف عليه شيئاً آخر.. هو أننى لا أخشى من إطلاق الحريات وإنما أخشى أن تصبح هذه الحريات كما كانت قبل ٢٣ يوليو سلعاً تباع وتشترى.

ومع ذلك فأين هى الحرية التى قيدناها؟ أنت تعلمين أن النقد مباح، وأننا نطلب التوجيه والإرشاد ونلح فى الطلب بل إننا نرحب بالهجوم حتى علينا إذا كان يقصد منه إلى صالح الوطن وإلى بناء مستقبله وليس إلى الهدم والتخريب ومجرد الإثارة.

ذلك لأننى أعتقد أنه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد أو من هو منزه عن الخطأ.

وبعد فإني أملك أن أضع رأسي على كفي ولكنني لا أملك أن أضع مصالح الوطن ومقدساته هذا الوضع.»

وإلى هنا وينتهي بالنص ما قاله البكباشي جمال عبد الناصر!

■■

ألم يكن هذا هو ما قلته بالضبط وقدمت من أجله إلى مجلس تأديب؟ .. ألم يكن هذا ما قلته حين كتبت:

«إن أحد المسئولين قال لي إنه دهش حينما اطلع على كشف المصروفات السرية فوجده يضم أسماء عدد كبير من الصحفيين»!

ألم يكن هذا ما قلته حين تساءلت:

«هل تستطيع نقابة الصحفيين أن تذهب وتزأر كما تزأر الأسود دفاعاً عن حرية الصحافة بينما مجلس نقابتها، يسكت على هذا الوضع..

أي حرية للصحافة يمكن أن تثور من أجلها، فتقاوم طغيان حاكم، أو تحمل مشعلاً أمام ظلام؟».

ألم يكن هذا ما قلته حين ناديت:

«إنني كنت أتمنى لو أن نقابة الصحفيين واجهت أزمتها بكرامة وعزة، وقالت الحق على نفسها لتستطيع أن ترفع رأسها وتقذفه في وجوه الآخرين، وقدمت بيدها الدليل على استحقاقها للحرية قبل أن تثور عليه. إن أحداً لا يستطيع أن يعطينا الحرية.

إن الحرية لا تعطى كما تعطى المصروفات السرية.

والحرية لا تطلب استجداء وتسولاً.

إن الحرية كامنة في قلوب الأحرار رابضة على أسنة أقلامهم. ألم يكن هذا ما قلته حين رويت:

«لقد قيل لأحد المسئولين يوماً إن نقابة الصحفيين سوف تنظم حملة للمطالبة بحرية الصحافة فهل أعددتم رداً على هذه الحملة؟..

وقال المسئول:

- نعم.. أعددنا كشف المصروفات السرية منذ سنة ١٩٣٠ حتى اليوم، لقد كان هذا هو مقتل الحرية وعليه ينبغي أن تكون الثورة، وضده تكون انتفاضة العزة والإباء!!

ألم يكن هذا هو ما قلته؟! لقد قاله جمال عبد الناصر أيضاً.

وبعد..

هل سأجد «جمال عبد الناصر» مقدماً مثلي إلى مجلس التأديب في جلسته المقبلة؟!!

■■

وكان «هيكل» قد فتح النار على الصحافة المصرية وطالب بتطهيرها في مقال له بمجلة «آخر ساعة» بتاريخ (١٣ أغسطس ١٩٥٢) جاء فيه:

صاحبة الجلالة الصحافة، وأفراد بلاطها السعيد، يقومون هذه الأيام بدور غريب عجيب!

بعض أفراد هذا البلاط السعيد! استباحوا لأنفسهم مقعد النائب العمومي وجلسوا يوجهون الاتهام ذات اليمين وذات اليسار، ويحددون من الذى تعلق رقبته في حبل المشنقة، ومن الذى يكتفي بوضعه وراء القضبان!

إننى أعتقد - وأنا واحد من أفراد البلاط السعيد لصاحبة الجلالة - أننا نحن - أفراد هذا البلاط جميعاً - آخر من يحق لنا أن نصنع هذا، آخر من يحق لهم أن يستبيحوا لأنفسهم مقعد النائب العمومي موزع الاتهام.

آخر من يحق لهم شيء من هذا لسبب واحد.. هو أننا نحن أيضاً في حاجة إلى تطهير!

من سوء الحظ أننا - أفراد بلاط صاحبة الجلالة - نملك قوة هائلة نحاسب بها الناس، ولكن تمنع الناس من أن يحاسبونا.

ومن سوء الحظ أننا - أفراد صاحبة الجلالة - نملك أن ننقد الآخرين، ولكننا لا نسمح لأحد أن ينقدنا، لأننا نحن الذين نسيطر على ما يجب أن ينشر وما ينبغي ألا تراه عيون القراء!

إنى أقولها بصراحة - وأنا أعتقد أنها ستجلب لى متاعب الدنيا والآخرة:

إن علينا مسئولية كبرى فى كل هذا الذى صارت إليه الأحوال.

وقد بدأت مصر كلها تنادى بالتطهير وعلينا نحن أيضاً أن ننادى مع مصر بالتطهير، تطهير أنفسنا قبل تطهير الآخرين!

■■

ولم يكن «صلاح سالم» عضو مجلس قيادة الثورة بعيداً عن لعبة الصحافة، فقد كانت الصحافة تنشر له من حين لآخر مقالاً نارياً، ولعل المثير فى الأمر أن تنشر له مجلة «التحرير» (ابريل ١٩٥٣) مقالاً عن النقص الخطير فى «بلاط صاحبة الجلالة» جاء فيه قوله:

ومن منا لا يؤمن بالحرية الكاملة والتحرير وقد قامت حركة الجيش لتحمى الحرية التى سلبها الطغاة منا نحن الشعب.

إننا نطمع ونرجو أن نرى الصحافة فى بلادنا ممتلئة حيوية وإدراكاً عميقاً لأهداف الشعب لتنير السبيل له وللمسئولين.

نريد صحافة تنقد صباح مساء نقداً نزيهاً للبناء لا للهدم وخاصة فى هذه المرحلة التى نجتازها فى تاريخ بلادنا، نريد صحافة تؤمن إيماناً عميقاً بمثل وبمبادىء وتدافع عنها دفاعاً مخلصاً وتقول: لقد أخطأت أيها الوزير أو يافلان فى كذا وإنى أرى كذا وكذا. ونؤكد أننا نرجو ونتمنى أن نرى الحال كما صورته طالما أن هدفنا جميعاً هو الوصول إلى حلول عملية سليمة ترفع من شأن الشعب.

إننا لا نتصور أن الرقابة ستظل مفروضة على الصحافة إلى ما شاء الله لأنها منبر وبرلمان للشعب وركن هام من أركان بناء مجد كل أمة».

وفوجىء أحمد الصاوى محمد «رئيس تحرير الأهرام» بعموده المنشور يوم ١٢ يوليو ١٩٥٣، وقد حذف الرقيب أكثر من نصفه، وفى اليوم

التـالي كتب في بابه «ما قل ودل» يقـول : أريد أن أسأل الصـاغ صلاح سالم وزير الإرشاد عن رأيه في الرقيب المذعور الذى حذف أمس نصف مقال «ما قل ودل» !! أريد أن أسأله وهو الذى دعا من اليوم الأول إلى التعاون بين الحكومة والصحافة في ظل الحرية ، ماذا يقول في رقيبه الذى ارتعدت فرائصه من كلمة تقرر مبادىء الصحافة في العالم كله وعلى مرور الأيام ولا يمكن أن يخشاها أو يجزع منها عهد قوى شريف نظيف . . لقد قال لي البكباشي «جمال عبد الناصر» انتقدونا نحن نريد نقداً ولا نريد مدحاً !

ثم يختتم مقاله قائلاً : هذا هو الموضوع الذى عرض أمس على الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي ، فرحب بالنقد وأذن بالنشر ، وعلق عليه بخط يده بهذه العبارة بجندى شجاع مثله «آسف لتأجيل النشر أمس» وياليت الانتقاد البرىء البناء ، يكثر ويملأ يومياً صفحات الجرائد . . » .

ولكن الغريب في الأمر أن «صلاح سالم» عاد يوم ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ وفي المؤتمر الشعبى الذى أقامه مجلس قيادة الثورة في ميدان عابدين قال :

«اسمحوا لى وأنا وزير للإشاد أن أعلن بقوة وحزم وباسم قيادتكم أن الرقابة على الصحافة في داخل مصر ستظل قوية بتارة تضع سيفاً فوق كل رأس مخربة تريد أن تبلبل الأفكار وأن تشيع الفرقة والانهيار في صفوف الشعب . . وأننا سنطهر بقوة وعزم كل ركن من أركان هذه الدولة ولن ننساك في هذا المضمار ياصحابة الجلالة» !!

وكان الأستاذ «خالد محيى الدين» في قلب الصورة متابعاً ومشاهداً ومشاركاً أحياناً في رصد علاقة الثورة بالصحافة !

ولا يحتاج «خالد محيى الدين» إلى تعريف ، أو تقديم ، فتاريخه يسبقه ويتحدث عنه ، فالرجل كان من الستة الأوائل الذين شكلوا تنظيم الضباط الأحرار ، وكان عضو مجلس قيادة الثورة الذى استقال دفاعاً

عن الديمقراطية ، وكان أقرب الجميع - رغم يساريته - إلى قلب وعقل الزعيم جمال عبد الناصر .

وفي مذكراته المهمة «والآن أتكلم» محطات وومضات ذات دلالة بالغة الأهمية حول تلك العلاقة الشائكة والملتبسة بين الصحافة والثورة .

ولعل أول تلك المحطات هي قصة مجلة «التحرير» أول مجلة تصدرها الثورة بعد قيامها بأسابيع قليلة ، حيث يقول خالد محيي الدين :

" كان صاحب اقتراح إصدارها يوسف صديق الذى ألح (وربما بإيعاز من «حدتو») بأهمية أن يكون «لمجلس القيادة» مجلة تعبر عن رأيه في الأحداث ، وكُلف يوسف صديق بإصدار مجلة أسميت «مجلة التحرير» ، وتولى رئاسة تحريرها أحمد حمروش الذى جمع فيها العديد من الصحفيين اليساريين ، وكالعادة فإن الزملاء اليساريين كانوا يعشقون الألفاظ العالية الرنين والشعارات الساخنة ، وكانوا يتصورون أنهم بذلك يضعون الثورة أمام مسئولياتها ، وأمام التزاماتها السابقة ، وأمام برنامجها القديم «أهداف الضباط الأحرار» ، ناسين أن الدنيا قد تغيرت ، وأن الضباط الثائرين على الحكم القديم أصبحوا حكاماً ، وأن التأثير فيهم لا يكون بمثل هذه الحجة ولا بهذا التحدى . .

والنتيجة أنه - وبعد ثلاثة أعداد ساخنة للمجلة - أتى عبد الناصر وقال إن المجلة شيوعية ، وأنه يتعين تغيير رئيس التحرير . وأبعد حمروش واستُدعى ثروت عكاشة . .

قابل «عبد الناصر» ثروت عكاشة في حضورى ، وقال له بوضوح : ياثروت أنا عايزك تمسك «مجلة التحرير» ، ويمكن أن يكتب فيها كل من تشاء بشرط ألا يسيطر عليها الشيوعيون وتصبح مجلة شيوعية ، والحقيقة أن ثروت أصدر المجلة بشكل جديد ، ونشر فيها العديد من المقالات الممتازة عن الدستور وعن الديمقراطية ، وبهذا أصبحت «مجلة التحرير» لسان حال للجناح الليبرالي في الثورة .

وكتبت أنا فيها عدة مقالات عن العدالة الاجتماعية والاقتصادية ، وعن النقابات وحرية العمل النقابى ، ونجحت المجلة وزاد توزيعها ، واستمر

الأمر كذلك حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٣ عندما كتب ثروت مقالاً عن دوره في الثورة، وفيما يبدو أنه تحدث عن دوره كثيراً، وقلل من دور حسين الشافعي وصلاح سالم، وحدثت مشكلة، إلى درجة أن البعض قرر مصادرة العدد، وانتهى الأمر بأن أرسل المقال محل الخلاف إلى عبد الحكيم عامر الذى قرأه وقال إنه ليس فيه شيء يستحق المنع. وصدرت المجلة لتثير الكثير من الجدل والحساسيات، وأصدر وزير الإرشاد بياناً أعلن فيه أن «مجلة التحرير» لم تعد تعبر عن القوات المسلحة، ثم اجتمع مجلس الثورة ليقرر إخضاع المجلة كلية للرقابة، وبعدها تقرر إبعاد ثروت عن المجلة، وعندما عرف بالخبر اصطحبني إلى دار الهلال حيث كانت تطبع المجلة، وأمرنا - نحن الاثنين - بتكسير كل الصفحات التي تم جمعها من المجلة، وأحدث ذلك مشكلة أخرى، وغضب الزملاء في «مجلس القيادة» من تضامني مع ثروت ومساندتي له.

وانتهت المسألة بأن أرسل ثروت ليعمل ملحقاً عسكرياً في برن، ولكن ورغبة من بعض الإخوة في القيادة في الانتقام منه أرسل إلى هناك ملحق جوى - هو عمر الجمال - وكان أرقى رتبة من ثروت، وبهذا فقد ثروت كل دور هناك، وظل يلح حتى نقل ملحقاً عسكرياً في باريس، وهناك انغمس في مناخ الحياة الثقافية وأعد رسالة دكتوراه.

ثم ينتقل «خالد محيي الدين» إلى رصد العلاقة المتوترة والتي سادها القلق بين اللواء «محمد نجيب» و«جمال عبد الناصر» وخاصة بعد إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣، وكان اللافت للنظر تعيين «صلاح سالم» وزيراً للإرشاد القومي، حيث يقول «خالد محيي الدين» معلقاً على ذلك:

أبدى جمال، ومنذ اليوم الأول للثورة، حرصاً فائقاً على امتلاك علاقة وثيقة وحميمة بعدد من كبار الصحفيين مثل مصطفى وعلى أمين، محمد التابعي، هيكل، حسين فهمي، جلال الحمامصي.. فقد ركز

لجيب اهتمامه على الجهاز الأكثر سهولة والأكثر وصولاً إلى الجماهير العريضة، وهو الإذاعة.

وعندما بدأت المنافسة تحتدم صامتة أحياناً وصاخبة في أحيان أخرى، كان تولى صلاح سالم لوزارة الإرشاد القومي المشرفة على كل أجهزة الإعلام يمثل نجاحاً هاماً لعبد الناصر، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع نبرة الشكوى عند نجيب من أن خطبه لا تذاع بالقدر الكافي، ولا تعطى المساحة الكافية في الصحف.

كذلك حرص عبد الناصر على إصدار جريدة جديدة تكون لسان حال الثورة، وصدرت «مجلة التحرير» لكن كثافة الوجود اليسارى فيها، ثم التصادم مع ثروت عكاشة وحمروش جعلا عبد الناصر يتجه لإهمال «مجلة التحرير» وإصدار جريدة يومية هي «الجمهورية»، واختار لها رئيس تحرير لامعاً هو حسين فهمي، وكان حسين فهمي ذلك الحين واحداً من أقرب المقربين إلى عبد الناصر، وتولى السادات مسئولية الإدارة في «الجمهورية»، وكان عبد الناصر يتوجه كل مساء إلى دار «الجمهورية» ليراجع بنفسه المانشيتات والعناوين الرئيسية، ولعل هذا وحده يكفي للدلالة على مدى اهتمام عبد الناصر بالصحافة كوسيلة لمخاطبة الرأى العام.

ثم يروى «خالد محيي الدين» بعض ما شاهده عن قرب بحكم المسئولية فيقول:

«وإذا جاز لى أن أستطرد قليلاً في هذا الموضوع فإننى أعود لأؤكد على الاهتمام المبالغ فيه الذى أبداه عبد الناصر دوماً للصحافة، وقد ظل عبد الناصر طوال فترة حكمه حريصاً على أن يقرأ الطبعة الأولى من كل الصحف اليومية، ويراجعها بنفسه، ثم يصدر تعليمات فورية بأية ملاحظات يراها ليتم تعديل الطبعات التالية على أساسها. وعندما توليت مسئولية «دار أخبار اليوم» كان هناك موتوسيكل مخصص لإرسال أول خمس نسخ تصدر من الطبعة الأولى ليسرع بها إلى بيت عبد الناصر».

كما كان عبد الناصر يتابع باهتمام بالغ الصحف العربية ، وخاصة الصحف الصادرة في بيروت ، وكان يؤكد أنه يلمح من خلالها اتجاهات السياسة للدول المختلفة ، خاصة من الصحف التي كانت تمول سراً من بعض الدول العربية .
كما كان عبد الناصر حريصاً على قراءة ملخصات مترجمة ومعدة بعناية من الصحف العالمية الهامة ، وفي حدود تجربتي الشخصية سواء خلال عملي في جريدة «المساء» (٥٦-١٩٥٩) ، أو «أخبار اليوم» (٦٤-١٩٦٥) كان عبد الناصر يتصل بي عدة مرات كل يوم ، أو مرة على الأقل في اليوم ليعرف أهم الأخبار والتوجهات ، وليبدى رأيه وتعليماته في كل ما هو هام ، وباختصار كان افتقاد الحزب السياسي الجماهيرى حقاً ، دافعاً لأن يهتم عبد الناصر بالصحافة والتليفزيون والإذاعة كأدوات لتشكيل الرأى العام ، وتحقيق التواصل معه . "
انتهت شهادة خالد محيى الدين . . ولا تعليق ! !

■■

كان من الطبيعي أن تفرح الصحافة وتهلل لقيام الثورة ، فقد كانت الصحافة بكل ما تنشره من مقالات رأى وتحقيقات جريئة وكاريكاتير ساخر كمن يدعو للانقلاب والثورة على مساوىء ومفاسد العصر الملكي .
لقد أحست الصحافة - في لحظة ما ومعها الحق - أنها صاحبة الفضل والدور الرئيسي في نجاح الثورة بما قدمته .
وربما في نفس الوقت خشيت الثورة من هذا الدور المؤثر والفعال الذى لعبته الصحافة !
وفي الوقت الذى كانت تطمح فيه الصحافة إلى مزيد من الحرية ، راحت «الثورة» تقلص هذه المساحة من الحرية .
ووصل الصدام لمداه في أزمة مارس ١٩٥٤ ثم محاكمة أصحاب جريدة «المصرى» وإغلاقها بعد ذلك ، ثم حل مجلس نقابة الصحفيين في ابريل

١٩٥٤ بحجة أن بعض أعضائه كانوا يتقاضون مصاريف سرية !!
وسرعان ما اعتقل إحسان عبد القدوس.
وفى كل الحالات لم تكن الصحافة خصماً للثورة، ولا كانت الثورة خصماً للصحافة! وما أكثر سوء الفهم الذى غذاه البعض - على الجانبين - رجال الصحافة ورجال الثورة لكى تتسع مساحة العداء والخصومة والتوتر والقلق بين الجانبين.
وظل الحال هكذا طوال سنوات حكم الرئيسين جمال عبد الناصر (١٩٥٢ - ١٩٧٠) وأنور السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١)..
لقد أعطى السادات للصحافة حريتها وعاشت عصراً ذهبياً بعد حرب أكتوبر المجيدة، ولأول مرة تشهد مصر فى عصر السادات عودة الصحافة الحزبية التى كتبت ونشرت وانتقدت وهاجمت..
لكن «السادات» فى أواخر حكمه ضاق بذلك كله، فكانت حملة سبتمبر ١٩٨١ ثم حادث المنصة ١٩٨١.

■■

واختلف الحال تماماً مع مجىء الرئيس «محمد حسنى مبارك» تمتعت الصحافة بحرية لا نظير لها، وعادت الصحف الحزبية للصدور..
وشهدت صفحاتها معارك ومساجلات طالت الوزراء والمسئولين.
ولم يغضب الرئيس مبارك، ولم يضق صدره بالنقد ولم يعاقب كاتباً أو صحافياً كانت له رؤى أو رؤية تختلف معه كرئيس للجمهورية.
وشهدت مصر لأول مرة - بعد ثورة ١٩٥٢ - ظاهرة الصحف المستقلة التى تكتب ما تشاء وتهاجم من تشاء.
وكان اللافت للنظر أن الصحافة عندما تعرضت لحملة قاسية منذ سنوات وحاول البعض تكبيلها بالقيود. كان الرئيس مبارك على رأس من تصدوا لهذه القوانين.. ووقف ضدها حتى انتهت الحملة بانتصار حرية الصحافة.
لقد تحمل الرئيس «مبارك» ما لم يتحمله بشر من شطحات بعض الأقلام الصحفية. وأصحاب العنتريات التى ما قتلت ذبابة، ومقالات

البطولات الوهمية، لكنه مع سبق الإصرار والترصد لم يتراجع عن حرية الصحافة ولم يخطر بباله لحظة أن ندم على هذا المناخ من الحرية والديمقراطية.

■■

ومنذ عملي بالصحافة - في مجلة صباح الخير شتاء ١٩٧٦ - شغلتني هذه العلاقة التي صاحبها ورافقها الكثير من الغضب والقلق بين الصحافة والثورة.. وتحول هذا الانشغال إلى أسئلة، وتحولت الأسئلة إلى إجابات مهمة نشرت عبر حوارات أجريتها مع نجوم الصحافة المصرية. وعلى صفحات مجلة «صباح الخير» نشرت هذه الحوارات والذكريات وسط حفاوة ثلاثة رؤساء تحرير تولوا المسئولية وهم على التوالي الأستاذ لويس جريس ثم الأستاذ مفيد فوزي ثم الأستاذ رءوف توفيق.

أسعدني الحظ وقادتني الظروف لحوارات مع أساتذة أعتز بهم - من كافة الاتجاهات والمدارس - حاولوا بصدق أن يشرحوا سر العلاقة الغاضبة بين الصحافة والثورة.

هذه الحوارات هي حصيلة هذا الكتاب، الذي يصدر في مناسبة وذكرى مرور نصف قرن على قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وقبل أن أترك حصيلة الحوارات بين يدي القارئ العزيز.. تبقى كلمة شكر وعرفان وتقدير للكاتب اللامع والمثقف الرائع الدكتور «سمير سرحان» رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب قلعة النشر الجاد والرصين في مصر والعالم العربي.

أما الشكر للقارئ الكريم فلا حدود له.. فهو صاحب الفضل الأول بكرمه وحسن ظنه وحفاوته بكل ما سبق.

«رشاد كامل»

موسى صبرى

«السادات.. المعارضة.. الغضب»!



لا يحتاج «موسى صبرى» إلى تعريف أو تقديم!

منذ سنوات طويلة وموسى صبرى يشغل دنيا الصحافة والسياسة بمقالاته ومعاركه التى لا تنتهى!

فى عصر عبد الناصر أصبح موسى صبرى رئيساً للتحرير وحدث نفس الشيء فى عصر السادات!

وفى الوقت الذى تفرق فيه الأصدقاء والمنتفعون من حول السادات بعد رحيله ظل موسى صبرى على نفس الدرجة من الحب الشديد والدفاع الأشد عن السادات: الرجل والمواقف!

■■

● سألت موسى صبرى: ما حكايتك مع أخبار اليوم وأنت القائل: إن عرشى هو مكتبى فى دار «أخبار اليوم» وإذا ابتعدت عنه، فإننى لن أعوضه بعرش ملك. فالصحفى لا يصلح لأى عمل آخر غير الصحافة.

■ قال: حكايتى مع أخبار اليوم بدأت فى أول يناير ١٩٥٠، ولكن قبل ذلك ومنذ عام ١٩٤٧ كنت أعمل سكرتيراً لتحرير جريدة «الزمان» المسائية التى كان يرأس تحريرها الأستاذ «جلال الحمامصى» وكان الحمامصى قبلها قد قدم استقالته من جريدة «الأساس».. وفى الزمان تعرفت على الفنان حسن فؤاد الذى كان يتابع بريشته تفاصيل محاكمة اغتيال أمين عثمان المتهم فيها السادات وآخرون.

وكان اتفاق الحمامصى مع صاحب الجريدة «ادجار جلاد» المعروف بصلته الوثيقة بالقصر أن الجريدة مستقلة فى سياستها، ولكن فى انتخابات عام ١٩٥٠، والتى أتى فيها الوفد للحكم ظهر لنا أن الزمان ستؤيد الوفد فى هذه الانتخابات.. وقال لنا ادجار جلاد ذلك بوضوح شديد! واستقلت.. والحقيقة أنها كانت استقالة جماعية على رأسها الأستاذ جلال الحمامصى رئيس التحرير. كنا حوالى سبعة أو ثمانية محررين، وذهبنا إلى الأهرام ونشرنا جميعاً نبأ استقالتنا

من الزمـان فى نفس هذه الليلة كان المرحـوم كامل الشنـاوى يقـوم بعـمل رئيس التـحـرير فى الأهـرام، وطلب منى العـمل فى الأهرام، واخـتـار لى مكتـباً بـالفـعل وحدد لى المرتب الذى أريده! وكانت هذه أول مرة آراه فيها!

صباح اليوم التالى اتصل بى الأستاذ الحمامصى وسألنى ماذا فعلت؟ فقلت: اتفقت مع الأهرام! فقال لى: لا.. سوف تعمل فى أخبار اليوم ومصطفى بك أمين ينتظرك السـاعـة ١٢ ظـهر اليوم، فـقلت له وأنا مندهش: ووعـدى للأسـتـاذ كـامل الشناوى. قـال ببسـا طة: أنت تعـرفه؟! قلت: لا! فقـال: أنا هـا اعتـذر له بالنيـابة عنك، وسوف يقدر هذا الظروف!

وأذكر أننى كتبت خطاب اعـتـذار لكامل الشناوى وذهبت فى موعدى لمقـابلة الأستاذ مصطفى أمين: وقال لى بسرعة: أنا مش هـا أقدر أعيّنك فى أخبـار اليوم بأكثر من «٤٥ جنيه فقط»، لأن أحسن مـحرر عندى وهو «هيكل» مرتبه «٤٥ جنيه فقط» فسأعيّنك بنفس المرتب! وقلت له: المرتب لا يهم!

وقال لى: ستشتغل «محرر برلمانى» لأخبار اليوم وآخر ساعة! فقلت له: موافق على أخبار اليوم إنما غير موافق على آخر سـاعة! سـألنى: ليه؟ قلت: مـا أحـبش أشتغل مع هيكل! سألنى بخبث: هل تعرف هيكل؟ فقلت: لا أعرفه؟ قال: ما سبب رفضك العمل معاه؟ فقلت له: إن عبد الرحمن الشرقاوي زارنى فى بيتى وقال لى إن «هيكل» قال لهم فى الجرنان إن موسى صبرى لن يدخل أخبار اليوم.

وابتسم مـصـطفى أمين، فعدت أقول له: طب أشتـغل مع واحد زى ده إزاى؟! فقال: معلهش يمكن لما تكون محرر أساسى فى أخبار اليوم وييجى واحد من برة يبقى من حقك تعترض عليه! فقلت له: ولكن هذا شعور عدائى.

فـرد قـائلاً: ولكنك لا تشتـغل لحـساب شـخص، أنت تشـتـغل لحـسـاب أخـبـار اليوم.. وهكذا دخلت أخبار اليوم.

■■

● وجدت نفسى فى حيرة، عندما وجدت فى مجلة «آخر ساعة» مسلسلاً صحفياً عنوانه «قصة ملك و٤ وزارات» بقلم موسى صبرى، كان تاريخ نشر الحلقة الأولى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢.

وكان رئيس تحرير آخر ساعة الأستاذ «محمد حسنين هيكل»، وسبق أن قال لى موسى صبرى عنه: هيكل كرئيس تحرير أنانى جداً، كيف يكون الأستاذ هيكل بهذه الأنانية الصحفية وينشر لك تلك الحلقات فى آخر ساعة؟

▪ ضحك الأستاذ موسى صبرى وقال لى: دى حكاية طريفة قوى، فى ذلك الوقت كان هيكل قد سافر إلى أمريكا فى رحلة صحفية، وكان المرحوم كامل الشناوى متولياً لرئاسة تحرير «آخر ساعة» بدلاً منه، وأذكر أنه استدعانى إلى مكتبه ذات يوم وقال: أنت لديك ذخيرة سياسية تبددها!

ولم أفهم مغزى كلماته إلا بعد أن قال لى: لقد عايشت يا موسى المسرح السياسى المصرى كاملاً فى الشهور الستة الأخيرة قبل ثورة ٢٣ يوليو، وتابعت أزمات تلك الفترة يوماً بيوم وساعة بساعة، ضحك كامل الشناوى بكل جسمه، وقال لى وهو يحرضنى على الكتابة: ما رأيك فى أن تكتبها الآن وأنشرها لك مسلسلة فى «آخر ساعة»؟! ووافقت، وأذكر أننى كتبت حوالى عشر حلقات، كان عنوان هذه الحلقات هو «قصة ملك و٤ وزارات» أسرار حكم مصر من حريق القاهرة.. حتى قيام الثورة.. وكانت المفاجأة أن كامل الشناوى قرر أن يكتب اسمى على الحلقات تسبقه كلمة «بقلم».. وأن تنشر الحلقات فى صفحات الدوبل باج من آخر ساعة، أى أهم الصفحات فى المجلة وعندما عاد هيكل من رحلته، وكان قد بقى حوالى حلقتين أو ثلاث نشرها فى الصفحات الأخيرة المهملة من المجلة، وصدرت هذه التحقيقات فى كتاب طبع أكثر من طبعة!

● قلت: لدى طبعة ١٩٧٣ من الكتاب التى تقول فى إهدائها: أهديها إلى أساتذتى.. أهديها بكل الحب للغائب حتى يعود وللحاضر نشاركه الرحلة الشاقة.. فمن كنت تقصد بهذا الإهداء؟

▪ قال: كنت أقصد مصطفى وعلى أمين.. لأن وقت صدور هذه الطبعة.. أكتوبر ١٩٧٣، كان مصطفى أمين مسجوناً، وعلى أمين منفياً فى لندن، والحقيقة أن مدير الرقابة وقتها اتصل بى وقال: أنا احترمت هذا الإهداء جداً، رغم أنى

فهمت مَنْ المقصود به! لكنى احترمت إهداءك وتركته! وإلى كامل الشناوى يعود الفضل الأول فى كتابة هذه الحلقات التى تحولت إلى كتاب.

● قلت : أين كنت صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

■ قال: فى تلك الأيام كانت هناك أشياء متوقع حدوثها بين لحظة وأخرى، أنا فى ذلك الوقت كنت فى الأسكندرية وكان حسين سرى باشا قد بدأ مشاوراته لتشكيل الوزارة، وكنت مقيماً عنده بصفة دائمة وخبأنى فى إحدى غرف منزله وحضرت تشكيل الوزارة الذى استمر أربعة أيام. كان حسين سرى فى خلاف شديد مع الملك فاروق حول أسلوب تعامله مع الجيش! كان من رأى الملك عدم الاستعانة باللواء محمد نجيب بينما كان حسين سرى رافضاً ذلك بل اقترح على الملك تعيينه وزيراً للحربية. فى نفس الوقت فإن رئيس حرس الوزارات واسمه «محمد وصفى» قدم للدكتور محمد هاشم وزير الداخلية فى وزارة حسين سرى كشفاً بأسماء حوالى عشرة ضباط وقال له: إن هؤلاء الضباط سيقومون بعمل انقلاب فإذا قبضنا عليهم ستنتهى الأزمة.. وللتاريخ فقد رفض وزير الداخلية هذا الاقتراح وكنت حاضراً تلك المقابلة، فلو أن حسين سرى كان قد اقتنع بفكرة القبض على هؤلاء الضباط – وهم الضباط الأحرار – كان ممكن جداً أن الثورة لم تقم فى ذلك الوقت.

وبعد ذلك عندما قامت الثورة بعمل تحقيق مع بعض السياسيين القدامى، كان أنور السادات مكلفاً بالتحقيق مع د. محمد هاشم، فروى للسادات هذه الواقعة واستشهد بى.

● قلت : عندما قامت الثورة فإن كل الصحف أيدتها بغير حدود، ورغم ذلك اصدرت الثورة بعد فترة قليلة صحفها الخاصة. كانت البداية مجلة «التحرير» ثم «الجمهورية».. ثم «المساء».

■ قال: عندما قامت الثورة كنت وقتها أشغل منصب نائب رئيس تحرير «الأخبار» التى صدرت قبل الثورة بأسابيع فقط. ورغم أن جميع الصحف أيدت الثورة ووقفت بجوارها باستثناء «المصرى» التى اختلفت مع الثورة أثناء أزمة

مارس ١٩٥٤ فأغلقتها محكمة الثورة، إلا أن جمال عبد الناصر كان مهتماً بالصحافة اهتماماً كبيراً.. وكان يريد بجانب هذه الصحف صحافة خاصة بالثورة بتاعته، صحافة ملكه.. فأنشأ عدداً من الصحف والمجلات. ولهذا أيضاً اختار هيكل من بين كل الصحفيين الذين كانوا قريبين منه ليكون الصحفى الأوحد، فحتى ٢٣ يوليو كان هيكل صحفياً شاباً جديداً وغير مرتبط برواسب قديمة.

● **قلت : كيف ذلك وقد كان رئيس تحرير «آخر ساعة» ابتداء من يونيو ١٩٥٢؟!**

■ قال: ده صحيح، ولكن «هيكل» قبل ١٩٥٢، مكانش صحفى سياسى بالمعنى السياسى، عمره ما كان «صحفى سياسى» أو لعب دوراً فى المسرح السياسى الداخلى، بعكس مصطفى أمين مثلاً الذى كان كما قلت لك نجم المسرح السياسى فى الصحافة المصرية، أما هيكل فقد امتاز بتحقيقاته الصحفية الخارجية مثل حرب فلسطين، إيران، الكوليرا.. الخ.

وفى بداية الثورة كان عدد كبير من الصحفيين يتصل بعبد الناصر، كان هناك مصطفى أمين، على أمين، إحسان عبد القدوس، أحمد أبو الفتوح، حسين فهمى، وحلمى سلام!

بل إننى أقول إن مصطفى أمين خاض كل معارك عبد الناصر بتكليف من عبد الناصر نفسه! وبعد الثورة بأسابيع قليلة فإن جمال عبد الناصر هو الذى أملى أسماء مجلس قيادة الثورة على مصطفى أمين لينشرها فى تحقيق اسمه «سر الضباط التسعة» وده كان أول إعلان لاسمائهم يعرفه الرأى العام.. وفى أحيان كثيرة كان عبد الناصر يتصل بمصطفى تليفونياً ويختار معه المانشيت الذى ينفرد به فى أخبار اليوم أو الأخبار.. وكان عبد الناصر معجباً بمقال كتبه مصطفى أمين قبل الثورة بعام وكان اسمه «البحث عن قائد» فى أخبار اليوم، وأنه تأثر بهذا المقال تأثراً كبيراً، إنما تطور الأمر بعد ذلك فصار هيكل وحده هو الذى يتصل وهو الذى يعلم وهو الذى ينفرد بالأخبار!

● **ببساطة أسأل : هل طلبت مقابلة عبد الناصر ورفض الرجل ذلك؟ هل حاولت مجرد المحاولة يا أستاذ موسى؟!**

● قال: الحقيقة أنا عمرى ما طلبت مقابلة جمال عبد الناصر - هذا أولاً - ولم أطلب لأنى كنت أعرف أنه لا يقابل أحداً. ولعلك قرأت أخيراً حديث الأستاذ أحمد بهاء الدين الذى قال فيه إنه لم يقابل عبد الناصر طوال عمره! والمرة الوحيدة التى رأيت فيها عبد الناصر عن قرب فى اللقاء الذى عقده مع رؤساء مجالس إدارات الصحف ورؤساء التحرير عقب صدور قرار تأميم الصحافة فى مايو ١٩٦٠ وكنت أحد رؤساء تحرير «الجمهورية» وأذكر فى ذلك اللقاء أن عبد الناصر امتدح إحسان عبد القدوس، فدخل إحسان فى مناقشة معه. فأثار غضب عبد الناصر ولم تفلح نكتة أو دعابةأطلقها المرحوم فكرى أباظة فى تلطيف الجو، ورغم أن عبد الناصر تكلم بعصبية حول ضرورة المحافظة على شرف الأسرة وسمعة المرأة بألا تنشر الصحف الجرائم الجنسية، وألا تنشر إعلانات لأثرياء البترول، إلا أن كل ما أغضبه من الصحافة لم ينفذ حرف واحد منه، مما يدلك على أن الهدف أولاً وأخيراً كان أن تتبع الصحافة الدولة، أما كل ما قيل فلم يكن سوى تمهيد فقط، وهيكل أحد الذين شجعوا عبد الناصر على تأميم الصحافة! وبكل أسف فقد ماتت الصحافة بعد تأميمها!

● قلت: وكنت رئيساً لتحرير «الجيل»؟! فكيف؟

■ قال: مكثت عامين أشغل منصب نائب رئيس تحرير الأخبار منذ صدرت الأخبار فى عام ١٩٥٢ إلى أن أصدر مصطفى وعلى أمين مجلة «الجيل» عام ١٩٥٤. وكان يرأس تحريرها إسماعيل الحبروك، ولا أدرى سبب خروجه منها، إنما كان توزيع المجلة تعبان جداً، وذات يوم جاءنى مصطفى أمين وقال لى: أنا اخترتك رئيساً لتحرير الجيل والحقيقة أن هذا الاختيار كان بناء على اقتراح من المرحوم هنرى توفيق بحرى سكرتير تحرير آخر ساعة، وللتاريخ فهو أيضاً الذى اقترح على مصطفى أمين تعيين هيكل رئيساً لتحرير آخر ساعة.

كانت الجيل مجلة للشباب، وكان منطق المجلة أكبر مجموعة من الأخبار فى أقل عدد من الكلمات، أما هدفها فهو إلقاء الضوء على نوابغ الشباب فى مجالات الأدب والفن والرياضة، وأذكر أننى طلبت من مصطفى أمين ألا يكتب اسمى

كرئيس تحرير للمجلة إلا بعد فترة، وبعد ثلاثة شهور وضع اسمى رئيساً للتحرير، والحقيقة أن المجلة نجحت نجاحاً كبيراً وزاد توزيعها على توزيع آخر ساعة!

أذكر مرة كتبت فى الجيل مقالاً خفيفاً «لايت يعنى» وقلت فى ثلاثة سطور بالضبط إن المذيعة التى قامت بإذاعة وصف استقبال شعب الجزائر لجمال عبد الناصر كان صوتها مخنثاً، ولم أذكر اسم المذيعة، وصدرت المجلة وبعد عدة أيام طلبنى مصطفى أمين وسألنى: هل كتبت عن مذيعة أن صوتها مخنث؟! فقلت له: آه.. ده من كذا يوم.. إنما فيه إيه؟ فقال: أصل عبد الناصر قرأ المقال النهارده بس، اتصل بى تليفونياً وقرر وقفك عن العمل! وسألته مندهشاً: أتوقف عن العمل علشان ثلاثة سطور ولم أذكر فيها حتى اسم المذيعة؟!

كان موجوداً كامل الشناوى عند مصطفى أمين، فكتبت استقالة عن عملى لأن ما حدث فيه مساس بكرامتى كصحفى قبل أن أكون رئيس تحرير، وهدأنى كامل الشناوى قائلاً: ماتبقاش مجنون ياموسى، ولكنى صممت على موقفى، وأشهد أن مصطفى أمين بذل جهداً خرافياً لتسوية المشكلة مع «همت مصطفى» التى عنيتها فى سطورى، وفشلت مساعيه، وحاول ترضيتها، فكتب عنها خبراً كبيراً فى أخبار الناس قال فيه: إن همت مصطفى مذيعة ذات مستوى عالمى، وأن الإذاعات العربية تقبل بشغف على ما تذيعه.. و.. ونشر لها صورة كبيرة مع الخبر، ومع ذلك أصر عبد الناصر على قراره.

وانتشر خبر وقفى عن العمل فى الوسط الصحفى، وحدث أن عبد الناصر كان يتصل تليفونياً بمصطفى أمين، فأبلغه مصطفى أن قرار إيقاف موسى أحدث رد فعل سيئاً فى أوساط الصحفيين.. وأذكر أنه قال لعبد الناصر فى التليفون وكنا معه فى مكتبه هل إذا نشرت البرافدا خبراً عن راقصة باليه فى البولشوى ولم يعجبها يفصل رئيس تحرير البرافدا.. وكان رد عبد الناصر الذى أبلغه لنا مصطفى بعد انتهاء المكالمة: هذه مسألة أخلاقية.. ولا عدول عنها!

وأمام موقف مصطفى أمين المشرف سحبت استقالتى، ولزمت بيتى عدة شهور حتى أعادنى عبد الناصر للصحافة مرة أخرى بكلمة فى التليفون!

فى تلك الفترة كان عبد الناصر يجتمع بالبعثيين فى القاهرة، وكتب مصطفى أمين مقالاً في الموقف السياسى فى أخبار اليوم، واتصل به عبد الناصر ليشكره ويهنئه على مقالته الممتعة وقال له: كأنك يا مصطفى كنت حاضراً الاجتماع معنا، لأنك عبرت عن وجهة نظرى تماماً التى قلتها فى الاجتماع!

وفاجأ مصطفى أمين الرئيس عبد الناصر بقوله: أنا تعبان قوى ياريس! لأنى باشتغل لوحدى من فترة.. وسأله عبد الناصر ولماذا تعمل وحدك؟ فقال له: سيادتك عارف أن موسى صبرى موقوف عن الشغل وقاعد فى البيت. فيها حاجة لو يرجع يشتغل طالما بيقبض مرتبه!

وسأله عبد الناصر مندهشاً: بتقول بيقبض مرتبه.. أمال إزاى موقوف عن العمل يا مصطفى؟! فقال له: أصل الصحافة غير الحكومة يا ريس! احنا عندنا الوقف مع المرتب!

وتحولت نكتة مصطفى أمين إلى قرار من عبد الناصر بعودتى إلى العمل، وهكذا أوقفنى عبد الناصر عن العمل بكلمة فى التليفون، وأعادنى بكلمة أيضاً فى التليفون!

● قلت: المعروف أن صحيفة «الجمهورية» كانت لسان حال الثورة، وكان عبد الناصر صاحب امتيازها والسادات مديرها العام، فكيف أصبحت رئيساً لتحرير جريدة عبد الناصر الذى اكتفى واقعياً من الصحافة بالأهرام ومن الصحفيين بهيكل؟

■ قال: كان عبد الناصر قد غضب طويلاً على المرحوم صلاح سالم، وعندما رضى عنه أوكل إليه مهمة رئاسة دار التحرير، ولما سأله وماذا أفعل فى الجمهورية وخسائرها المستمرة قال له: هات موسى صبرى!

والحقيقة أننى كنت أعرف رأى عبد الناصر عنى من خلال شقيقه المرحوم عز العرب عبد الناصر وكان مدير مكتب جريدة الجمهورية فى الاسكندرية، وقد نقل لى رأى عبد الناصر وهو أننى صحفى كويس، مهنى من الدرجة الأولى، ماليش فى المؤامرات ولا أشترك فى الدسائس، ولكن أشطح فى الكلام!

وفعلاً اتصل بى المرحوم صلاح سالم وكنت أعرف عنه عصبيته ونرفزته الشديدة، وأنه كان يجرى وراء الصحفيين فى مبنى مجلس الثورة ويشتمهم..

واعتذرت له، وجلسنا معاً جلسات طويلة وتناقشنا فيها وقلت له: أنا كرامتي هي كل ما أملك، ولا أستطيع التعامل معك للأسلوب الذي تتبعه في علاقتك بالصحفيين! وقال لي: جربني واشتغل معايا وشوف هل هذا حقيقي أم لا! وفعلاً استقلت من أخبار اليوم، وعملت رئيساً لتحرير الجمهورية حوالي عامين وأشهد أنني وجدت صلاح سالم من أحسن من تعاملت معهم في حياتي الصحفية رغم فكرتي المسبقة عنه، وللأمانة فقد أعطاني الرجل «كارت بلانش» وثقة كاملة تماماً، مما جعلني أتفانى في العمل معه، وأنا أعتبر هذه الفترة من أصعب أيام حياتي وأسعدها أيضاً.

في تلك الفترة وكانت الوحدة مع سوريا مازالت قائمة أذكر أنني ركبت الطائرة المتجهة إلى دمشق، وكان السفر بالبطاقة الشخصية ولا ضرورة لجواز السفر، وعندما جلست في مقعدي في الطائرة، فوجئت بواحد من ضباط مباحث أمن الدولة يصعد إلى الطائرة ويتوجه ناحيتي ويبلغني أنني ممنوع من السفر! وجُننت، وذهبت في الحال إلى صلاح سالم ورويت له الحكاية، وللحق فقد ثار الرجل وغضب واتصل بسامي شرف وعنفه على هذا المنع، وتحدث سامي شرف مع عبد الناصر، وأبرق عبد الناصر من دمشق بموافقته على سفري!

● **قلت: فجأة صار هيكل مسئولاً عن أخبار اليوم بجانب الأهرام، ماذا كان موقفك وكيف تعاملت في تلك الفترة؟**

■ قال الأستاذ موسى صبري: أصدر جمال عبد الناصر قراراً بأن يتولى خالد محيي الدين رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم، وتحولت أخبار اليوم في عهده إلى مؤسسة شيوعية، وقام خالد بتعيين عدد كبير من الشيوعيين في أخبار اليوم فأنشأوا مكتباً سياسياً للجريدة يصدر القرارات ويتابع تنفيذها، وكان خالد محيي الدين مقتنعاً ومتأكداً أنه لن يخرج من أخبار اليوم، وفجأة علم مصطفى أمين بأن عبد الناصر سيقيل خالد محيي الدين، وفي أحد الاجتماعات التحريرية قال مصطفى أمين: إن خالد محيي الدين لن يبقى في أخبار اليوم!! في نفس الوقت كتب خالد بياناً وزعه الماركسيون في أخبار اليوم وعلقوه في كل الأدوار وفي الأسانسير وعلى الجدران: أنّ خالد محيي الدين باق في منصبه بأخبار اليوم وكل ما يقال لا يعدو أن يكون شائعات كاذبة ومغرضة.

رغم أن عبد الناصر قرر إخراج خالد فعلاً من أخبار اليوم وكنت أتناوب رئاسة تحرير الأخبار مع حسين فهمي - عضو التجمع الآن - يتولى حسين رئاسة التحرير ثلاثة أيام، وأتولاها أنا ثلاثة أيام، وكنا نعقد معاً اجتماعات مجلس التحرير في الصباح يومياً، وذات يوم وبينما كنت أنا وحسين نرأس اجتماع مجلس التحرير وكانت الساعة حوالي التاسعة والنصف صباحاً، دخل سكرتير خالد محيي الدين مهرولاً إلى صالة الاجتماع وقال الأستاذ خالد يطلبكم للحضور فوراً إلى مكتبه. وأذكر أنني طلبت من حسين فهمي أن يذهب أولاً للقاء خالد محيي الدين على أن أذهب أنا بعد الانتهاء من الاجتماع. فقال لي السكرتير: الأستاذ خالد عاوزكم أنتم الاثنين مع بعض!

أنهينا الاجتماع وصعدنا إلى غرفة خالد محيي الدين، وجدنا عنده «هيكل» صافحت هيكل ببرود شديد للغاية، كان التعب بادياً على ملامح وجه خالد، وفجأة قال هيكل لنا: الأستاذ خالد رأى أن يستقيل من أخبار اليوم!

فوجئت بكلام هيكل ثم أكمل هيكل بسرعة: والريس جمال عبد الناصر كلفني برئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم..

والحقيقة أن حسين فهمي على سبيل الذوق رحب بهيكل وقال له أهلا وسهلاً.. أما أنا فلم أنطق بحرف واحد وبان على وجهي ملامح القرف الشديد!

وقال هيكل بسرعة: أنا شايف أن موسى مش مرحب بما قلت الآن؟ فأجبت قائلاً: الحقيقة آه.. يعني عايزني أكدب عليك.. بقى ده معقول طب نشتغل إزاي؟!

ثم قال هيكل لخالد: تسمح لي أقعد شوية مع موسى وحسين. ثم دخلنا في غرفة مجاورة لمكتب خالد محيي الدين، وأخذ خالد محيي الدين يطيب خاطري قائلاً: ولا يهمك يا موسى: أنت راجل بتشتغل بكفاءتك الصحفية.. ولا يهمك!

ولما جلسنا قلت لهيكل: ببساطة أنا مش ها اقدر اشتغل معاك! سألني: ليه ياموسى؟ قلت: مش معقول.. طيب تيجي إزاي يعني؟.. إزاي تبقى أنت رئيس تحرير الأهرام ورئيس الأخبار؟.. والأهرام والأخبار «جريدتين متنافستين».. واحنا توزيعنا أكثر من الأهرام، ثم إن مش معقول أن الخبر يمنع نشره في الأخبار كي ينشر عندك في الأهرام.. ده منطق غير قابل للفهم.. وأنا مش مستريح فعلاً.. فلا داعي لأن أتحمل أي مسئولية صحفية في الأخبار وأنت على

رأس مؤسسة أخبار اليوم! وبهدوء شديد أنهى هيكل الحوار بسطر واحد.. إحنا لازم نقعد قعدة تانية مع بعض.

وفعلاً ذهبت إلى مكتب هيكل وكان فى مبنى الأهرام القديم. قال لى هيكل فى اجتماعه بى: احنا ما جربناش صداقة العمل.. هه! يمكن حصل بيننا سوء تفاهم! هه! اسمع.. جرب صداقتى فى العمل.. هه.. ما رأيك؟ ولن أتدخل فى الأخبار.. وليس لى أى علاقة بما تنشره الأخبار! وأتعهد لك أن أى خبر تنفرد الأخبار بنشره سأجعل الرقابة توافق عليه.. وإذا كان لى ملاحظات على ما نشر.. سأقولها لك بعد صدور الجريدة فعلا.

دام الاجتماع مع هيكل ساعتين. ووافقت على ما قاله.. والتزم هيكل بكل ما قاله لى لفترة، ثم بدأت المتاعب. كان أخطر هذه المتاعب مثلاً عندما انتحر المشير عبد الحكيم عامر بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧، بأسابيع قليلة.. كان المشير قد انتحر فى سبتمبر ١٩٦٧، وبالصدفة عرفت قصة هذا الانتحار وتفصيل ما جرى فى بيت المشير، أقول عرفت هذه المعلومات من شقيق جمال عبد الناصر المرحوم عز العرب عبد الناصر وهو رجل فاضل جداً، وكان صديقى جداً، وكتبت كل ما حصلت عليه من معلومات فى تحقيق صحفى لينشر فى الأخبار.. وكانت هناك تعليمات من الرقابة بألا يُنْشَر شيء عن هذا الموضوع، فلم يُنشَر الموضوع الذى كتبته.

فى اليوم التالى كانت المفاجأة.. صدرت الأهرام وبها التفاصيل الكاملة لانتحار عبد الحكيم عامر، وصدرت الأخبار والجمهورية ليس بهما سطر واحد عما حدث! بالطبع كانت القصة والتفاصيل التى نشرتها الأهرام أوفّى بكثير مما كتبته فى موضوعى، المهم حصل هياج وثورة بين المحررين فى الأخبار، وأحسوا بأن كلام هيكل لنا عن عدم التدخل فيما تنشره الأخبار غير صحيح! وأصر المحررون على الاجتماع بهيكل ليبلغوه استياءهم الشديد.. فى البداية رفض هيكل أن يجتمع بالمحررين، ثم قال لى: أنا موافق أجتمع بالمحررين بس أنت ما تحضرش! ثم عاد هيكل فقال: احضر الاجتماع معنا بس ما تتكلمش!

كانت فكرة هيكل أنه يستطيع فى اجتماعه بالمحررين أن يأكلهم بمنطقه فى الحوار والمناقشة، ولكن ما حدث أن المحررين احتجوا عليه بشدة فى لقائه بهم،

وقال لهم هيكل: إذا كنت صحفياً لدى وسيلة الاتصال برئيس الجمهورية فهذه ميزة! فرد عليه الصحفيون: ولكن ليس معنى هذا أن تحجب الأخبار عن الجرائد الأخرى

كانت هذه الواقعة هي بداية الخلاف الأساسي في التعامل مع هيكل.

وبعد ذلك عندما أصدر النائب العام وقتها محمد عبد السلام قراره في التحقيق في انتحار المشير عامر وكان قد كتبه في حوالى ٤١ صفحة بعنوان «قرار في حادث وفاة السيد المشير عبد الحكيم عامر» فإن هذا التقرير الذي نشرته الصحف وقتها «الأهرام، والأخبار، والجمهورية» لم ينشر كاملاً على القراء. فالذي حدث أن السيد «محمد فائق» وزير الإعلام في ذلك الوقت استدعى المسئولين في هذه الصحف وأخرج من درج مكتبة ثلاثة أقلام سوداء وسلم كل واحد قلما منها، كي يشطبوا الفقرات غير المسموح بنشرها على الناس، وجرى الشطب أمامه حتى لا تفلت كلمة واحدة إلي الصحافة.

وتردد وقتها أن جمال عبد الناصر أمر بعرض تقرير النائب العام على محمد حسنين هيكل، وهو الذي حدد الفقرات التي يجب حذفها، وتولي وزير الإعلام تنفيذها مع مسئولي الصحف الثلاث.

بعد ذلك بفترة كانت محكمة الثورة قد بدأت النظر في قضية المؤامرة، وكان من بين المتهمين الرئيسيين فيها شمس بدران وزير الحربية السابق، وصلاح نصر مدير المخابرات، وعباس رضوان.

وكان السيد حسين الشافعي رئيس المحكمة التي حققت في قضية المؤامرة، وقد تابعت كل تفصيلاتها وجلساتها.. كان ما سمعته داخل المحكمة يفوق الخيال، قال شمس بدران وقتها إنه استنتج أن عبد الناصر وعبد الحكيم اتفقا على التنحى معاً، وأن زكريا محيي الدين هو الذي سيصبح رئيساً للجمهورية. وقال شمس بدران إن عبد الناصر رشحه شخصياً لرئاسة الجمهورية ولكنه قال: لسه صغير بينما زكريا عنده خبرة.

المهم إنني كتبت مقالاً كان عنوانه «الفصل الحزين» أودعته كل ما سمعته ورأيته وكتبت في نهايته: «يا للهول.. يا لبشاعة المأساة.. أية حقائق سوداء تعرض أمامنا من بطون الأيام السوداء إنني لا أزال أكرر، قلبي حزين.. حزين».

وكان حسين الشافعي رئيس المحكمة يقول: من حق الشعب أن يعرف الحقائق، ويؤكد أن الصحافة حرة تنشر ما تشاء، وأنه لا رقابة على الصحف! في نفس الوقت اتبعت الرقابة أسلوباً لا مثيل له كان هناك ثلاثة رقباء يتابعون ويراقبون كل ما يكتب عن هذه القضية، وكان يرسل نسخة من كل مقال أو موضوع إلى كل رقيب على حدة، فيقرأها ويشطب منها ما يشطبه، ثم يجتمع الثلاثة معاً يتناقشون ويتفقون على المشطوب، في نفس الوقت كان يوجد مندوب من المخابرات الحربية يقيم في غرفة مجاورة لقاعة المحكمة، يسمع كل همسة ويسجل كل حرف ثم بعدها يحدد مع النائب العام ماذا ينشر وماذا يحذف.

ونشر المقال.. أما سبب إجازته من الرقابة فهو أنه تضمن تعليقاً على الجلسة ولم يكن تسجيلاً لكل ما دار بها، المهم بعد ذلك بأيام قليلة كان عبد الناصر قد التقى بوفد الصحفيين العرب الذى كان في زيارة للقاهرة وألقى خطاباً أكد فيه أنه مع كل قرار اتخذه الصحفيون العرب بشأن حرية الصحافة وحماية الصحفى من الفصل ولكن حرية الصحافة لا تعنى أبداً أن تحول إحدى الصحف الصباحية قضية المؤامرة إلى قضية فساد سياسى أو فساد حكم.

بمجرد سماعي لخطاب عبد الناصر توقعت قرار فصلي بين لحظة وأخرى.. في ذلك الوقت كان هيكل مازال على رأس مؤسسة أخبار اليوم.. وصدر القرار بإبعادي عن الصحافة. وأذكر أنني تحدثت مع هيكل بشأن هذا القرار فنفى لي الحكاية كلها وقال: غير صحيح أنك فُصلت. بل الصحيح أن الذى سيترك أخبار اليوم هو أنا وسيتولاها بدلاً منى محمود أمين العالم.

وفيما بعد علمت من الأستاذ جلال الحمامصى أن هيكل أبلغه أن قرار الفصل تم تأجيله فقط ولكن سيصدر بعد أن يترك هيكل أخبار اليوم ويجيء محمود أمين العالم! وعندما سألت هيكل من صاحب اقتراح فصلي أجابني: على صبرى، ولما سألت على صبرى فاجأني ترحيبه الشديد بى وأيضاً إجابته عن سؤالي عندما قال لى: كل ما يجرى فى الصحافة مسئول عنه هيكل، وكيف أفصلك وأنا الذى طلبت من شعراوى جمعة أن يبلغ محمود أمين العالم ألا يغير أحداً في قيادات أخبار اليوم، وأؤكد لك أن محمود العالم لن يتخذ ضدك أى إجراء.. وبعد عدة

أسابيع صدر القرار بتوقيع على صبرى بنقلى إلى الجمهورية. وأبلغنى محمود أمين العالم بهذا القرار.. ولم يوضح القرار طبيعة عملى الجديد فى الجمهورية.. ساعى، بواب.. مش عارف بالضبط.

فى ذلك الوقت كان الصديق فتحى غانم هو رئيس مجلس إدارة دار التحرير ورئيس تحرير الجمهورية، وكان موقفه تجاهى أخلاقياً جداً ومشرفاً جداً وسمح لى بالكتابة يومياً بدون توقيع عن الأزياء والموضة والتجميل، وأوقع بإمضاء «أدم، وحواء»، رسائل بين زوج وزوجته عن السعادة الزوجية.. وطلبت من فتحى غانم أن أسافر فى رحلة صحفية خارج مصر، ووافق ببساطة على ذلك، ثم تبقت موافقة وزير الداخلية وقتها شعراوى جمعة، لأن اسمى كان مدرجاً ضمن قوائم الممنوعين من السفر. ووافق شعراوى جمعة على سفرى، بعد توسط صديقى المستشار عبد الحميد يونس. إلى الاتحاد السوفييتى والهند واليابان وماليزيا وبولندا وألمانيا وصدرت فى كتاب «شيوعيون فى كل مكان» الذى صدر فى جزءين فيما بعد (مايو ١٩٧٠ ثم مايو ١٩٧١)، أذكر أثناء وجودى فى طوكيو عاصمة اليابان أن زوجتى قالت لى فى إحدى رسائلها: إنها سمعت من بعض الزملاء بخبر عودتى للكتابة لأن هناك تغييرات صحفية من المحتمل حدوثها.

وعدت من رحلتى التى استغقرت حوالى ستين يوماً، وفى ذلك الوقت أصدر عبد الناصر قراراً بأن يتولى هو نفسه مسئولية الإشراف على الأهرام، والسادات يشرف على صحف أخبار اليوم، ويشرف على صبرى على صحف ومجلات دار التحرير ودار الهلال وروزاليوسف.

وحتى ذلك الوقت كان اسمى ممنوعاً من الظهور على أى مقال أو شيء أكتبه. وأردت أن أعرف ماذا تم فى أمرى، وحقيقة وضعى الجديد فى الجمهورية، وطلبنى على صبرى فى مكتبه وقال لى: أريد منك أن تجعل من الجمهورية جريدة ناجحة، ولك مطلق الحرية فى الاستعانة بمن تشاء من المحررين أو الصحفيين! واعتذرت للرجل فقال لى: على أى حال فكر فى الأمر.

وعلمت من عز العرب عبد الناصر شقيق الرئيس أنه قال لعلى صبرى: إذا أردت إصلاح حال الجمهورية خذ موسى صبرى وعينه رئيس تحرير واعط له كل السلطات!

وقابلت السادات وطلبت منه العودة إلى بيتى الطبيعى الأخبار، فقال لى: ولكن من رأى عبد الناصر أن تبقى فى الجمهورية! أما بالنسبة لمسألة عودتك لأخبار اليوم فاتركها الآن، لأنها ستتحقق ولكن ليس الآن.

وقال لى فتحى غانم: بقاؤك فى الجمهورية مسألة غير قابلة للمناقشة واستمر عملى فى الجمهورية لفترة مع فتحى غانم، وأذكر بالمناسبة حينما رويت موقفه المشرف معى للسادات فيما بعد علق السادات قائلاً: جدع فتحى راجل.. برافو عليه.. أنا أحب تصرفات الرجالة اللى زيه!

● قلت : وكيف عدت إلى أخبار اليوم؟

■ قال: ذات مساء، وبعد أن انتهيت من عملى فى جريدة الجمهورية توجهت إلى بيتى وفى منتصف الليل تقريباً أويت إلى فراشى متعباً، مكدوداً، وفجأة شرخ سكون الليل صوت دقات التليفون وبكسل شديد رفعت السماعة وأنا أسأل من الذى يطلبنى فى مثل هذه الساعة المتأخرة، وجاء الصوت من الناحية الأخرى: مساء الخير يا موسى! فقلت: مَنْ؟ رد: أنا أنور يا أخى! أنت بتعمل إيه: فقلت: كنت لسه هانام فقال: طيب ألبس وتعال على طول! قلت: فى البيت؟! فقال: أنا موجود فى مكتبى هنا بأخبار اليوم!

ارتديت ملابسى بسرعة، وذهبت إلى أخبار اليوم وصعدت إلى مكتب السادات فى الطابق العاشر، ودخلت وصافحته وكان عنده قاسم فرحات العضو المنتدب، وكان السادات جالساً خلف المكتب، وشكله حزين جداً، وقاسم فرحات ينظر تجاه أرض الغرفة، صافحنى السادات وهو واجم وحزين، وقال: اقعد يا موسى! وجلست، وعلى ما أذكر طلب لنا نحن الثلاثة قهوة، ثم قال بنبرات حزينة معلهش يا موسى.. اصبر شوية.. شد حيلك!

فى الحقيقة كنت مندهشاً من كل ما يحدث، ولا أعرف ما هى الحكاية بالضبط، إلى أن قال لى السادات: معلهش يا موسى.. الريس عبد الناصر رفض أنك ترجع لأخبار اليوم وأعتقد أنك لازم تتحمل الموقف شوية، وكلها كام شهر وها أحاول تاني مع الريس يمكن يوافق على رجوعك!

ووجدتنى أقول للسادات: أنا أشكرك من كل قلبى، طب هتعمل إيه أكثر من كده!

واستأذن السادات منا ودخل دورة المياه الملحقة بغرفة مكتبه، وغاب لدقائق، ثم خرج من دورة المياه متهللاً ومبسوطاً ومنشرحاً، وفوجئت به يأخذني بالأحضان قائلاً: أهلاً بيك في بيتك يا موسى! ثم قام السادات وطلب مني أن أشتغل الطبعة الثانية من الأخبار، ها .. ها.. يعني السادات أخرج بنفسه حكاية رجوعي للأخبار!

● قلت: هل كانت صدفة تاريخية - ولا أقول سياسية - أن يتوافق صدور قرار الرئيس السادات بالإفراج عن مصطفى أمين في ٢٦ يناير ١٩٧٤، وتنحية هيكل عن الأهرام بعدها بخمسة أيام - في ٣١ يناير - بقرار أيضاً؟! رواية هيكل ترى أن ما حدث كان جزءاً من صفقة، أو كما كتب بالحرف الواحد في كتاب «بين الصحافة والسياسة»: إذ قال له السادات: ولماذا لا أجامل الأمريكان فيه؟ و... من الأفضل الإفراج عن مصطفى أمين ضمن هذه الصفقة حتى لا يتجاسر يوماً ويفتح فمه.. فماذا تقول شهادة موسى صبري:

■ ما قاله هيكل في كتابه كذب، وما حدث بالضبط أنه في أوائل حكم الرئيس السادات، انتهزت فرصة زيارتي له في استراحة القناطر وتحدثت معه في مسألة الإفراج عن مصطفى أمين! وقال لي السادات يومها بالحرف الواحد: مصطفى أمين له وضع سياسي.

وبعد فترة قلت للسادات أيضاً إن مصطفى يعاني صحياً وأن حالته الصحية تتدهور يوماً بعد يوم! فقال لي بالنسبة للحالات الإنسانية فأنا لا أتردد تجاهها. ولا مانع أن ينتقل مصطفى إلي المستشفى، وأبلغ السادات ذلك للسيد ممدوح سالم - كان وقتها وزيراً للداخلية - كانت المفاجأة أن ينقل مصطفى إلى مستشفى السجن، بينما كانت نيتنا أن ينقل إلي مستشفى خارجي كقصر العيني مثلاً، ولكن السادات لم يوافق على ذلك الطلب! وازدادت صحته سوءاً وتدهوراً وعندما عرف الرئيس من غيري الحالة التي أصبح عليها مصطفى وافق على نقله إلى مستشفى قصر العيني!

بعد ذلك بفترة كانت السيدة «أمينة السعيد» فى زيارة للعاصمة لندن -:

- وأعطاها المرحوم على أمين رسالة مكتوبة وطلب منها توصيلها إلى الرئيس السادات. وعندما عادت السيدة أمينة السعيد للقاهرة سلمت رسالة على أمين للسادات ولم يكن يطلب فيها سوى أن يسمح له بالحضور إلى القاهرة ورؤية أخيه مصطفى. ووافق السادات.

وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد قامت وانتصر السادات فيها، وفى ذلك الوقت استقر على أمين فى بيروت فأرسل رسالة أخرى للسادات يطلب فيها السماح بالحضور لرؤية أخيه الذى يرقد مريضاً فى مستشفى قصر العينى وذهب على إلى سفارة مصر فى بيروت وطلب من المسئولين بها أن يرسلوا برغبته إلى المسئولين فى مصر أنه سوف يحضر، حتى لا يفاجأ عند حضوره بالقبض عليه! والحقيقة أن هيكل هو الذى أفهمه وأقنعه أنه إذا حضر إلى القاهرة فسيقبض عليه فى المطار! وردت السفارة المصرية قائلة لعلى أمين: إن الرئيس السادات لا يمنع مواطناً مصرياً فى الخارج من العودة إلى مصر.. وعاد على أمين إلى القاهرة.

وزار على أمين الأستاذ «محمود أبو وافية» عديل الرئيس السادات، وحدثه فى شأن الإفراج عن أخيه وقال له ما معناه: إن العمر مابقاش فاضل فيه حاجة! وكانت هذه الكلمات هى التى ينقلها أبو وافية للسادات باستمرار.

وكان منتهى أملنا أن يتم فقط الإفراج عن مصطفى الذى تدهورت حالته الصحية بشكل كبير، وكانت الصحافة أو عودة مصطفى للكتابة أمراً غير مطروح بالمرة!

وذات يوم وفى حفل إحدى بنات الرئيس السادات - أظن كانت لبنى - ودعا السادات معظم رؤساء التحرير والصحفيين لحضور الحفل، واتفق معنا محمود أبو وافية على أننا ننتهز فرصة الفرح ونكلم السادات فى حكاية مصطفى أمين، وطوال ساعات الفرح لم نجد فرصة واحدة لنكلم السادات (زحمة وزيطة وناس مالهاش عدد) وأذكر أننى قلت لمحمود أبو وافية: خلاص مفيش فايدة! فقال لى: لا.. احنا هنستنى لما الدنيا تروق شوية والمعازيم تمشى!

وأخيراً فى حوالى الساعة الخامسة فجراً كان المدعوون والمعازيم انصرفوا، ولم يبق سوى السادات والسيدة چيهان وبناتهما وأقاربهما والتففنا حول الرئيس السادات وحرمه، محمود أبو وافية، أحمد رجب وحرمه، على حمدى الجمال، محسن محمد، أنا ومراتى، وانضم إلى شلتنا الفنان عبد الحليم حافظ وقلنا له: إن مصطفى حالته خطيرة وعنده تصلب فى الشرايين، وضغط وسكر.. و.. وبيموت فى قصر العينى، وقال أحمد رجب للسادات: إذا كان ولابد من سجن مظلوم فاسجنى بدلاً من مصطفى! وتكلم محسن محمد وعلى الجمال وحليم وأبو وافية.. وقالت السيدة چيهان لزوجها: دى ليلة سعيدة فى حياتك وخلاص بقى يا ريس، ده اللى بيطلب منك الطلب ده رجالتك، وحرام الاستمرار فى سجنه! ولم ينطق السادات بحرف واحد. لم يبد أنه استمع لكلمة مما قلناه.. وانصرفنا بعدها دون أن نعرف لماذا لم يتكلم.

ذهبت إلى مكتبى فى الأخبار وأنا مندهش لموقف السادات بالأمس وانشغلت بالعمل اليومى فى الجريدة ومتابعة تفاصيله، وحوالى الساعة الواحدة ظهراً دق جرس التليفون وقيل لى السادات على الخط، فبادرته قائلاً صباح الخير يا ريس، فرد ببشاشة صباح النور يا موسى! فين على أمين دلوقتى؟! قلت: إذا مكانش موجود فى شقته فهيكون عند مصطفى فى المستشفى!

وسكت السادات لثوان عاد بعدها ليقول لى: اتصل بيه وقل له مبروك يا على! فقلت: خير يا ريس فقال: أنا وقعت حالاً قرار الإفراج عن مصطفى أمين، وأمرت أنه يخرج النهارده من غير ما يستنى الإجراءات الروتينية!

فى تلك اللحظة من الزمن فقدت وعيى ووجدت نفسى أصرخ فى التليفون: صحيح يا ريس.. معقول يا ريس!

ودعوت للسادات.. وانتهت المكالمة. ووجدت نفسى أترك المكتب وأجرى مهرولاً وأركب سيارتى الصغيرة وأطير بها إلى مصطفى أمين فى المستشفى كانت الدنيا مطراً يومها، والمرور مختنقاً، وأخيراً وصلت المستشفى ودخلت حجرة مصطفى، الذى كان يرقد فوق سرير صغير «سيفرى» كان الذى أمامى بقايا إنسان.. وليس مصطفى أمين الذى أعرفه وقلت له: مبروك! فقال بلا مبالاة: على

إيه؟! فقلت: صدر قرار بالإفراج عنك اليوم. فقال ساخراً: لا.. أنا سمعت الكلام ده كتير قبل كده!

وقلت له: المرة دى لا! سألنى: اشمعنى؟ فقلت: لأن الرئيس السادات هو الذى قال لى ذلك بنفسه قبل أن آتى عندك وقالها لى فى التليفون! ولمعت عينا مصطفى ببريق عجيب، وقال: صحيح يا موسى. فأجبته صحيح! أمال فين على؟ فقال: على دلوقتى فى مكتب جريدة الأنوار، وبعدها سيذهب إلى هيكل لتناول طعام الغداء معه بدعوة منه، فالحق هات على أمين واعتذر للأهرام بأى حاجة!

وفعلاً ذهبت إلى مكتب دار الصياد وأبلغت على أمين بقرار السادات، واتصلنا بالأهرام، ولم يكن هيكل قد وصل إلى مكتبه بعد.. وتركنا خبر اعتذار على أمين عن موعد الغداء مع هيكل.

وحتى هذه اللحظة لم يكن هيكل يعرف بقرار الإفراج، وخشى مصطفى أن ينتهز هيكل الفرصة ويدعى أنه السبب فى الإفراج، وأنه يحتفل بهذه المناسبة مع على أمين فى الأهرام!

ولأول مرة ينشر خبر الإفراج عن مصطفى فى جريدة الأخبار قبل نشره فى الأهرام. وفوجىء هيكل بالخبر تماماً. وكان فى غاية الحزن، وعاد فى اليوم التالى وكتب أنه إفراج صحى.

وفى نفس اليوم الذى أفرج فيه عن مصطفى اتصل بى محمود أبو وافية وقال: ياريت مصطفى يكتب كلمة شكر هو وعلى أمين؟ كلم الريس؟ فقلت: مقدرش أطلب منه أكثر من كده.

وتحدث أبو وافية بنفسه مع السادات الذى وافق على نشر ما يكتبه مصطفى وعلى أمين. وذهبت إلى على أمين أطلب منه كتابة كلمة، وتركته وذهبت إلى مصطفى أمين فى المستشفى طالباً نفس الشيء، وقال لى مصطفى وهو يضحك: هنرجع نكتب تانى!

وأمسك مصطفى أمين بورقة وقلم وكتب فى دقيقتين كلمة كان عنوانها «عصر العبور» قال فيها:

اليوم أعبر أول خطوة من خطوات الحرية، بعد أن عشت فى ظلام السجن حوالى تسع سنوات ولا أستطيع وأنا أخطو إلى الهواء الطلق خطواتى الأولى، إلا

أن أذكر الرجل الذى فتح لى باب الحرية وفتح قبل ذلك أبواب الحرية أمام مئات المعتقلين، وأعاد العدالة لمئات القضاة، ووفر لقمة العيش لآلاف الذين وضعوا تحت الحراسة من وظائفهم، من حق هذا الرجل أن يطلق على عصره «عصر العبور» عبور الجيش المصرى من الهزيمة إلى النصر، وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة.. وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل، وعبور الخائفين من القلق الرعب إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار، وعبور المقيدين من الأغلال إلى حياة الأحرار.

وأخذت كلمة مصطفى وجريت إلى على أمين فى منزله، لآخذ كلمته، كان على أمين قد مزق عشرات الأوراق دون أن يكتب حرفاً واحداً، وفى النهاية كتب كلمة عنوانها «يارب» قال فى بعض سطورها:

«يا رب لم يهتز إيمانى بك فى يوم من الأيام! كنت أعرف أنك لن تتخلى عنا، لأنك تنصر كل مظلوم، وكنت أحس أن السماء ستفتح لنا أبوابها غداً ولما لم تفتح أبوابها فى الغد انتظرنا بعد الغد.. لم أكفر بك، لم أتململ من الانتظار، انتظرنا دورنا فى الإنصاف، لم نحاول أن نختصر فترة الانتظار، لم نحاول أن ندفع الذين يقفون أمامنا حتى نحتل مكانهم فى صفوف الإنصاف الأولى.

وكنا نعرف أنور السادات منذ ثلاثين سنة، كما نعرف أن الرجل لن ينسى مظلوماً واحداً، ثم جاء دورنا اليوم، وخرجنا إلى النور، عاد مصطفى أمين إلى بيته، وعدت إلى بلادى».

■ ويكمل موسى صبرى.

وأذكر أنه كان موجوداً عند على أمين فى ذلك اليوم صلاح جلال وأحمد رجب، وقلت لصلاح جلال وكان المحرر العلمى للأهرام: أوعى تجيب سيرة لحد! وفعلاً وفى صلاح بوعده ولم يخبر «هيكل» بأى شىء. وفى واقع الأمر أن ما كتبه مصطفى وعلى أمين لم يكن كلمات شكر بل كان مقالتين.

هكذا بدأت حكاية كتابة مصطفى أمين، وبعدها طلب أن تصبح له غرفة فى أخبار اليوم ليستقبل فيها زواره، ثم تطور الأمر بالسماح له بالكتابة!

● **قلت لموسى صبرى: وهل هنا هيكل مصطفى أمين؟!**

■ قال: ذهب هيكل إلى مصطفى أمين ليهنئه بعد الإفراج عنه فقابله ببرود وعندما حاول أن يعانقه، رفض مصطفى، وكانت مقابلة باردة فاترة لم تستغرق

سوى دقائق، استأذن هيكل بعدها فى الانصراف، ولم يطلب منه مصطفى أو على البقاء!

● مازال تساؤلى قائماً.. هل هى الصدفة التاريخية أن يتوافق خروج هيكل مع مجىء على أمين إلى الأهرام؟
يجيب الأستاذ جلال الحمامصى فى كتابه «القربة المقطوعة» بأن عودة على أمين حملت دلالات كثيرة أكدت لهيكل أن أمره انتهى (ص ١٢٨).

■ وقال لى موسى صبرى: عندما عين السادات «هيكل» مستشاراً له فإنه عين د. عبد القادر حاتم رئيساً لمجلس إدارة الأهرام، والذى جرى بعدها أن على أمين كان يزور د. حاتم فى مكتبه وقال له: أنا مستعد أساعدك بأى طريقة.. حتى لو اشتغل «سكرتير فنى» فى الأهرام! واتصل د. حاتم بالسادات وروى له ما قاله على أمين! ورد السادات على حاتم بقوله: أنا عارف قيمة على أمين كويس.. وعينه مدير تحرير للأهرام!

هكذا ببساطة تم تعيين على أمين فى الأهرام، وعاد مصطفى للكتابة فى أخبار اليوم.

فى ذلك الوقت كان إحسان عبد القدوس رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ورئيساً لتحريرها وأنا رئيس تحرير الأخبار، وطلب إحسان أن يترك أخبار اليوم لأنه أحس أن وجوده فى أخبار اليوم قد أصبح غريباً، لأنه بعد رجوع مصطفى أمين التف حوله كل المحررين والصحفيين، فشعر إحسان أنه غير موجود، وذهب إلى الأهرام وتم تشكيل جديد لمجلس إدارة أخبار اليوم رأسه على أمين، ومصطفى أمين رئيس تحرير لأخبار اليوم!

● قلت: ماذا تعلمت من مصطفى أمين؟!

■ قال: قبل قيام الثورة كان الأستاذ مصطفى أمين نجم المسرح السياسى فى الصحافة، وتعلمت منه اللعب على المسرح السياسى، وكيف يلمع النجم الصحفى على المسرح السياسى من وراء الستار، كيف يصنع الصحفى الأخبار، وكيف يشارك فى صناعة الحدث والأحداث.. تعلمت منه كيف يعمل الصحفى وهو نائم، وهو يحلم، وهو يأكل، وهو يحب، وهو يستقبل اصدقاءه، وهو يقيس بروفة بدلة!

● قلت: وماذا تعلمت من توأمه الراحل الكبير «على أمين»؟!

■ قال: تعلمت منه الإخراج الصحفى كفن، لأن مصطفى أمين ما يعرفش يعمل ميزانباج أو ماكيت، سبق لى أن تعلمت الإخراج الصحفى على يد الأستاذ جلال الحمامصى أثناء عملى معه فى «الأساس» ثم «الزمان» ولكنى استكملت هذا الفن مع على أمين .. منه أيضاً تعلمت كيف تكتب القصة الإنسانية فى الصحافة بشكل مؤثر فلم تكن صحافتنا تعرف شيئاً اسمه «القصة الإنسانية».

وعلى أمين - رحمه الله - إنسانى بطبيعته يذوب رقة، قلبه شفاف كطفل ومرتعش كعاشق، عكس شقيقه مصطفى أمين فهو بلا عواطف، قد يكتب فى الحب والإنسانية والعواطف ولكن قلبه جامد كالصخر!

وليس سراً أن على أمين كان مصدر الحماية الوحيد لهيكل فى أخبار اليوم منذ انضمامه إليها، وكان يتبناه ويعامله كابن له كما أطلق هيكل اسم «على» على واحد من ابنائه، وعندما قرر محمد التابعى أن يبيع مجلته آخر ساعة للأخوين مصطفى أمين وعلى أمين فقد حرص على أن يأخذ هيكل، وعندما قرر مصطفى أمين فصل ورفد هيكل من أخبار اليوم أعاده على أمين وأخذ يشجعه، بل كان يبرر له بعض أخطائه الصحفية عند مصطفى أمين شقيقه؟!

● قلت له: ماذا تقصد بعبارتك الأخيرة؟!

■ قال: فى بداية التحاق هيكل بأخبار اليوم أوفدوه إلى سوريا لتغطية مؤتمر بلودان الذى حضره عدد من الزعماء العرب، وأخذ هيكل يرسل بتحقيقاته من هناك، وكتب مصطفى بنفسه مانشتات وعناوين تحقيقاته فى أخبار اليوم، كان هيكل قد أرسل أحاديث مع هؤلاء الزعماء، اتضح بعدها أنها قيلت فى الجلسة الافتتاحية ولم يخص أحداً بها هيكل، وبعد عودة هيكل إلى مصر أصر مصطفى على فصله، وتوسط كامل الشناوى وقال بطريقته الساخرة فى تخفيف الكوارث: هيكل شاب.. ومعذور، بيدخل مكتبك يلاقى عندك رئيس الوزراء! يروح لعلى أمين يلاقى مكرم عبيد باشا.. بييجى عندى يلاقى النقراشى باشا.. فهو نفسه يبقى حاجة كبيرة ومعلهش بقى! ولم يصفح مصطفى أمين إلا بعد تدخل على أمين شخصياً. وهو الذى عينه بعد ذلك بسنوات نائب رئيس تحرير ثم رئيس تحرير آخر ساعة وكتب افتتاحية آخر ساعة عن هيكل.

أذكر مرة وكان على أمين خارج مصر، أن اجتمع كل محررى آخر ساعة بمصطفى أمين. كان هيكل وقتها نائب رئيس تحرير وقل المحررون لمصطفى: إما هيكل وإما نحن فى آخر ساعة وهذه استقالاتنا جاهزة! وقال لهم مصطفى: أنتم تستتنوا.. وهيكل يمشى! وبعد أيام عاد.. «على أمين» وعرف ما جرى فى غيابه وجمع كل محررى آخر ساعة وقال لهم: كلكم تمشوا من آخر ساعة.. وهيكل يبقى موجود!

هذا هو الفرق بين على أمين وشقيقه مصطفى أمين، وكان جزاء الاثنين هو ما فعله هيكل بهما فى كتابه «بين الصحافة والسياسة».. ومن قبله ما فعله بالسادات فى كتاب «خريف الغضب» كان هذا جزاء من أحسن إلى هيكل ذات يوم..

● سألت موسى صبرى: عن موقف السادات من الذين هاجموا هيكل؟! وهل كان السادات سعيداً بذلك؟! وهلى كان يشجع عليه؟!

■ قال موسى صبرى: عندما كتب هيكل مقاله «عبد الناصر ليس أسطورة» فى ذكرى الأربعين لوفاة عبد الناصر، وحدث فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، وكان برئاسة السادات. أن السيد لبيب شقير وكان وقتها رئيس مجلس الأمة استعرض المقال وكان رأيه بعدها أن هيكل ارتكب جريمة الخيانة العظمى عندما طعن فى عبد الناصر.. وطلب السادات تأجيل الموضوع لجلسة تالية.. وكانت المفاجأة أنه فى الجلسة التالية استدعى السادات «هيكل» وطلب منه شرح وجهة نظره فى مقاله كاملاً.. وكان جواب السادات.. عندما يتهم شخص بالخيانة العظمى، ونحن جميعاً نعلم أن كان قريباً إلى عبد الناصر فلابد أن يأتى إلى هنا كى يدافع عن نفسه.

وكان ذلك الهجوم على هيكل جزءاً من صراع مراكز القوى بين بعضها البعض.

بعد ذلك بفترة قصيرة جاءت قرارات ١٥ مايو ١٩٧١، وحدثت تغييرات صحفية فى كافة الموسسات الصحفية باستثناء الأهرام، قبل تلك التغييرات كان إحسان عبد القدوس رئيس تحرير أخبار اليوم ويوسف السباعي رئيس تحرير

آخر ساعة وأنا رئيس تحرير الأخبار، وأذكر أننى كنت فى زيارة للرئيس السادات وفوجئت به يقول لى: أنا ها أعملك رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم يا موسى.

فقلت له: مش معقول إحسان عبد القدوس موجود ويبقى هو رئيس مجلس إدارة، وبعد ذلك بأيام صدرت قرارات التغييرات فى الصحف وكنت وقتها أرقد فى المستشفى مريضاً وزارنى إحسان عبد القدوس وقال لى: أنا جاى أشكرك لأن السادات أبلغنى بترشيحك لى رئيساً لمجلس الإدارة، وأن إحسان سأل الرئيس طب وموسى صبرى فقال له السادات: إن موسى هو الذى رشحك!

المهم أن إحسان كصديق وزميل من «ألذ» ما يمكن، لكنى اصطدمت معه مرة بسبب هيكل، كنت قد كتبت مقالاً هاجمت فيه محمد حسنين هيكل هجوماً عنيفاً.. وبالصدفة جاء إحسان يسألنى: كاتب إيه النهارده؟! فقلت له: بهاجم هيكل! فقال لى: بلاش.. ومفيش داعى لأنه مايستاهلش! فقلت لإحسان هذا رأيى وأنا مُصر عليه! ورد بقوله: ولكنى رئيس مجلس الإدارة! فقلت: وأنا رئيس التحرير المسئول، وهذا حقى! قال، خلاص نحتكم لأنور السادات. فقلت له: لا ما نحتكمش!!

وخرج إحسان من مكتبى، فأخرجت ورقة وكتبت استقالة.. وبعد مدة عاد إحسان مرة أخرى إلى مكتبى، ويبدو أنه اتصل بالسادات وشرح له الموقف، فالسادات انتصف لى جزئياً.. فقد قال السادات انشروا المقال كما هو لكن بلاش اسم هيكل!! وأنا وافقت لأن كل قارىء فى مصر قرأه عرف أن المقصود هو هيكل! وثانى يوم كتبت مقالاً آخر أيضاً.. والمقالان كان عنوانهما هو «المبشرون بالهزيمة».

● قلت له: بعد رحيل الرئيس السادات صدر للأستاذ مصطفى أمين كتاب «أفكار ممنوعة» قال فيه: أعلنت الرقابة على الصحف عقب حريق القاهرة إلى أن ألغاها الرئيس أنور السادات فى عام ١٩٧٤، ثم أعلنت الرقابة الخفية، فكانت مهمة رؤساء التحرير الشطب بعد أن كانت مهمتهم النشر.

■ قال الأستاذ موسى: رئيس التحرير ليس ساعى بريد أو «بوسطجى» يتسلم المقال من الكاتب ليرسله إلى المطبعة كى ينشر فى اليوم التالى، ولكن هناك

سياسة عامة يلتزم بها رئيس التحرير وكل رؤساء التحرير فى العالم شرقاً وغرباً ينشر ما يراه متفقاً مع سياسة الجريدة، ويحذف ما يوجب المساءلة القانونية له كرئيس تحرير.. فإذا لم يكن رئيس التحرير مقتنعاً بهذه السياسة عليه أن يستقيل وسيقبض مرتبه وكل حاجة فلم يكن السادات من هواة قطع الأرزاق!

ثم إننى لم أشوه مقالات لأحد، نعم مصطفى أمين كاتب كبير، وجلال الحمامصى كاتب كبير، وأحمد أبو الفتح كاتب كبير، فإذا كانت الظروف جعلتنى رئيساً للتحرير عليهم فهذا وضع لا أملك فيه شيئاً، لأننى سأترك موقعى ومسئولية رئاسة التحرير وسيصبح تلامذتى رؤساء للتحرير، وهكذا.

● قلت : فى نفس الكتاب روى مصطفى أمين وقائع محددة أريد عليها شهادتك، فمثلاً يقول مصطفى أمين : قال لى موسى صبرى : إن الرئيس السادات اتصل به فى المساء وقال له : أنه قرر أن يمنعنى من كتابة فكرة ومن كتابة الموقف السياسى فى أخبار اليوم (ص ١٢) ومن سخرية القدر أن الرئيس عندما أوقف فكرة ! هو الذى طلب من موسى صبرى نشر قصة «سنة أولى حب» فى أخبار اليوم لتخفيف صدمة القراء بوقف فكرة، وهو الذى أمر بوقف نشر قصة «سنة أولى حب»، وطلب منى موسى أن أختم القصة فرفضت ! فعرض أن يختم هو القصة فقلت له : إن القرار الجمهورى بقفل القصة وليس بتشويه القصة (ص ٦٣ و ٦٤).

■ قال موسى صبرى: الحقيقة أن السادات لم يطلب منع نشر مسلسل «سنة أولى حب» لمصطفى أمين ولكن ما حدث بالضبط هو أننى كنت أجلس مع السادات فى القناطر وكان فيه شغل معاه وبعد أن انتهينا منه سألنى الرئيس السادات فجأة: قل لى يا موسى: هل أخبار اليوم جريدة يكتب فيها كل المحررين أم يكتبها كلها محرر واحد؟! وسألته: ليه يا ريس؟ وأجابنى بسؤال آخر: من يكتب الموقف السياسى يا موسى؟ قلت: مصطفى أمين! عاد ليقول: ومن يكتب فكرة يا موسى؟ أجبت: مصطفى أمين! وعاد ليسأل: من يكتب رسائل القراء فى

باب عزيزتى أخبار اليوم يا موسى؟ وأجبت: مصطفى أمين، وسألنى: من يكتب مسلسل «سنة أولى حب» ويشغل صفحة كاملة يا موسى؟ قلت: مصطفى أمين!

وأشعل السادات البايب ليسألنى بعدها: هل أخبار اليوم بحالها ما فيهاش محررين أبداً؟ هل تصدر أخبار اليوم لمجرد أن كاتباً واحداً يكتب كل هذا بها؟ ثم قال لى: ثم أنا أفهم أن الموقف السياسى أو افتتاحية «الجرنان» يكتبها رئيس التحرير يا موسى مش كده؟.

وانتهى الحوار مع السادات ووجدته منطقياً وعدت لأخبار اليوم واجتمعت بالأستاذ مصطفى أمين ورويت له كل ما قاله السادات.

اتفقنا أن رئيس التحرير هو الذى يكتب الموقف السياسى، وبالنسبة لقصة «سنة أولى حب» فالحقيقة أن قصص مصطفى أمين تمتاز بالطول الشديد، يعنى تلاقى القصة مثلاً ١٠٠ حلقة، وأذكر أننا كنا قد وصلنا فى نشر «سنة أولى حب» إلى الحلقة الـ٣٤ أو حاجة زى كده، فاقترحت عليه أن نختار وقفة مناسبة لها، وفعلاً قرأت الحلقات الباقية واخترت له وقفة مناسبة، وكانت الوقفة سهلة، لأن القصة نفسها كانت حوالى ٢٠ قصة فى بعض! وقال لى مصطفى أمين: ولكن لن أكتب كلمة «انتهت» أو «تمت» فى نهاية القصة. ووافقته قائلاً: هذا حقك!

واستمر مصطفى يكتب فكرة بعد ذلك، أدى الحكاية كلها!

● وعدت لأقول: أورد مصطفى أمين فى كتابه السابق على لسان السادات قوله: هو مفيش فى البلد غير مصطفى أمين؟ هل مصطفى أمين رئيس جمهورية حتى يرسل الناس تبرعاتهم له فى «الدنيا بخير»؟

■ قال موسى صبرى: حكاية التبرعات باختصار شديد، أن مصطفى أمين كان يتلقى التبرعات، وكانت تنشر بالشكل التالى: تلقى مصطفى أمين مبلغ كذا من فلان! وتلقى مصطفى أمين مبلغ كذا من علان وتلقى مصطفى أمين مبلغ كذا من كذا.. الخ.. يعنى ينشر اسمه مع كل صاحب تبرع فكان اسمه ينشر ٥٠ مرة مثلاً، فهل كانت هذه التبرعات لشخص مصطفى أمين؟! أم كانت له كممثل لأخبار اليوم، بالطبع كانت لمصطفى أمين كممثل لأخبار اليوم.

والحقيقة أن السادات لم يقل هل مصطفى أمين رئيس جمهورية، وحديثه كان معى ونقلته بأمانة كاملة إلى أستاذى مصطفى أمين.

● عدت لأقول لموسى صبرى: مازلنا نذكر ماذا جرى عندما قرر السادات النزول للشارع السياسى وأعلن عن تشكيل الحزب الوطنى الديمقراطى، وكتب مصطفى أمين فى فكرة يقول: كنت أتمنى لو أن أعضاء مجلس الشعب لم «يهرولوا» إلى الانضمام إلى حزب الرئيس السادات.

■ قال موسى: بعد تكوين حزب مصر، لم يكن السادات راضياً عنه. وعندما كتب مصطفى أمين مقاله كنت وقتها فى الاسكندرية فلا أدعى بطولة تحمل نشرها وإن كان ذلك لا يمنع أن نالنى جزء من غضب السادات نفسه. وما ضايق السادات فعلاً من فكرة مصطفى أمين وقال لى: إن مصطفى وضعنى فى موقف محرج جداً، وكان علىّ أن أختار إما مصطفى أمين وإما أعضاء الحزب.

● وهل كان السادات مقتنعاً أن مصطفى أمين صادق النية؟!

■ قال: لا. السادات عمره ما اقتنع بصدق نوايا مصطفى أمين، ولكن كان يحترمه كمهنى وحرفى وكان يقول عليه أنه معلم فى الكتابة، وكان عارفاً أن نوايا مصطفى أمين هى هدم كل ما يرتبط بثورة ٢٣ يوليو.

الحقيقة أن هذا الهجوم بدأ بعد الأفراج عن مصطفى أمين وعودة على أمين للصحافة. وكان هذا هو سبب غضب السادات غضباً شديداً وانتهى الأمر إلى مقاطعة على ومصطفى أمين، وعندما نشر الحمامصى كتابه «حوار وراء الأسوار» واتهم ذمة عبد الناصر المالية، ونشرت أخبار اليوم تلخيصاً للكتاب للزميل نبيل أباظة وثارت ضجة كبيرة، قام السادات بالاتصال بمصطفى أمين تليفونياً وسأله: الكلام ده جايبينه منين؟

فقال مصطفى أمين له: جلال الحمامصى عنده مستندات تؤكد هذا الكلام! وأمر السادات بالتحقيق فى الموضوع وتشكلت لجنة تحقيق وظهر أنه اتهام غير صحيح. وأعلن السادات بنفسه براءة ذمة جمال عبد الناصر من تهمة تهريب أموال خارج مصر!

وبالمناسبة لقد سألت السادات بشكل واضح وصريح ذات مرة: هل هناك أموال أودعها عبد الناصر فى الخارج وأنك تحاول استردادها؟ وأقسم السادات لى بأن هذا غير صحيح وهى كلها افتراءات حول الرجل، ولو كان عبد الناصر قد فعل شيئاً من هذا لكان أخبرنى وقد كنت قريباً منه!

● قلت : بالمناسبة ما ظروف عودة الأستاذ الحمامصى للكتابة فى عهد الرئيس السادات؟!

■ قال: عندما تم تشكيل مجلس إدارة أخبار اليوم وأصبح «على أمين» رئيس مجلس إدارة ومصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم وعينت أنا نائب رئيس مجلس الإدارة، وكنت وقتها في يوغسلافيا وعندما عدت، حكى لى مصطفى أمين أن السادات طلب منه أن يعيد أخبار اليوم لمجدها القديم فقال له: إننى أريد نقل جلال الحمامصى من الأهرام لينضم إلينا فى الأخبار ويصبح أحد رؤساء التحرير، ووافق السادات على ذلك الطلب، وبدأ يكتب عموده الشهير «دخان فى الهواء» وكتب مصطفى أمين سطورا يقدم بها الباب، أذكر أنه قال: اليوم يعود «دخان فى الهواء» بعد عودة حرية الصحافة.

وجلال الحمامصى لم يمنع من الكتابة، ولكن هو الذى امتنع من تلقاء نفسه! كانت كل مقالاته دعوة للتيئيس وبث اليأس وأنه مفيش فايدة «مفيش فايدة»، هنا اختلفنا وقد أصبحت رئيساً للتحرير، فكنت ضد دعوته للتيئيس وأنه لا فائدة وهنا اختلفنا، ومقالات كتبها شعرت أنها تجريح فى رئيس الدولة لم أكن أوافق عليها.

● وظروف عودة الأستاذ «أحمد أبو الفتح»؟!

■ قال: أنا لا أعرف خلفيات عودته بالضبط، لكن ما حدث هو أن على أمين تعاقد معه على أن يكتب فى أخبار اليوم، وأعتقد أن على أمين استأذن الرئيس فى ذلك بالطبع! وفى الفترة التى كان يكتب فيها فى الأخبار اختلفت معه على بعض المقالات. لأنه عاد من الخارج وهو مؤمن بفكرة ثابتة أنه يجب محاربة كل ما يرمز لثورة ٢٣ يوليو، وأن ما قبل ٢٣ يوليو هو الحرية والرخاء و.. و.. وهذا مضلل وخطير للشباب: بالطبع كان خط تلك المقالات يخالف الخط السياسى تماماً للأخبار وكان لا يرى فى ٢٣ يوليو سوى التعذيب.. والحراسة والاعتقالات،

وأنا ضد هذا فعلاً لأنها أخطاء وقعت فيها الثورة، ولكننى مع ثورة يوليو فى كل تغيير اجتماعى أحدثته.

المهم أننى كنت أتفاهم معه على تخفيف هجومه ويرضه مفيش فايدة، وذهبت لزيارته فى منزله وسألته: لماذا لا تأتى لأخبار اليوم؟ فقال: أنا حلفت ما أدخل أخبار اليوم إلا بعد ما ترجع المصرى لى! ولعلك تعرف أن القضاء ينظر الآن قضية رفعها أبو الفتح يطالب فيها بعودة جريدة المصرى له بعد أن أغلقتها الثورة عام ١٩٥٤ بحكم من محكمة الثورة!

ثم امتنع عن الكتابة فى الأخبار، وأخذ يكتب فى أخبار اليوم ثم حدثت مشاكل فلم يعد يكتب!

● قلت للأستاذ موسى صبرى: ولكن لن يصدق أحد أن السادات لم يقرأ أو على الأقل كان يعرف محتوى كتاب المهندس عثمان أحمد عثمان «تجربتى» الذى هاجم عبد الناصر هجوماً مريراً وأثار ضجة فاقت ضجة كتاب الحمامصى، كانت المعارضة ترى أن السادات بارك صدور الكتاب وكان يعلم ما به علم اليقين؟

■ قال: لا.. لا.. أبداً بالعكس إن هذا الكتاب كان السبب الأكبر وراء الغضبة الكبرى التى غضبها السادات على عثمان أحمد عثمان، ولم يغضب على أحد مثلما غضب عليه بعد أن صدر الكتاب.. والحكاية أن عثمان كان يتمشى مع السادات قبل صدور الكتاب بسنتين وقال له: أنا نفسى يا ريس أكتب كتاب للشباب أروى فيه تجربتى لهم! فقال السادات لعثمان: والله حاجة كويسة يا عثمان! وانتهى الأمر. وعندما صدر الكتاب أذكر أن مصطفى أمين زارنى هنا فى مكتبى وسألنى: هل قرأت كتاب عثمان تجربتى؟ فقلت لا. فقال لى: إن الكتاب يهاجم عبد الناصر بشدة ولابد أن يكون السادات على علم بكل حرف كتبه عثمان! وقلت لمصطفى أمين: أقطع دراعى من غير ما أسأل السادات أنه لا يعرف ما هو مكتوب، لأن السادات لا يسمح أبداً بالهجوم على عبد الناصر فى كتاب وبالذات من أقرب الناس إليه.

وبعد ذلك ويشهد على هذه الواقعة الزميل إبراهيم سعده رئيس تحرير مايو وقتها أن السادات قال لإبراهيم سعده بالحرف الواحد: الوحيد اللى فاهمنى موسى صبرى! أنتم تعرفونى من قريب، لكن موسى لم يتصل بى ويستوضحنى لكنه فاهم أنا إيه كويس قوى!

ولذلك قاطع السادات عثمان وغضب عليه ولم يسمح له بزيارته، وحل عثمان هذه المشكلة بأن قدم استقالته من الحزب. وفي زيارة السادات للمنصورة قبل وفاته بأيام قليلة صالح عثمان وعاد معه على نفس الطائرة. ويوم ٦ أكتوبر أبلغ السادات عثمان أن يذهب معه إلى وادى الراحة بعد يومين. ولكن جرى ما جرى فى ٦ أكتوبر.

إنما السادات تألم ألماً فظيعاً من عثمان، وكان يقول لى: المشكلة يا موسى أن مفيش حد حا يصدق أنى مكنتش عارف إيه المكتوب فى كتاب عثمان!

● قلت: وكانت صحافة المعارضة - الشعب بالتحديد وفي مقال للدكتور حلمي مراد - تتساءل عن وضع السيدة چيهان السادات وتدخلها في قرارات السادات؟

■ قال: غير صحيح على الإطلاق، وليس لها دخل إطلاقاً بأى من القرارات التى اتخذها السادات وعندما خرج «منصور حسن» من الوزارة بعد سبتمبر ١٩٨١، وكانت تربطه صداقة عائلية بأسرة السادات سواء مع أولاده أو السيدة چيهان، فقد علموا بالخبر من الصحف، وكل ما يقال عن تدخل السيدة چيهان تشهير وكذب!

■■

● كانت أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ بمثابة شهر العسل ليس بين السادات والمعارضة فقط بل بين السادات ومدرسة روزاليوسف الصحفية. صحيح أنه بعد ذلك التاريخ صودرت الأهالي لسان حال حزب التجمع، والشعب لسان حال حزب العمل. إلا أن قيادة روزاليوسف نحيت، لقد قال لي الأستاذ صلاح حافظ في حوارى معه على صفحات صباح الخير: أحس السادات أننا تخلينا عنه وأن الشرقاوى طعنه في الظهر لأن

السادات شعر يومها أنها كانت لحظة طرده من السلطة !
وعندما أعلن السادات سحب القرارات الاقتصادية وتحدث مع الأستاذ الشرقاوى وقال : يا عبد الرحمن بلاش إثارة ! وكان معنى كلام السادات الا نقول الحقيقة وأن نترك الكذبة تنطلى على الناس.
وقال لى الأستاذ لويس جريس : ابتداء من ١٨ و١٩ يناير كنا سامعين أن حايحصل تغيير أحسسنا أن هناك جفاء بين السادات والشرقاوى، ولم يكن الشرقاوى يذكر ذلك، ولكن كانت البوادر تنبىء بذلك، وبعد ذلك بفترة قابل الشرقاوى السادات ودار حوار لم يفصح عنه الشرقاوى لنا، ولكن السادات قال له : قيادة روزاليوسف ستتغير يا عبد الرحمن !

■ ابتسم موسى صبرى وقال لى:

التغيير الذى جرى بالنسبة لروزاليوسف كان نتيجة موقفهم من ١٨ و١٩ يناير ولقد اختلفت مع صديقى صلاح حافظ وقتها وتبادلنا آراء ومقالات ودافع كل منا عن وجهة نظره، كان ملخص وجهة نظر روزاليوسف وقد نشرت بالفعل أن «إلقاء تبعات التخريب على تنظيم سرى يسمى نفسه حزب العمال الشيوعى» ثم تعميم المسئولية وإلقاء التبعة على كل الماركسيين والشيوعيين إنما هو تستطيح للأمور.. هذا ما قاله الشرقاوى مثلاً، ورددت على صلاح حافظ بمقال نشرته روزاليوسف.

● عدت لأقول : إن ما كتبته روزاليوسف وقتها أن الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه، وكان ذلك ببساطة أنهم مع السادات وليس ضده؟

■ قال: معلهش.. إنما إيه هو الحريق ده حكاية تانية. إنما مفيش شك أن السادات تأثر جداً بعد حوادث ١٨ و١٩ يناير، لأنه كان قد بدأ عهداً جديداً، وفتح أبواب الديمقراطية وجاءت التنظيمات الشيوعية لتستغل ذلك كله، وعلى فكرة، عبد الرحمن الشرقاوى هو الذى قدم استقالته وكتبها عندى هنا فى مكتبى وأنا الذى أرسلتها للسادات بنفسى.

● قلت : وماذا كان رأى السادات فى مضمون الرسالة؟

■ قال: السادات كان يحترم عبد الرحمن الشرقاوى تماماً، وكان يعتقد أنه رجل متأثر بالمبادىء الماركسية لكنه مصرى صميم ولا يتعامل إلا من منطلق وطنى، وأيضاً كان السادات يقول عن صلاح حافظ أنه يكتب رأياً ماركسياً ولكنه نابع من مصريته، وكان هذا مبعث تقدير السادات له.

● لماذا تعادى اليسار؟

■ قال: أنا لا أعادى اليسار، هذا غير صحيح، وأنا أصنف نفسى دائماً على أننى يسارى غير شيوعى!

● سألت موسى: نادراً ما أدلى عبد الناصر بحديث لصحفى مصرى - ربما كان هيكل استثناء - بعكس السادات الذى حظيت صحافة مصر منه بعشرات الأحاديث!

■ قال: لا شك أن السادات كان يقدر الصحافة والصحفيين، فهو اشتغل مع معظم الصحفيين ويكاد يعرفهم واحداً واحداً، ويعرف كفاءة كل صحفى، ويعرف خلفية كل صحفى أيضاً، لذلك كان بابه مفتوحاً للجميع بعكس عبد الناصر الذى اكتفى بهيكل.

وكان السادات فى لقاءاته بالصحفيين مرحاً وودوداً، أذكر مرة فى بداية حكمه وكان قد دعا رؤساء التحرير ورؤساء مجالس الإدارة ليجتمع بهم فى القناطر، وفوجىء السادات بفوزى عبد الحافظ سكرتيره وقد وضع الكراسى التى سنجلس عليها على شكل صفوف متوازية.. فقال السادات له: إيه يا فوزى اللى أنت عامله ده.. إحنا قاعدين فى فصل مدرسى، ثم قال لنا: تعالوا يولاد قربوا كده نتلّم على بعض.. احنا كلنا عيلة واحدة!

موقف آخر وكان عقب طرد الخبراء الروس.. اجتمع السادات بنا، وكان يجلس إلى جواره المهندس عزيز صدقى رئيس الوزراء وقتها، وكان يجلس معنا المرحوم فكرى أباظة شيخ الصحفيين، وفى بداية الاجتماع قال السادات ضاحكاً لعزيز صدقى: قوم يا عزيز أقعد مع الصحفيين! ثم نادى على شيخ الصحفيين قائلاً: تعال يا عم فكرى أقعد جنبى.. تعال يا راجل!

وأراد السادات بهذا الموقف - كما روى لى - أن يرد اعتبار شيخ الصحفيين فكرى أباظة فى هذا الجو وأمام كل رؤساء التحرير. فقد سبق أن أصدر عبد

الناصر قراراً بفصله من المصور، والسبب سطور قليلة كتبها طالب فيها بالحرية، وحدث أن زاره هيكل وأقنعه بضرورة كتابة اعتذار لعبد الناصر، نشر اعتذار الرجل على صفحات الأهرام.

● قلت : فى الأحاديث التى أجريتها مع السادات هل كان جهاز التسجيل وسيلتك أم كان يتكلم وتكتب إجاباته ؟ !

■ ضحك وقال: على فكرة السادات كان يعتبر أى صحفى يذهب إليه بدون جهاز تسجيل صحفى متخلف، وكان يقول للصحفى: يابنى فيه دلوقتى حاجة اخترعوها اسمها جهاز تسجيل، وكان قبل بدء الحديث حريصاً على أن يطمئن بنفسه على أن جهاز التسجيل يعمل! وكان يتندر من أن السيدة أمينة السعيد أجرت معه حديثاً صحفياً ثم اكتشفت ن الجهاز لم يكن يشتغل!

وعموماً كان السادات يحب الأشياء المتقدمة، والتكنولوجية، ولذلك كنت تجد فى مكتبة أحدث الأجهزة الالكترونية الحديثة بحيث يتمكن من الاتصال بجميع أنحاء العالم وقتما يشاء.

● قلت : هل كان يطلب السادات قراءة أحاديثه قبل نشرها ؟

■ قال: لا.. لم يكن يهتم بذلك!

● قلت : أحاديث متعددة أدلى بها السادات إلى صحفيين عديدين مثلاً عبد الرحمن الشرقاوى، عبد الستار الطويلة، أنيس منصور، إبراهيم سعده، وأنت ؟ ! ماذا كان يستهويه أو يعجبه فى طريقة كتابة كل واحد للحديث الصحفى معه !

■ قال: كان يستهوى السادات العبارة الجميلة، والجملة الرشيقة، والتعبير المبتكر البليغ، ولو أن حديثه الصحفى مثلاً أحدث ضجة عالمية ما كان يهتم، قدر اهتمامه بحلاوة الأسلوب وجماله الذى ظهر به الحديث، مرة كنت عنده، وكنت قد أجريت حديثاً نشر فى الأخبار، وكان يقرأه.. فكان يتوقف أحياناً ليقول: الله.. الله يا موسى الله!

فى أحيان كثيرة كان الفنان داخل السادات يتغلب على السياسى!

● قلت : هل أهديت للسادات أياً من كتبك ؟ !

■ قال: نعم أهديته كتابين الأول وثائق حرب أكتوبر، والثانى وثائق ١٥ مايو، وأرسل لى خطاب تقدير بعد قراءته للكتاب.

● قال: هلى أهداك السادات كتابه «البحث عن الذات»؟!

■ قال: نعم، وبخط يده كتب إهداء رقيقاً يقول: إلى زميل رحلة العمر!

● هل كان بينك وبين السادات رسائل متبادلة؟

■ قال: أذكر مرة عندما سافرت بصحبتى زوجتى إلى أمريكا للعلاج، كتبت للسادات خطاباً عاطفياً جداً، وتصوفياً أشكره على موقفه من أن زوجتى عولجت فى الخارج على نفقة الدولة، ولم يكن باستطاعتى أن أعالجها على حسابى، وأذكر أن السادات اتصل بى تليفونياً من القاهرة وشكرنى وقال لى: إن ما فعله مع زوجتى يفعله مع كل الناس!

■■

وأنا ألملم أوراقى وشرائط الكاسيت المبعثرة (١٢ شريطاً مدتها ١٥ ساعة) تذكرت سطراً له فى كتابه «قلبى يرتجف» قال فيه: سيدى قلبى: كن معى.. حتى لو كتبوا على قبرى «ولد إنساناً.. ومات صحفياً» وسألته: عبر ٤٠ سنة صحافة منها ٣٥ عاماً داخل أخبار اليوم، ماذا أعطتك أخبار اليوم؟!

قال: أخبار اليوم أعطتنى عشق الصحافة، حبى للصحافة تحول على يديها إلى عشق، والعشق يعنى التفانى والفناء فى هذه المهنة. هل هذا خير أم شر؟ هذه علامة استفهام! فعندما تتفانى فى هذه المهنة تنسى كل شىء وتصبح هى عائلتك والصحافة فعلاً زوجة لا تقبل ضرة ولا شريكاً ولا منافساً! لقد أحببتها واستعبدنى هواها! مهنة تعطى ولكنها لا ترحم، مهنة تجذب بسحرها من يخدعهم هذا السحر ثم يعانون لوعته ومرارته ولكنهم يستعذبون اللوعة والمرارة.. إنه حب أسير.. يستمتع بالأغلال!

أعطتنى الصحافة شعوراً بالانتماء للمكان الذى أعمل به، كل محرر هنا فى أخبار اليوم يشعر أنه جزء لا يتجزأ من المكان، هذا الشعور والإحساس تجده فى روزاليوسف وصباح الخير، إنما لا تجده فى جرائد أخرى، علمتنى أخبار اليوم وعودتنى على كل الاتجاهات والآراء، لكن فى نطاق الأسرة الواحدة المتحابة.

أحمد حمروش

«الضباط يحكمون الصحافة»!



أحمد حمروش واحد من ثوار يوليو ١٩٥٢ .. حيث كان مسئولاً عن الحركة في مدينة الاسكندرية. عقب نجاح الثورة عرض على جمال عبد الناصر إصدار مجلة أو صحيفة تعبر عن الجيش، ووافق عبد الناصر، وهكذا صدرت مجلة «التحرير» التي رأس تحريرها ..

أحمد حمروش أحد الوجوه العسكرية التي أثبتت نجاحها في بلاط صاحبة الجلالة صحفياً وكاتباً ورئيساً للتحرير في كافة المجلات والصحف التي تولى مسئوليتها منذ مجلة «التحرير» حتى «روزاليوسف».

أحمد حمروش تصدى أخيراً لمهمة جديرة بالتسجيل والإعجاب. حيث بدأ كتابة «ملحمة ثورة يوليو»، وصدر منها ثمانية أجزاء! كان آخرها «غروب يوليو».

■■

● قلت: بداية المشوار الصحفي بعد ثورة يوليو؟

■ قال الأستاذ أحمد حمروش: بعد أن نجحت حركة الجيش في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، وكنت في هذا الوقت مسئولاً عن حركة الضباط في الأسكندرية، وفوجئت بأنه مطلوب مني الانتقال إلى القاهرة، وطلبت أن أكون في إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة، وهذا كان يتجاوب مع هوايتي التي تمثلت في الكتابة في الصحف منذ أواسط الأربعينيات في صحف ومجلات الفصول والأهرام والقصة.

في الإدارة العامة كان يزاملني بعض الضباط، مثل مصطفى بهجت بدوي ووجيه أباظة وكمال الحناوي، يجمع بينهم ثقافات وهوايات أدبية وفنية، لذا فقد فكرت في إصدار صحيفة أو مجلة تعبر عن حركة الجيش، ولم أتردد في عرض الفكرة على جمال عبد الناصر، وكان كل شيء في الأيام الأولى للثورة يمكن تخفيفه بصورة ثورية، ووافق عبد الناصر وبدأت في التنفيذ، ووافق على العمل معي عدد كبير من الأصدقاء والزملاء الصحفيين، منهم عبد الرحمن الشرقاوي وعبد المنعم الصاوي وسعد لبيب وصلاح حافظ ود. يوسف إدريس وحسن فؤاد.

ولما لم تكن هناك ميزانية لإصدار المجلة ذهبنا إلى دار الهلال وقابلنا المسئولين فوافقوا على طبعها على أن نسدد التكاليف من المكسب.. وصدر العدد الأول فى ١٩٥٢/٩/١٦.

وأذكر أننى أخذت العدد الأول من مجلة «التحرير» وذهبت به إلى جمال عبد الناصر لصداقتي القديمة به ولعلمي عن دوره فى تنظيم الضباط الأحرار، فقلّب عبد الناصر العدد بين يديه ثم قال لى: والله حاجة كويسة.. بس وريها للإخوان «يقصد زملاءه فى مجلس الثورة» فى نفس الوقت كانت نسخ المجلة فى المخازن فى انتظار توزيعها فى اليوم التالى، ولما عرضت المجلة على «صلاح سالم» قال لى: أنتم هتوزعوها مجاناً؟ فقلت له بدهشة: ليه هى نشرة «سفارات»؟!

بعدها ذهبت إلى كمال الدين حسين الذى تصفحها ووقف عند تحقيق صحفى مع رؤساء تحرير الصحف المصرية ومنهم أحمد أبو الفتح وأحمد الصاوى محمد وكامل الشناوى وآخرون، ومع التحقيق صورة لى ولمصطفى بهجت بدوى فقال لى كمال الدين حسين مستغرباً: الله.. هو أنتم بقيتم من كبار الصحفيين!

أدهشتنى طريقة التفكير وذهبت إلى جمال عبد الناصر وقلت له: يبدو أن الإخوان عندما عرضت عليهم المجلة للأسف مش فاهمين حاجة، فأرجو أن تعتبرنى متحملاً مسئولية هذه المجلة، وأنت أيضاً تتحمل المسئولية معى لأنك وافقتنى على أن أصدرها!

ضحك عبد الناصر وقال بسماحة وطيبة: يللا.. روح وزع المجلة!

ووزعنا من العدد الأولى حوالى ١٣٠ ألف نسخة، وصارت المجلة حديث الناس فى كل مكان، لأسباب عديدة من بينها أننا نشرنا بعض الأسرار والأخبار التى حصلنا عليها من مصادرنا، ولأول مرة يقرأ الناس لعشرات الأسماء اللامعة فى مجلة واحدة، وأنها مجلة الثورة، ولكن منذ العدد الأول بدأت حملة هجوم على مجلة التحرير من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة أصحاب الاتجاهات المحافظة والذى لم يكن فكرهم متطوراً بدرجة تطور فكر منشورات الضباط الأحرار أو فكر جمال عبد الناصر، فبدأت الحرب وأثاروا الناس ضدها وكذلك الضباط.

وبعد شهرين من صدور المجلة وكنت قد دخلت كلية أركان الحرب وفوجئت بخبر منشور فى جريدة المصرى باستبدالى بثروت عكاشة رئيساً للتحرير وكان برتبة صاغ وقتها، وفوجئت بجمال عبد الناصر يطلبنى ويلح علىّ فى الكتابة ولكنى رفضت وبعدها اعتقلت!

● قلت : يلاحظ المتابع للصحافة المصرية تسلل الضباط الأحرار إلى مناصب رؤساء التحرير ومجالس الإدارات.. لماذا؟

■ قال الأستاذ أحمد حمروش: حرص جمال عبد الناصر دائماً على وضع العسكريين فى رئاسة مجالس إدارات الصحف ورئاسة تحريرها، والبداية مع الصحف والمجلات التى أصدرتها الثورة لتعبر عنها.

مجلة التحرير تولى رئاسة تحريرها ثروت عكاشة بعد إعفائى من العمل فيها فى شهر نوفمبر ١٩٥٢ ثم ضمت إلى دار الجمهورية حيث كان أنور السادات رئيساً لها بعد إعفاء ثروت عكاشة أيضاً.

المساء تولى رئاستها خالد محيى الدين، ثم مصطفى المستكاوى.

الشعب تولاها صلاح سالم ثم لطفى واكد حتى انضمت إلى جريدة الجمهورية.

بناء الوطن المجلة الشهرية رأسها أمين شاكر، والثورة كانت مجلة أسبوعية أصدرتها منظمات الشباب ورأسها صاغ وحيد الدين جودة رمضان.

وعهد إلىّ بإصدار مجلة أسبوعية جديدة تحت اسم «الفجر» عام ١٩٥٦ وشكلت لها مجموعة تحرير ضمت محمود أمين العالم، سعد لبيب، منير حافظ، صالح مرسى، راجى عنايت، رسام الكاريكاتير چورچ البهجورى، ولكنها لم تصدر رغم طبع ثلاثة أعداد منها للتجربة ولم يكن هناك جواب شاف حول: لماذا لم تصدر؟!

نعم كل الصحف التى أصدرتها الثورة رأسها عسكريون ولكنها لم تكن جميعاً تعبر عن رأى واحد.

جريدة المساء لعبت دوراً فى ظهور الفكر اليسارى المتقدم ومخاطبة الجماهير بآراء يسارية متحررة، واهتمت بقضايا الثقافة الجديدة، وتابعت قضايا المجتمع

متابعة موضوعية تميزت بها عن غيرها من الصحف. بينما مجلة «بناء الوطن» مثلاً كانت تدعو إلى الاقتصاد الحر والثقافة الغربية، وجريدة «الجمهورية» عانت من انقلابات إدارية وفكرية لكثرة تغيير الذين تولوا مسئوليتها بعد أنور السادات.

فقد كانت الأيديولوجية مازالت غائبة.. والحيرة طابع التصرفات والتجربة هى أساس الحركة.

● قلت: وحتى الصحف الأخرى كالأهرام والأخبار وأخبار اليوم ودار الهلال وروزاليوسف وهى صحف ومجلات كان لها وزنها حتى قبل ثورة يوليو وطئت إليها أقدام العسكريين فيها بعد؟

■ قال: إن الصحافة المصرية التى تعتبر من أجهزة الدعاية شديدة التأثير فى العالم العربى كانت بعيدة عن التجاوب الحقيقى مع أفكار الثورة المتوهجة، وخاصة أن الرقابة كانت قد ألغيت تماماً عام ١٩٥٦.

يواصل حمروش قائلاً: وكان ذلك أمراً طبيعياً، معظم أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها كانوا من أتباع النظام الملكى المنهار المروجين له، الصحف الوفدية التى تولت - إلى حد ما - معارضة الملك وتجاوبت مع إرادة الجماهير صودرت واختفت «مثل المصرى، وصوت الأمة» وكل الجرائد والمجلات اليسارية صودرت أيضاً.

وصحف أخبار اليوم يملكها على ومصطفى أمين ودورهما معروف فى تأييد الملك ودعم صحف الإثارة والترويج للسياسة الأمريكية، والأهرام كانت ملكاً لأسرة تقلا وظلت خلال تاريخها الطويل بعيدة عن المساهمة الإيجابية مع الإرادة الشعبية المصرية مغلبة الاعتدال والاتزان فى كل شىء، وصحف روزاليوسف يملكها إحسان عبد القدوس ويشاركه فى صدورها مجموعة من الشباب ذوى الآراء السياسية المختلفة، وهى فى آرائها السياسية وأسلوبها الصحفى المتميز بالنقد لا يمكن أن تكون تابعة فى سكون!

ولم يتغير أحد من المسئولين عن تحرير هذه الصحف بعد الثورة، ولم يؤثر نشر كشف المصاريف السرية عام ١٩٥٤ على موقع أحد فى المسئولية، ولم يدخل التطهير داراً من دور الصحف، وعندما تقرر تنظيم الصحف أى تمليكها للاتحاد

القومى وإعطائه سلطة الإشراف عليها وكان ذلك من مؤشرات التأميم المبكرة، وتولى الضباط منصب العضو المنتدب فى المؤسسات الصحفية، وكان صلاح سالم رئيساً لدار التحرير، وحسنين هيكل الصحفى المقرب من عبد الناصر رئيساً لمؤسسة الأهرام ودار الهلال بعد ضمهما لبعضهما وتولى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم!

● قلت : ما الفرق بين تجربة التحرير وتجربة الجمهورية ؟!

■ قال أحمد حمروش: فى البداية أقرر أن مجلة التحرير لم تحتضن أى اتجاه فكرى محافظ، وحتى الكتاب والصحفيين الذين ساهموا فى تحريرها وكانوا من المشهورين والمعروفين قبل قيام الثورة كانوا من أصحاب الفكر المتفتح وليسوا من أصحاب الاتجاهات الرجعية المعروفة بصلاتها بالقصر الملكى أو الاحتلال.

مثلاً الأستاذ «أحمد أبو الفتح» كاتب وصحفى وفدى وطنى مستنير، كامل الشناوى كان على علاقة طيبة بالمجلس العالمى للسلام.

ونجاح مجلة التحرير أعطى نوعاً من الإغراء للثورة أن تدخل مجال الصحافة اليومية كانت الأنفاس قد هدأت واستقرت الأمور، ولم يعد الضباط يأكلون سندوتشات الفول!

وبدأ التفكير فى إصدار جريدة «الجمهورية»، وحشد لها أعظم الناس والفنانين والكتاب وأجريت تجارب على مدى أسابيع وشهور، إلى أن صدرت فى أكتوبر عام ١٩٥٣، وكان صدورها مقترناً ببرود شديد، ولم تستطع جذب القراء إليها!

● قلت : لماذا رغم أن من كتابها طه حسين، ولويس عوض ومندور وآخرين ؟

■ قال: هذا صحيح، وعندما كنت تقرأها كنت تحس فعلاً أنك أمام جريدة دسمة ومصروف عليها كويس، لكن إحساس الجماهير بها كان مفتقداً تفسيرى لذلك يكمن فى القيادة التى كانت توجه الجمهورية والفكر الذى يوجهها! أقصد أن النبض الحقيقى للجماهير لم يكن موجوداً على صفحاتها! الجماهير الراغبة المتطلعة للتغيير، وأنا - هنا - أريد أن أضع حداً فاصلاً بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٣، ففى عام ١٩٥٢ كان كل الناس مع الثورة، أما فى عام ١٩٥٣ كانت

الثورة قد ضربت الأحزاب وألغت الدستور، وبدأ يتكون لها أعداء من الجبهة الداخلية سواء من الوفديين أو الشيوعيين أو الإقطاعيين، فكان صدور الجريدة فى هذا الوقت المفروض أن يعبر عن هذا، وفى اعتقادى أن هذا لم يحدث!

ومن الجائز أن تجد جريدة تستخدم التكنيك الصحفى، وأن تكون لها رؤية ممتازة للأمور، ومع ذلك ينصرف الناس عنها، ولا يصل فكرها إليهم.

فمثلاً جريدة الأخبار عندما أصدرها مصطفى وعلى أمين، فى البداية لم يزد توزيعها على ٣٠ ألف نسخة، رغم أن مصطفى وعلى مدرسة صحفية ليس فى هذا أدنى شك، وكانت هناك جريدة المصرى لأحمد أبو الفتح وتوزع مائة أو ٢٠٠ ألف لأنها ببساطة جريدة شعبية كان القراء والناس تجد نفسها على صفحاتها!

والذى أنقذ صحيفة الأخبار حقيقة هو قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، فقد التقط مصطفى وعلى أمين ضيق الناس من الملك والنظام السابق ورغبتهم فى شىء جديد، فأخذا ينشران قصة الملك فاروق كاملة وفضائح العهد السابق، وارتفع توزيع الأخبار بشكل خرافى، أما جريدة الجمهورية فلم تفعل ذلك.

● قلت: كيف تفسر انفراد الأستاذ محمد حسنين هيكل بالصحافة، حتى صار أبرز ظاهرة صحفية طوال عصر جمال عبد الناصر؟!

■ أجاب الأستاذ أحمد حمروش: فى بداية ثورة يوليو ١٩٥٢ لم يكن محمد حسنين هيكل هو أقرب الصحفيين إلى جمال عبد الناصر، فقد كان هناك صحفيون آخرون مثل إحسان عبد القدوس، مصطفى أمين، حسين فهمى، وأحمد أبو الفتح، وكل هؤلاء كانوا أصدقاء لجمال عبد الناصر! وهناك نقطة هامة وهى أن هيكل حينما تعرف على عبد الناصر لم يكن صحفياً مبتدئاً، فقد كان وقتها يشغل منصب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة، بل إنه تولى هذا المنصب فعلاً قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.

والنقطة الثالثة: أن هيكل كان أكثر الصحفيين حرصاً وفهماً لطبيعة المرحلة، وأيضاً رغبة فى الاستفادة من وجوده قريباً إلى زعيم هذه الثورة، فإذا كان هيكل قد أثر على عبد الناصر كى يجعل منه الصحفى الوحيد، فأنا أقول إن هذا غير

ممكن ومستحيل لأنه ضد طبيعة جمال عبد الناصر شخصياً، فأنت على سبيل المثال إذا حاولت عند عبد الناصر أنك تصبح الصحفي الوحيد لديه لن تنجح، ولكن إذا وجد عبد الناصر أن رغبته وأفكاره وأحلامه تترجم جيداً من خلالك فهو الذي سيقربك إليه، لأنه هو الذي سيكون محتاجاً لك.

لذلك أقول إن عبد الناصر كان محتاجاً لهيكل وكان يتبادل معه الأفكار والحوار مثل مباراة في الشطرنج، ولكن في النهاية كان هناك رأى لعبد الناصر ورأى لهيكل، وكثيراً ما اختلفوا بل كثيراً ما أدى خلافهما في الرأى إلى أحداث كانت من الممكن أن تأتى لمصر بالمصائب!

● **هل هناك أمثلة محددة لما تقول؟**

■ قال: في أكتوبر عام ١٩٦٤ قامت ثورة شعبية في السودان انقضت على حكم عبود، فكتب هيكل عدة مقالات في الأهرام. كان نتيجتها أن قامت ثورة في الخرطوم وقام المتظاهرون بحرق العلم المصرى في السفارة المصرية بالخرطوم، فهل كانت هذه المقالات هي رأى عبد الناصر. بالتأكيد لا. لأنه عندما بلغ عبد الناصر خبر المظاهرات وحرق العلم المصرى قال: هو العلم ده إيه.. مش قطع قماش.. نعمل علم تاني! إذن عبد الناصر لم يضخم المسألة لأنه مدرك أن «هيكل» كتب ما هو مقتنع به شخصياً، لأن ما كتبه هيكل كان فيه معنى الهجوم على الناس في الشوارع، ورأى عبد الناصر كان مختلفاً، وأنا في هذا الوقت كنت أعلم تماماً رأى عبد الناصر في مساندة الثورة الشعبية في السودان.

وعندما حصل تغيير في الجزائر وانتقلت السلطة من أحمد بن بيللا إلى هوارى بومدين كتب هيكل عدة مقالت كادت أن تؤدى إلى قطع العلاقات بين الجزائر ومصر!

وما أريد أن أقوله إنه كان هناك دائماً خط تمييز بين عبد الناصر وبين هيكل، وكون هيكل الصحفي الأوحد في عصره، نعم بلا جدال، وهذا كان نتيجة موهبة شخصية توجد فيه.. نتيجة أن «هيكل» صنع لحياته كصحفي «تخطيط كويس». ولأنه صحفي دءوب ومهتم أن يطور الصحافة، ويتضح هذا في مؤسسة الأهرام.

على الجانب الآخر عبد الناصر محدش كان يقدر يركبه، ولا أحد يستطيع أن يفرض نفسه ليكون قريباً منه، ولكن عبد الناصر هو الذي كان يختار من يكونون

قريبين منه، وهذه طبيعة أى حاكم فرد يختار من يريد أن يتعاون معه، ومن يريد أن يكون قريباً منه!

● **قلت : هل تتصور أن بعض أفكار هيكل ومقالاته كانت بتوجيهات من عبد الناصر ؟**

■ أريد أن أقول لابد من التفريق بين أن عبد الناصر كان يعطى لهيكل أفكاره كى يحولها إلى خطبة أو بيان، فهذه قضية أخرى، فإذا جاء هيكل وترجم هذا ترجمة جيدة تريح عبد الناصر فمفيش مناقشة، لكن أن يتدخل عبد الناصر فيما يكتبه، أو ما الذى سوف يكتبه، فأنا لا أتصور أن «هيكل» يقبل هذا! ولا أتصور أيضاً أنه كان سيكتب بشكل كويس إذا أوحى إليه بأن يكتب فى كذا وكذا.

وأقول عن نفسى أنه لو أوحى إلىّ بأن أكتب كذا، فلن أعرف، ولكن أنا أكتب ما فى صدرى وما فى ذهنى وما أنا مقتنع به، وعلى الأقل سأكتب ما يرضينى، وفى هذه الحالة فإن ما أكتبه يتجاوب مع عبد الناصر أو لا يتجاوب هذه قضية أخرى!

● **ألم يكن هيكل وراء كتابة «فلسفة الثورة» الذى هو ترجمة لأفكار عبد الناصر وكذلك الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس؟!**

■ قال حمروش: أنت تؤيد ما أقول.. هل هذه المؤلفات كتب عليها بقلم محمد حسنين هيكل.. لا.. إذن هو ليس مسئولاً عنها.. المسئول جمال عبد الناصر لأنه أوحى بأفكارها - وخطوطها العامة إلى هيكل فكتبها ووافق عليها عبد الناصر، ولكن ظهور مقال مكتوب وموقع عليه بإمضاء محمد حسنين هيكل هنا هو المفكر والمسئول عن أفكاره.

● **قلت : ما الظروف التى صرت فيها مسئولاً عن مؤسسة روزاليوسف؟!**

■ كان ذلك عام ١٩٦٤، وكانت تلك الأيام فترة عصيبة، لأنها الفترة التى أعقبت مرحلة التأميم، وكذلك فترة انتقال الثورة لمرحلة جديدة، وصدر قانون عدم جواز الجمع بين وظيفتين فى وقت واحد، ولما كنت أعمل صحفياً فى جريدة الجمهورية وفى نفس الوقت مدير مؤسسة المسرح. آثرت أن أعمل بالصحافة،

فذهبت إلى مؤسسة روزاليوسف وقابلت إحسان عبد القدوس الذى رحب بى جداً واتفق معى فى نفس الوقت على أن أكتب بضعة مقالات أو أفكار فى مجال الثقافة، وبدأت بالفعل فى الكتابة.

وحدث فى تلك الأيام أن قامت ثورة أكتوبر ١٩٦٤ فى السودان، وأرسلتنى مجلة روزاليوسف لتغطية أحداث الثورة، فى نفس الفترة حدث تغيير فى روزاليوسف فتولى رئاسة مجلس الإدارة الأستاذ أحمد فؤاد (رئيس بنك مصر حالياً) وهو صديق قديم وواحد من الذين تعاونوا معنا قبل ثورة ١٩٥٢.

المهم سافرت السودان وكتبت عدة تحقيقات صحفية عن حقيقة ما حدث. فيما يبدو أن عبد الناصر قرأ هذه التحقيقات عندما نشرت فى روزاليوسف وأعجب بها، وفوجئت به يطلبنى ويبلغنى رغبته أن أترك المسرح وأمسك روزاليوسف، وأحرجنى ذلك العرض، لأنه من غير المنطقى أصبح رئيس تحرير مكان صديق عزيز هو أحمد فؤاد: فلما وجدت إصراراً وتصميماً من عبد الناصر قبلت، وخصوصاً أن مجال الثقافة أيامها قد صار ضيقاً.

● **قلت : هل حدث أن اتصل بك عبد الناصر مثلاً لكتابة شيء معين فى روزاليوسف؟**

■ قال حمروش: أؤكد لك إننى منذ توليت مسئولية رئاسة تحرير مجلة روزاليوسف لم يتصل بى أحد لكتابة شيء معين، أو حتى يوصى بالكتابة فى اتجاه معين، ولم يفرض علىّ أى التزام خاص، ولم أقابل أى رقيب إطلاقاً على صفحات المجلة إلا اعتباراً من نوفمبر ١٩٦٨ (أى بعد نكسة يونيو ٦٧) وأعتز ببعض الخبطات الصحفية التى عملناها فى روزاليوسف، منها مثلاً موضوعات «آبار الوادى الجديد» وبعد نشر الموضوع تحركت طائرة فيها ١٢ وزيراً و٨ من أمانة الأتحاد الاشتراكي للتحقيق فيما نشرته روزاليوسف وتبين صدق المعلومات التى نشرتها المجلة.

ومرة ثانية أثارت روزاليوسف موضوعاً عن تزوير الميزانيات فى شركات القطاع العام، وكنا نكتب من منطلق حب وتدعيم القطاع العام والرغبة فى إصلاحه، وفهم البعض أننا نهاجم القطاع العام، وذهبت لمقابلة د. عزيز صدقى وزير الصناعة وقتها وشرحت له أفكارى، وقدم لى هو توضيحاً وشرحاً ممتازاً لقضية الصناعة فى مصر.

ومرة ثالثة كتبنا عن «تهريب الأرض»، صحيح أن قانون الإصلاح الزراعى كان موجوداً ولكن فيه بعض الناس يملكون أرضاً أكثر مما ينص عليه القانون وقتها. ولكن مع هذا يجب أن أعترف أن «زهوة» روزاليوسف خلال تلك السنوات لم تكن فى زهوة مجلة «التحرير»، لأنه فى الفترة من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٦٧ كانت سنوات حاسمة. كان الميثاق الوطنى قد صدر، أيده البعض ورفضه البعض وتم تفسيره مليون تفسير، وكانت فترة قلقة بالنسبة للجماهير، فكتبت عدة مقالات عن الأربع سنوات الحاسمة.

إنما على الأقل - وأنا أتكلم من وجهة نظرى الصحفية - استطعنا أن نتمسك بشرف الكلمة وأن نجعل من روزاليوسف تعبيراً عن الرأى الصادق الذى كنا نؤمن به، ولم يحدث أى نوع من التدخل أو الرقابة كما يدعى البعض.

● خلال تلك السنوات الحاسمة.. ألم يحدث وهاجم عبد الناصر أو انتقد أشياء فى مجلة روزاليوسف غلافاً أو مقالاً؟!

■ ضحك أحمد حمروش وقال: حدث ذلك ولم يكن هجوماً بالمعنى المحدد، كان ذلك بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وكان ينعقد فى الاسكندرية مؤتمر المبعوثين وكنت حاضراً هذا الاجتماع ووقف البعض وقال إنه لا توجد حرية صحافة، فرد عبد الناصر قائلاً: هذا غير صحيح ففى روزاليوسف تكتب مقالات ونقد شديد أنا غير موافق عليها وأعتبر أن فيها تزايداً ومع هذا لا أتدخل فيما ينشر أو يكتب، وكان عبد الناصر صادقاً لما يقول.

● لماذا إذن كانت خطوة تأميم الصحافة؟!

■ بهدوء أجاب أحمد حمروش: لو أذنت لى أخرج قليلاً من موضوع الصحافة وتأميم الصحافة وأعود لفترة الستينيات بشكل عام وأنا أسميها «فترة الحيرة والاختيار» لأكثر من سبب، فبعد أن نجحنا فى صد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وبدأت عملية التمصير، هذا جعل لمصر توجهاً جديداً نحو أن الدولة تمتلك كل شىء (مصانع، شركات تأمين، بنوك، الشركات الأجنبية) وبدأت الدولة تصبح مسئولة عن هذا القطاع.

حتى هذه الفترة كانت الدولة رأسمالية، بل بالعكس كانت تدعو رأس المال الأجنبى أن يأتى، وكان يوجد قانون من أيام حزب الوفد يقول إن نسبة رأس

المال المصرى تكون ٥١٪ قامت الثورة بعمل العكس ٤٩٪ لمصر والباقى ٥١٪ لرأس المال الأجنبي، ولم يأت رأس المال الأجنبى.

وحدثت خلافات شديدة بين مجلس الإنتاج القومى الذى كان يضم عبد الجليل العمرى وحسين فهمى وكانوا ينادون بضرورة مجيء رأس المال الأجنبى بدعوى أن هذا يُحدث تدرجاً فى الاقتصاد القومى، لم يحدث أيضاً، وعندما حدث التمصير مع عدم مجيء رأس المال الأجنبى وإحجام الرأسمالية المصرية عن الدخول فى عملية الإنتاج حدث نوع من الحيرة والبلبلة!

كيف نتقدم بالمجتمع؟ كيف نحقق التغيير؟ وهنا بدأ يظهر الصراع الطبقى فى المجتمع، طبقة البورجوازية الصغيرة المتمثلة فى «الضباط الأحرار» وصلت للسلطة ولكنها عاجزة عن القبض على السلطة، لأن القبضة الحقيقية للسلطة كانت فى أيدى الرأسماليين أى الطبقة القديمة أى أنهم كقادة كانوا يحاربون بجنود الأعداء، فكانت النتيجة أنهم كلما وجدوا الفرصة سانحة للاستيلاء على شيء استولوا عليه.

أيضاً بالنسبة للصحافة والصحفيين فقد كانوا يعبرون عن طبقات وانتماءات مختلفة، ورأوا من الثورة خلال السنوات ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ مواقف عديدة متباينة أرضت البعض ولم ترض الآخرين، مواقف ضد الديمقراطية ومواقف معها، مواقف ضد الاستعمار والأحلاف العسكرية، مواقف مع العمال والفلاحين، ومواقف مع الوحدة العربية.

كانت هناك مواقف كثيرة أصبحت تلزم كل إنسان أن يبدى رأيه، يحدد موقفه فكان لابد أن تضع الثورة يدها على الصحافة!

● ألم تكن المسألة إذن مزاجاً شخصياً لجمال عبد الناصر ؟!

■ قال: لابد أن يكون لجمال عبد الناصر مزاج شخصى باعتباره قائداً له مطلق الصلاحيات، ولا نستطع أن نقول إنه حتى أعوام الستينيات كانت هناك ديمقراطية تناقش القائد فى قراراته ولا حتى مؤسسات تقول له: أخطأت فى هذا.. كان الاندفاع الثورى مستمراً.. وكان عبد الناصر هو الحاكم المطلق، وعندما تم تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ كان لعبد الناصر كلمته المأثورة: أنا عاوز الصحافة تتكلم عن كفر البطيخ وليس سكان القصور والفيلل!

وهذا معناه أن عينيه كانت على الفقراء والمساكين من أبناء شعبه.

ومن ناحية أخرى فليس هناك شك أنه وجد فى زمن الصحافة نقداً يتعبه فكان أقصر الطرق عنده هو «تأميم الصحافة»!

● ورأيك أنت الشخصى فى تأميم الصحافة المصرية؟

■ عندما نؤمم الصحافة.. تؤمم الحرية، وأنا لا يمكن أن أكون ضد حرية الصحافة، وطالما أنا متخذ موقفاً وطنياً سليماً والسلطة فى يدى فليس هناك خوف من شىء.

● أدخلت ثورة ٢٣ يوليو مبدأ جديداً فى الصحافة المصرية لم يكن موجوداً قبل ذلك وهو مبدأ تعيين رئيس التحرير باعتبار أن الاتحاد الاشتراكي (وقبلها القومى) كان هو المالك الوحيد للصحافة.. فما رؤيتك أنت فى هذا المبدأ؟

■ قال الأستاذ أحمد حمروش: فى كافة الأحوال أريد أن أقول إن مالك الجريدة هو الذى يقوم بتعيين رئيس التحرير، وأمامنا قضية «رفت» رئيس تحرير «التايميز» فعندما قرر مالك الجريدة الاستغناء عن خدماته قام «برفته» ففى المجتمع الرأسمالى مالك الجريدة يستطيع أن يفصل رئيس التحرير، وفى المجتمع الاشتراكى فإن الدولة ممثلة فى الحزب وهى التى تعين رئيس التحرير وهى التى تفصله أيضاً.

أما فى مصر فإذا كان الاتحاد الاشتراكي هو الذى يملك الصحف فهو الذى يعين رئيس التحرير، الآن أصبح مجلس الشورى، وإذا كانت قضية الموهبة الصحفية رئيسية جداً فى نجاح الصحافة، فإن المسئولية الوطنية والاجتماعية أيضاً ضرورية وخصوصاً فى مراحل التحول الاجتماعى.

● شهادتك على الصحافة المصرية فى فترة تولى الرئيس الراحل أنور السادات لحكم مصر؟!

■ شهادتى وللأمانة أنه حدثت أخطاء فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر هى التى أدت إلى السيئات والسلبيات التى حدثت فى عصر أنور السادات، وبالنسبة للصحافة على وجه التحديد أقول: إننى كاتحاد اشتراكى أو حزب فإننى أتحمل مسئولية التحول الاجتماعى فى البلد، وكان هذا يستلزم منى حسن اختيار

العناصر التي تقود الصحافة وأن اكتشف من هم الصحفيون الذين سيلعبون دوراً انتهازياً حتي لو كانوا موهوبين وأحَجِّمهم لأنني أستشعر الخطر من ناحيتهم، لأنهم ثورة مضادة ناشئة تحت عباءة الثورة وبألفاظ المديح التي يستطيعوها أكثر من أصحاب المبدأ، لأن أبناء الثورة ليس عملهم المديح إنما النقد، وفى كل مكان تجده ينتقد.

وحتي أيام جمال عبد الناصر كانت هناك عناصر غير معبرة عن الفكر الاشتراكي فعلاً، وقد قال الميثاق إننا فى مرحلة تحول اشتراكي فى نفس الوقت كان الاشتراكيون يملأون السجون والمعتقلات، وحتى عندما خرجوا من السجون - وهم رصيد الثورة الحقيقى فى عملية التحول الاجتماعى - لم يمنحوا الفرصة الحقيقة كى يتولوا المسئولية الرئيسية الأولى المعبرة عن هذا التحول الاجتماعى.

وإذا تعرضنا لمسألة نقل الصحفيين إلى مؤسسات غير صحفية، وقد حدث ذلك أيام جمال عبد الناصر، فأنا ضد هذه المسألة، ليس لأنى أتخذ موقفاً ليبرالياً مطلقاً ١٠٠٪ وإنما لأن عدداً من الأسماء التى نقلت إلى باتا والمصانع الأخرى كانت أكثر إخلاصاً للثورة من بعض العناصر التى بقيت.

إذن لم تكن هناك مقاييس دقيقة لهذه العملية!

وما كان يحدث فى صورة صغيرة أيام جمال عبد الناصر حدث فى صورة كبيرة بعده. فقد حدث فى عام ١٩٧٢ أن نقلت هيئة النظام ١٠٤ صحفيين إلى الاستعلامات. وعندما كان الكاتب مؤمناً بالفترة التى عاشها ويحترم ذاته وإرادته كانت النتيجة أن خرج من الصحافة المصرية أسماء مثل محمد حسنين هيكل، أحمد بهاء الدين، أحمد حمروش، إحسان عبد القدوس، عبد الرحمن الشرقاوى، أى أن الذين كانوا يتولون مركز المسئولية أصبحوا بعيدين عن مركز المسئولية، فإذا كان فى أيام جمال عبد الناصر يذهب عشرة أو عشرون صحفياً إلى الشركات. أصبحوا ١٠٤ وانتهى الأمر إلى كارثة ٥ سبتمبر ١٩٨١.

● وعلاقتك بالرئيس الراحل السادات كيف بدأت؟

■ قال: علاقتى بأنور السادات كانت موجودة قبل وفاة جمال عبد الناصر، وبعد وفاة عبد الناصر بدأت العلاقة معه بطريقة درامية جداً، والذى حدث أننى فى ذات ليلة من عام ١٩٧١ فوجئت بانقلاب عسكرى حدث فى السودان يقوده

« هاشم العطا » ضد الرئيس جعفر نميرى. كان ذلك فى ١٩ يوليو ١٩٧١، وقد كانت لى صلة وثيقة بشئون السودان منذ أن أوفدنى عبد الناصر مندوباً عنه مرتين قبل ذلك بسنوات.

المهم أننى طلبت مكتب الرئيس السادات، وعندما عدت لمنزلى فوجئت أن الرئيس السادات يكلمنى الساعة الثانية عشرة مساء ويقول لى: أخبارك إيه عن هاشم العطا وما يحدث فى السودان، ولأنى أعرف هاشم العطا وكانت لى به علاقة صداقة وكان يزورنى مرات فى مكتبى بروزاليوسف ونتحدث بالساعات عن دور الضباط والقوات المسلحة فى الانقلابات العسكرية فى دول العالم الثالث، فقد قلت للرئيس السادات: «أؤكد لك ياسيادة الرئيس أن هاشم العطا من أكثر الناس حباً وتقديراً لمصر وشعب مصر وقيادة مصر».

وطلب منى السادات أن أسافر فى ذات الليلة إلى الخرطوم (عاصمة السودان) دون أى توجيه أو حديث حول ما الذى يجب أن أفعله بالضبط؟ ولكنه أضاف: إن السوريين والليبيين متخوفون مما حدث فى السودان بعد إذاعة البيان الأول، وسافرت للسودان مستهدفاً إقامة جسر من الصداقة بين القاهرة والخرطوم، وعندما عدت كتبت ما طلبه منى هاشم العطا كى أبلغه للرئيس السادات، وقابلت السادات، وتبين لى أنى بمجرد أن سافرت بدأت عملية تدبير مضاد للحركة العسكرية اشترك فيها الليبيون والفريق أحمد صادق وعدد من المخابرات البريطانية، وحدث الانقضاض على الحركة العسكرية.

وبعد أسبوع طلبنى الرئيس السادات وقال لى: أنا كنت سوف أعينك فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي لولا التقرير الذى كتبته عن السودان. فقلت له: تقرير إيه.. أنا لم أكتب تقارير، ولكنى قلت لك إن السودانيين يطلبون كذا وكذا.. وطلبت منك أنك يوم ٢٣ يوليو تحييهم فى خطابك.

وجلسنا نتناقش حوالى ٣ ساعات وأخيراً قال لى السادات: «أنت تعبتنى يا حمروش» وكررها ثلاث مرات.

وكان ذلك اللقاء الأخير!

د. محسن عبد الخالق

«الثورة.. والصحافة.. سنوات القلق»!



د. محسن عبد الخالق واحد من الضباط الأحرار الذين غيروا تاريخ مصر السياسي والاجتماعي صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وهو المتهم الأساسي في قضية انقلاب المدفعية عام ١٩٥٣، وتعود علاقته بعبد الناصر إلى حرب ١٩٤٨، وكان في مكانة المستشار السياسي لعبد الناصر والمسئول عن تصريف أمور مكتبه، ثم أنه في تولي مسئولية الإدارة والإشراف على «دار التحرير» طوال أربع سنوات ونصف، أتيح له فيها أن يشاهد ويسمع ما كان يدور في كواليس السلطة ودهاليز الصحافة.

■■

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق: في بداية الثورة - أخذت الصحف تنشر قصصا وروايات عن فضائح الملك فاروق، وكان الأستاذ مصطفى أمين أحد الذين نشروا هذه الفضائح مسلسلة في جريدتي الأخبار وأخبار اليوم، وقد روى مصطفى أمين في كتابه «لكل مقال أزمة» أن عبد الناصر اتصل به وطلب منه نشر هذه السلسلة، ثم طلبه ثانية وقال له إن يكتب قصة الثورة، وأملاه أسماء التسعة الذين يتألف منهم مجلس قيادة الثورة، وروى له تفاصيل الثورة وأسرارها، وأخبره أن البكباشي أنور السادات سيجتمع به في بيته بمنيل الروضة ليراجع كل مقال قبل نشره، وراجع السادات المقال، ثم قرأته -- أي مصطفى أمين - على جمال عبد الناصر في التليفون فوافق عليه بعد أن عدل فيه ثلاث كلمات ونشرت صورة جمال عبد الناصر في الصفحة الأولى، ونشرت باقي صور مجلس الثورة الثمانية في صفحة داخلية مع بقية المقال، وكان الأعضاء هم: جمال سالم، أنور السادات، عبد اللطيف البغدادي، كمال الدين حسين، حسن إبراهيم، صلاح سالم، عبد الحكيم عامر، خالد محيي الدين.

وما كادت المقالة تنشر حتى قامت قيامة عدد كبير من الضباط الأحرار، فقد كان كل واحد منهم يتصور أنه عضو في مجلس

الثورة، ولم يكن جمال عبد الناصر قد أبلغهم بأسماء أعضاء مجلس الثورة، واتصل بى جمال عبد الناصر تليفونيا - مازال الكلام على لسان مصطفى أمين - وقال لى إنه أصدر أمره بالتحقيق معى لأنى تسببت بما نشرته فى وقوع فتنة بالقوات المسلحة.

وعدت أسأل د. محسن: لماذا أثار هذا المقال كل هذا الغضب والأستياء بين صفوف الضباط الأحرار؟! وهل كان كل واحد منكم - من الضباط الأحرار - يتصور أنه فى مجلس الثورة؟!

■ قال د. محسن عبد الخالق: دعنى أؤكد لك أن الضباط الأحرار لم يكونوا بمثل هذه الدرجة من الهيافة أو السطحية التى حاول الكثيرون تصويرنا بها، بل كان الضباط الأحرار من خيرة شباب مصر وكانوا على درجة عالية من الثقافة والعلم، وعندما قرأنا مقال الأستاذ مصطفى أمين «سر الضباط التسعة» غضبنا غضباً شديداً وثرنا ثورة عارمة ليس لأن كلا منا كان يتصور أنه عضو مجلس ثورة، أو أن عبد الناصر لم يكن قد أبلغنا بأسماء أعضاء المجلس. هذا كله غير صحيح بالمرة، فقد قمنا بالثورة لتحقيق مبادىء وأهداف عظيمة وليس لتلميع أسمائنا ونشر صورنا فى الصحف، كما أن الحكم لم يكن هدفنا من الثورة، بل كان الهدف ترسيخ هذه المبادىء التى ثرنا من أجلها من خلال الحوار السياسى الهادىء بين مختلف القوى السياسية، كما سبق أن أوضحت لك.

فلما قرأنا هذا المقال اجتمع ضباط المدفعية فى منزلى، وحضر الاجتماع أحمد كامل، فتح الله رفعت، على فوزى يونس، كمال لطفى، علي شريف وغيرهم، واستدعينا جمال عبد الناصر فى تلك الليلة، واستمر اجتماعنا به أكثر من أربع ساعات وحاسبناه حساباً عسيراً على ذلك المقال، ليس لأنه لم يبلغنا بأسماء مجلس الثورة كما كتب مصطفى أمين، ولكن لأن الحقيقة غير ذلك كما نعلمها، وما نشر كان خروجاً على رومانسية الثورة.

وبعد مناقشة عاصفة مع جمال عبد الناصر قال لى: أنا لم أقل شيئاً لمصطفى أمين، كما أن المقال كله من تأليفه!

وذهبت لمصطفى أمين أستوضحه الأمر وهددته، فأقسم لى هو أيضاً أن جمال عبد الناصر هو صاحب فكرة هذا المقال وهو الذى أملاه كل المعلومات!

ابتسم د. محسن عبد الخالق وقال: إذن تصدق مَنْ؟ وتكذب مَنْ؟ ومرت العاصفة بسلام لسبب بسيط هو أننا لا نريد إحداث شقائق أو انقلاب رغم أننا - كمدفعية وكضباط أحرار - كنا فى مركز القوة الحقيقية. وكان أملنا فى عملية الحوار السياسى يجعلنا نتغاضى عن أشياء كثيرة فى ذلك الوقت.

وعلى فكرة لم يكن هناك مجلس بهذه الصورة قبل الثورة، ولكن كان المتفق عليه عموماً أن المجموعات المتقاربة فى الرتب والميول تجتمع مع بعضها.

● كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل يقول: ما بين ١٨ يوليو ١٩٥٢ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كنت قريباً من جمال عبد الناصر، والحياة بالقرب منه ومتابعته على المسرح ووراء كواليسه بغير انقطاع، وكانت العلاقة من نوع متميز بين شخص يقود، وشخص إلى جانبه يتكلم أو يفكر.

ووجدتنى أسأل د. محسن عبد الخالق: هل سطور هيكل السابقة تكفى وحدها تفسيراً لظاهرة هيكل فى الحياة الصحفية والسياسية المصرية منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى الحد الذى جعله فى نظر البعض «صحفى العصر».

■ قال د. محسن عبد الخالق: هناك بدهية بسيطة للغاية فى الدبلوماسية وعند المشتغل بالشئون السياسية وهى أن الصحافة مكملة للدبلوماسية وللسياسة الخارجية والدولية والسياسة الداخلية أيضاً، وهو ما عبر عنه الأستاذ هيكل.. «بالهدف» وليست بدعة على الإطلاق أن يكون للرئيس أو للزعيم صحفى يساعده على تحقيق الهدف بالتعبير الواعى وبالكلمة المؤثرة، والزعيم والقائد مهما بلغ شأنه فهو يحتاج لصداقة الصحفى ولكسب الصحافة إلى جانبه، يغذيها وتغذيه.. فالزعيم هنا ودائماً يؤثر ويتأثر.

إذن فليس بدعة أن يكون جمال عبد الناصر علي صلة بأحد كبار الصحفيين وهو الأستاذ «هيكل» كما ليس غريباً أو بدعة أن يكون نجم كبير من نجوم

الصحافة على صلة بالزعيم، وفي يقيني أنه لابد أن تكون هناك مقاييس لاختياره هيكل، منها مثلاً التطابق والتقارب الفكرى.

وأنا من الذين سألوا جمال عبد الناصر فى بدايات الثورة سؤالاً محدداً. لماذا جعلت هيكل قريباً منك إلى هذا الحد؟ وقال لى عبد الناصر وقتها: أنت تعلم أننى لم أكن أعرف هيكل معرفة وثيقة، بل كانت معرفتى وعلاقتى الوثيقة هى بالآخرين. ولكن «هيكل» هو الوحيد الذى فهمنى وفهم ما يدور فى عقلى قبل أن أترجم فكرى إلى كلمات.. وأذكر نص عبارة عبد الناصر الحرفية لى وهى: «أنه ببساطة يجلس فى رأسى»!

يضيف د. محسن عبد الخالق: وفى نفس الوقت -- بدايات الثورة -- الذى كان فيه كل الصحفيين فى مصر يهتمون بأخبار وتصريحات ومقابلات محمد نجيب، كان هيكل قد ركز اهتمامه على عبد الناصر، ولم يكن عبد الناصر قد عرفه الناس بعد، سواء بوصفه رئيساً لمجلس قيادة الثورة أو القائد الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو، وأذكر فى تلك الأيام أن عبد الناصر أبلغنى أن هيكل -- وكان هيكل رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة - كان يجلس فى المكتب الملحق لمكتب جمال عبد الناصر صباحاً وظهراً ومساءً مما ضايق عبد الناصر من هذا الإلحاح -- لازال الكلام على لسان عبد الناصر - وذات يوم اتجه عبد الناصر مباشرة إلى هيكل وسأله عما يريد؟!

وأجاب هيكل بكل الثقة والكياسة: مجرد حديث معك!

ووافق عبد الناصر وقال لهيكل: إذن تعال معى: وذهب هيكل معه إلى منزله، وبعد دردشة وحوار انصرف هيكل من عند عبد الناصر، وفى المساء وعند عودة عبد الناصر إلى مكتبه كان هيكل يستأذن عبد الناصر فى أن يقرأ الحوار الذى كتبه عقب مقابلته له، وقرأ عبد الناصر ما كتبه هيكل، وكان تعليق عبد الناصر لى بعد ذلك: هيكل استطاع أن يقرأ - حتى - أفكارى التى كنت أتمنى أن أبوح بها.

ومن يومها فقد صار هيكل قريباً من جمال عبد الناصر، وكما قلت فإن اختيار عبد الناصر لهيكل لم يأت بشكل عفوى، إلا أن السؤال الذى ينبغى طرحه هو:

هل كان هيكل مؤمناً بفكر جمال عبد الناصر؟! أنا أقول نعم كان هيكل منبهراً بشخص جمال عبد الناصر كزعيم وكان مؤمناً بفكره.

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق: في تلك الأيام من عام ١٩٥٣ صدر كتاب «فلسفة الثورة» لجمال عبد الناصر، ونحن نعلم الآن أن هذا الكتيب «٦٨ صفحة» أفكار عبد الناصر وصياغة هيكل.

■ قال: جمال عبد الناصر لم يكتب «فلسفة الثورة» وليس هذا عيباً أو خطأ، لأن الرئيس أو الزعيم أو القائد ليس كاتباً موهوباً أو متفرغاً، فو مسئول عن مشاكل وإدارة دولة بأسرها وبالتالى فليس عنده الوقت الكافى أو التركيز الفكرى ليؤلف الكتب، ولذلك - وكما قلت - فمن الضرورى أن يكون بجواره كاتب صحفى يرتاح إليه ويتجاوب مع أفكاره التى يود طرحها.

وبالنسبة لجمال عبد الناصر على وجه التحديد فقد كان يمتلك أسلوباً وذهناً ومنطقاً مرتباً وبشكل ملفت، وعندما كان يكتب تأشيراته أو ملاحظاته على المكاتبات أو الملفات التى تعرض عليه، تأتى التأشيرة بالفعل معبرة عن كل ذلك وعن أسلوبه الرصين، كما كان قارئاً ممتازاً ولديه القدرة على هضم وامتصاص ما يقرأ، وكنا نعرف عنه قبل الثورة أنه شغوف بالقراءة الجادة الرصينة.

وبالنسبة لفلسفة الثورة فإن تصورى أن جمال عبد الناصر كتب حوالى أربع أو خمس ورقات ضمنها أفكاره وفلسفته وتصوراته، ثم قام هيكل بصياغة هذه الأفكار والتصورات التى صدرت بعنوان «فلسفة الثورة».

وبالمناسبة فقد كنت مدعواً عند الأستاذ هيكل فى عزبته ببرقاش فى الستينيات - هى واحدة من بين أبرز أمزجته الاجتماعية - وقلت له بشكل عفوى تماماً: لِمَ كتبت فلسفة الثورة؟

وأذكر أن هيكل يومها ابتسم وسكت!!

على أى حال ليس بدعة أن يكون للرئيس أو الزعيم كاتب أو صحفى، فقد كان لتشرشل - وهو أديب كبير - من يكتب له، وديجول أيضاً - وهو كاتب فحل - بجواره المثقف الكبير ووزير الثقافة أندريه مورو، وميتران بجواره الكاتب

الصحفى.. «أيريك روفر» إذن البدعة هى ألا يكون لحاكم أو الزعيم كاتب يعبر عن فكره وآرائه، فالصحافة مكملة للسياسة وكما سبق أن قلت لك إن الأستاذ هيكل استطاع أن يعبر عن فكر عبد الناصر بعمق وحيوية وبغض النظر عما إذا كان مؤمناً بهذا الفكر.

وليس صدفة أن يوحى جمال عبد الناصر إلى أصحاب جريدة «الأهرام» فى ١٩٥٧ - أقول يوحى برضاه - لو أن هيكل يصبح مسئولاً عن الأهرام، وكان عبد الناصر رحمه الله زعيماً من زعماء الإيحاء! وبذهاب هيكل إلى الأهرام فى أغسطس ١٩٥٧ لم يعد عبد الناصر فى حاجة إلى شراء الأهرام كما كان مطروحاً فى ذلك الوقت.

ويهمنى هنا أن أقول إن هيكل لم يكن إلا رجلاً محترماً وغير مسف أو مهاتر، وكان أميناً على ما يقوله عبد الناصر، بل وتصورى أنه من أكثر الناس فهماً لفكره إن لم يكن أكثرهم، وكان يعرف حدوده، ولم يتجاوز أبداً أدب الحوار مع عبد الناصر كزعيم وكصديق، وما يقال ويشاع أنه كان الصحفى الأوحد والأول، وأنه حجب الشمس عن الآخرين فهو كلام غير صحيح، ولا أجد لهذه الاتهامات من سند إلا كونها مهاترات ومنافسات، فعبد الناصر نفسه هو الذى اختار هيكل ولم يكن باستطاعة هيكل أن يفرض نفسه على عبد الناصر، اللهم إلا إذا كان عبد الناصر مقتنعاً تماماً به، وإذا كنا نختلف مع هيكل حول بعض آرائه فلابد أن يكون الخلاف موضوعياً، ولا يجب أن يخرج عن إطاره الموضوعى.

وفى النهاية أقول لك إن هيكل يوم أن قامت الثورة فى عام ١٩٥٢ لم يكن صحفياً صغيراً أو ناشئاً بل كان يشغل منصب رئاسة تحرير آخر ساعة، وكنا كشبان نقرأ له مقالات ممتعة عن أزمة إيران وحرب كوريا، كما كتب عدة تحقيقات عن حرب فلسطين، وأذكر مرة أنه كتب فى آخر ساعة عن الفرق بين اللواء المواوى ومونتجمرى (المواوى كان قائد الجيش المصرى فى حرب فلسطين) وأحدثت هذه المقارنة تأثيرها، فتصور المواوى فعلاً أنه مونتجمرى، وبدأ يتعامل معنا نحن الضباط على هذا الأساس.

- قلت: فى مذكرات عبد اللطيف البغدادى أذكر أنه قال:

علمت من جمال عبد الناصر أنه قد تكلم مع محمد حسنين

هيكل وأحمد أبو الفتح وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب إلا في الحدود الضيقة جداً، وأن أنور السادات لمح إلى أحمد الصاوى محمد بجريدة «الأهرام» - رئيس التحرير وقتها - لاتخاذ نفس الاتجاه، وأن هيكل قام بدوره بإبلاغ ذلك لمصطفى وعلى أمين، ما تعليقك على ما وراه البغدادى في مذكراته؟!

■ قال د. محسن عبد الخالق: ما نسبه عبد اللطيف البغدادى إلى جمال عبد الناصر فى مذكراته كان جزءاً من الصراع السياسى الذى كان يخوضه عبد الناصر - وبهدوئه المعروف - فى ذلك الوقت ضد الرئيس محمد نجيب، وليس مستبعداً على جمال عبد الناصر أن يفعل ذلك، ويبدو أن هذا ليس مستغرباً فى عالم السياسة، لأن سعد زغلول فعل شيئاً مشابهاً لذلك عندما كان الوفد المصرى فى لندن يتفاوض مع الإنجليز، وفشلت المفاوضات، وبقى سعد زغلول فى لندن، بينما عاد إلى مصر عدد من الأعضاء «عبد اللطيف المكباتى وغيره» وأرسل سعد من لندن ببرقيته الشهيرة والتى تسببت فى حدوث أول انشقاق فى الوفد وصراع الزعامة!

وكذلك عندما سافر النقراشى باشا إلى مجلس الأمن ليعرض قضية مصر هناك، وأحس مصطفى النحاس باشا بأن النقراشى قد استحوذ على الانتباه الداخلى والخارجى، فأرسل النحاس برقيته الشهيرة إلى مجلس الأمن والتى يقول فيها: النقراشى لا يمثل مصر!!

وأريد أن أقول للأخ عبد اللطيف البغدادى وهو من خيرة الناس أنه هو شخصياً تعرض لمثل ذلك الموقف عندما كان يشغل منصب وزير الشئون البلدية والقروية، وكان وزيراً ناجحاً للغاية وتم خلال عهده إنشاء كورنيش النيل وكان إنجازاً كبيراً تتحدث عنه مصر كلها، وجاءتنى توصية من جمال عبد الناصر شخصياً بأن نخفف ونقلل من نشر أخبار وصور عبد اللطيف البغدادى التى كانت تملأ الصحف فى ذلك الوقت.

وكما قلت لك يبدو أن هذا جزء من «تركيبة» الزعامات وطبيعتها!!

● قلت له: ربما كان الرئيس الراحل أنور السادات هو الوحيد بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى مارس الصحافة كمهنة، فقبل الثورة عمل فى دار الهلال وروزاليوسف ونشر مذكراته فى المصور، وبعد الثورة كان يكتب فى الجمهورية مقالات يومية وأسبوعية جمعها بعد ذلك فى كتب عديدة منها «قصة الثورة كاملة» و«يا ولدى هذا عمك جمال».. الخ.. فهل كانت هذه المقالات بالفعل يكتبها أنور السادات أم كان هناك من يكتب له كما يذهب هيكل فى «خريف الغضب» وحلمى سلام فى مذكراته التى نشرتها صباح الخير؟!

■ قال د. محسن عبد الخالق: ما شاهدته هو أن أنور السادات كان يكتب مقالاته بنفسه، وكانت مقالاته هى مشكلة المشاكل بالنسبة لجريدة الجمهورية، فقد كان طبع الجريدة يتأخر دائماً بسببها، فقد كان السادات كثيراً ما يصل إلى مكتبه فى دار التحرير متأخراً، ثم يبدأ فى كتابة المقال بعد انصراف الناس من عنده، وكانت سكرتارية تحرير الجمهورية تعين له ما يشبه الحارس ويستلم مقاله ويذهب به إلى قسم الجمع مباشرة، وكنت أرى بنفسى مقالاته بخط يده، كما كتبها، هذه كانت شكوى المطبعة من جراء تأخر السادات فى كتابة مقالاته.

فإذا ظهر بعد ذلك أن هناك من كان يكتب له مقالاته، فالأمر إذن يحتاج من هؤلاء إلى توضيح أكثر بأدلة لا تقبل الشك.

● قلت له: حاول أن ترسم صورة بالألوان والظلال لعلاقة الثورة بالصحافة!

■ قال د. محسن عبد الخالق: عندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، أيدتها الصحافة ورحبت بها، بل نستطيع أن نقول - دون مبالغة - إن الصحافة المصرية قد وقفت إلى جانب الثورة بالكامل! إلا أنه وفجأة وبسرعة بدأ الأستاذ «أحمد أبو الفتح» رئيس تحرير جريدة المصرى يكتب مقالات حادة الكلمات فى التعبير عن وجهة نظره، كما تبنى وجهة نظر الوفد بالكامل تقريباً، ومن هنا كان موقفه من قانون الإصلاح الزراعى، ودعوته إلى عودة الثورة إلى ثكناتها وتسليم الحكم للمدنيين، وبالطبع كان يقصد حزب الوفد!

ولقد كان أبو الفتح في ذلك كله متجاهلاً لمنطق العصر، بل متناقضاً مع نفسه ومع ما كان يكتبه قبل الثورة، وبالتحديد خلال العامين الأخيرين قبل قيامها، وهي فترة حكم حزب الوفد نفسه طوال ١٩٥٠ - ١٩٥٢، بل في أوساطنا نحن الضباط الأحرار كان أحمد أبو الفتح وإحسان عبد القدوس وفتحي رضوان وغيرهم يحتلون قمة تقديرنا واحترامنا، لذلك كان غريباً جداً بالنسبة لنا أن يقف أحمد أبو الفتح هذا الموقف متجاهلاً أن هناك مبادىء لثورة يوليو قد أعلنوها وأنه يجب على الأقل الاطمئنان إلى أن هناك أيدي أمينة ستتولى حماية وتنفيذ هذه المبادىء ليست فقط بالكلمة والمناورة السياسية، ولكن بالإيمان بموضوعيتها ومحتواها.

ولقد قيل لأحمد أبو الفتح إن الثورة ليس شاغلها الأكبر أن يأتي الوفد إلى الحكم كما أنها لم تقم لهدم الملكية - وهو لفظ استخدمه الكاتب في ذلك الوقت - والذي لا يخفي حنينه إلى عودة الملكية.

باختصار شديد أريد أن أقول إن عبد الناصر في ذلك الوقت المبكر تنبه إلى ضروة إنشاء جريدة تعبر عن فكر ثورة يوليو، فأسس جريدة الجمهورية لتقف أمام «المصري» الكلمة بالكلمة والفكرة بالفكرة، والمقالة بالمقالة.. والرأي بالرأي، ولكن للأسف عندما عرضت رئاسة تحريرها على من رشحوا لها اعتذروا جميعاً، وأخيراً قبل رئاسة تحريرها الأستاذ حسين فهمي.

فما معنى هذا الاعتذار؟ هذا السؤال كان يتردد كثيراً في ذهن جمال عبد الناصر، بل إن إجابته كانت أيضاً تتردد في فكره وعقله، وهي أن هذا الاعتذار أو الرفض منهم كان إما لعدم الاطمئنان لمستقل الثورة، وبالتالي كان من الأفضل عدم الالتصاق بها أو عدم الإيمان أصلاً بها!

وإيماني الشخصي أن جمال عبد الناصر بطبيعة شخصيته بدأ من يومها يفكر في موقف الصحافة منه، وتأتي أزمة مارس ١٩٥٤ الشهيرة، وتدخل «المصري» معركة شرسة مع ثورة يوليو، مقالات ملتهبة يكتبها أحمد أبو الفتح، وتدخل روزاليوسف أيضاً المعركة مع غيرها من الصحف.

● قلت للدكتور محسن عبد الخالق: لن أنكأ الجراح القديمة، ولكني أنبش في بعض الأوراق القديمة وأستعيد معك على

الأقل عناوين وبعض سطور مقالات تلك الفترة الملتهبة من تاريخ مصر، مثلاً «صيحة لص» لأحمد أبو الفتح، «العهد الجديد» للدكتور وحيد رأفت، «أسطورة الكفاءات في مصر» للإخوان والشيوعيين، «الثورة» لخالد محمد خالد.. «الجمعية السرية التي تحكم مصر» لإحسان عبد القدوس، وماتعيه ذاكرتك عن أحداث تلك الفترة وما تعلق منها بالصحافة.

وروى عبد اللطيف البغدادي في مذكراته (ص ١٣٠) تعليقاً على هذه القرارات بقوله: ولما كانت الرقابة على الصحف قد رفعت يوم ٦ مارس ١٩٥٤، فلقد تقدم جمال عبد الناصر باقتراح وهو أن نعمل على إبلاغ الصحفيين الذين نثق فيهم بمطالب محمد نجيب، وعليهم أن يقوموا بالتعليق عليها، ومهاجمته لمدة أسبوع حتى يتبين للرأى العام حقيقة الموقف، وعلى ضوء نتائج تلك الحملة يمكننا التصرف بعد ذلك، كما اتفق أيضاً على أن يقوم خالد محيى الدين بإعلان رأيه في الصحف في اليوم التالي وأن يهاجم مطالب محمد نجيب، وعلى أن يقوم أنور السادات كذلك بنشر الحقيقة كاملة في جريدة «الجمهورية» - التي يرأس تحريرها - عن قصة محمد نجيب وكيف أصبح قائداً للثورة والخلافات التي حدثت خلال تلك الفترة.

■ قال د. محسن عبد الخالق: أفكار كثيرة كانت تدور في ذهن جمال عبد الناصر، وكنت وقتها بجواره بعد أن أفرج عني أول مارس ١٩٥٤، وكان عبد الناصر يتساءل: ماذا يريدون بعد أن أعلن مجلس الثورة قرارات عودة الديمقراطية في ٥ مارس ١٩٥٤، ومن ضمن هذه القرارات كما تعلم إلغاء الأحكام العرفية وعودة الحياة النيابية وتأليف جمعية تأسيسية تعد الدستور وعودة الجيش لثكناته وإلغاء الرقابة على الصحف.

وفي رأيي الشخصي أن مجلس قيادة الثورة كان يستحيل عليه تماماً الرجوع في هذه القرارات أو العدول عنها لو أحسنت المعالجة السياسية للموقف برمته في

حينها، ولكن رغم صدور هذه القرارات كان الهجوم على الثورة مستمراً، والسخونة السياسية تتصاعد.. والسؤال الحائر يتردد فى عقل عبد الناصر: ما الهدف؟! وما النية من وراء ما جرى على أرض مصر؟!

وأدرك عبد الناصر وقتها، وبات واضحاً أمامه أن اقتلاع الثورة نفسها ومن ثم مبادىء هذه الثورة وقوانينها وعلى رأسها الإصلاح الزراعى هو الهدف والنية المبيتة! وليس عودة ديمقراطية «الأوليجاركية» أى ديمقراطية القلة التى كانت تسود قبل ١٩٥٢ هذا هو ما ترسب فى ذهن وعقل عبد الناصر!

وفى هذا الجو الساخن، والمعرفة الشاملة بكل هذه الظروف والملابسات، ذهبت إلى أحمد أبو الفتح - ضمن كثيرين ذهبوا إليه فى محاولة الحوار الهادئ - أقول ذهبت إلى أبو الفتح أرجوه أن يخفف من لهجته الملتهبة، وأن يخفف من حدة المواجهة، كي نخلق جواً طيباً للحوار لعودة الديمقراطية، وقلت له: إن موقفه وكتاباته تضعف من موقف عدد كبير جداً من ثوار يوليو ممن يضغطون وبقوة للإسراع بعودة الديمقراطية.. وبدا لى يومها أنه اقتنع بما أقول، بل ووعدنى يومها بتفريغ سخونة الكلمة وإطفاء لهيبها والاتجاه بمقالاته ناحية الموضوعية الهادئة!

ولكن للأسف - أتت مقالة اليوم التالى - صباح ليلة لقائنا بنفس درجة اللهيب والسخونة، فلما سألت عنه تليفونياً، فإذا به قد سافر إلى بيروت، وكانت «سفرته» التى غادر فيها مصر، وليته تعاون مع الثورة وتحاور معها بهدوء وموضوعية.

إذن دخلت الصحافة عبر أزمة مارس ١٩٥٤ معركة شرسة لتقويض الثورة وبالذات جريدة المصرى، وهنا تنبه عبد الناصر لدور الصحافة وبدأ يتساءل: هل تترك الصحافة هكذا فى أيدى أصحابها يحركون بها القضايا العامة والرأى العام كما يحلو لهم، بحيث تتفق مع اتجاهاتهم السياسية وتخدم مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية! ومن هنا، وتحديداً من أزمة مارس بدأ عبد الناصر يفكر تفكيراً جاداً فى مستقبل الصحافة فى مصر، ودورها فى تغيير هيكل البناء الاجتماعى ونسيج المجتمع المصرى، وكذلك سياسات التنمية.

● قلت له : أتذكر أن الأستاذ هيكل روى فى كتابه «بين الصحافة والسياسة» سطوراً يقول فيها : حين فكرت الثورة فى إصدار جريدة تعبر عنها وهى «الجمهورية» طلب إلى جمال عبد الناصر أن أتولى الإشراف على إصدارها واعتذرت، وكانت وجهة نظرى : أننى متمسك بأخبار اليوم وعملى فيها وصداقاتى مع أصحابها.. ثم إن الفارق بين الثورة والحكومة صائع وفى النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وإنما عن الحكومة، وأنا لا أتصور نفسى فى جريدة حكومية، وثالثاً فإن الثورة لا تحتاج إلى جريدة تعبر عنها لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشيء.

■ قال د. محسن عبد الخالق: من البداية كان عبد الناصر متنبهاً تماماً لخطورة الصحافة ودورها السياسى وقوة تأثيرها! فكان من الطبيعى أن تصدر الثورة الصحف والمجلات الخاصة بها، فصدرت فى مجلة التحرير ثم جريدة الجمهورية، وكان جمال عبد الناصر هو صاحب الامتياز، ولا أذيع سراً إذا قلت لك إن عبد الناصر قبل أن يصدر صحيفة الجمهورية اتصل بكل كبار الصحفيين فى مصر عارضاً عليهم رئاسة تحريرها وكلهم رفضوا ولم يوافق سوى الأستاذ حسين فهمى، ولا تتصور مدى الألم والضيق الذى أحسه عبد الناصر نتيجة هذا الرفض، إذ تصور أنهم بهذا الرفض يقفون ضده وضد الثورة كما سبق أن قلت لك!

المهم لقد بدا واضحاً تماماً أن من نتائج أزمة مارس أيضاً أن تفكير عبد الناصر اتجه إلى تدعيم صحافة الثورة، واستقطاب الصحافة الأخرى، فأسس جريدة الشعب ثم جريدة المساء ولكن ذلك كله فى نظر عبد الناصر لم يكن كافياً، خصوصاً، وقد كان يعلم أن صحافة الحكومة أو (فلنقل صحافة السلطة) تعانى ضعفاً جذرياً وطبيعياً حيث إن مرونتها الفكرية محدودة بطبيعة الحال، وانعدام النقد فيها مسألة واضحة، كما أن دفاعها عن السلطة أمر مفروغ منه، باختصار يمكننا أن نحكم بأن المساحة الفكرية لهذه الصحف الحكومية ضيقة وغير مشبعة لرغبات القارىء وفكره، ومن هنا مد عبد الناصر بصره إلى الدور الصحفية

الأخرى، ويبدأ يفكر في شراء جريدة الأهرام، بل دخلنا في مفاوضات فعلية مع أصحابه، إلا أن عبد الناصر كان يخشى أن تلقى الأهرام نفس حظ جريدة الجمهورية في حالة وضع الأهرام تحت الملكية المباشرة للثورة، وبرزت فكرة أخرى في ذهن عبد الناصر وهي أن وجود رئيس تحرير يطمئن إليه عبد الناصر شخصياً في الأهرام كافٍ جداً ودون الدخول في المشاكل الإدارية والمالية لدار الأهرام، وكذلك الخشية من انعكاس ملكية السلطة للأهرام على استقلاليته التي عرف واشتهر بها!

ومن هنا كان هيكل - والذى سبق أن اعترف لي عبد الناصر قائلاً: هيكل ساكن في رأسي - كان هيكل إذن هو الاختيار الذكي جداً لقيادة الأهرام، فقد استطاع هيكل أن يحافظ على استقلالية الأهرام وكيانه وتواصله التاريخي، مع نقله نقلاً ليناً وناعماً وكاملاً داخل الإطار الثوري.

● قلت له: ضمن أسلحة الأستاذ أحمد أبو الفتح ضد ثورة ٢٣ يوليو عامة وجمال عبد الناصر خاصة ما جرى لصحيفة المصري، فهو مثلاً في كتابه «التحدي» الذي صدر عام ١٩٧٨ في أعقاب عودته من الخارج يقول (ص ١٤): «أوقفت الديكتاتورية إصدار المصري ولم تكتف في انتقامها عند حد سحب رخصتها بل امتدت شهوة الانتقام تصادر كل ما يملكه صاحب المصري، وكانت مصادرة أملاكه التي وصلت إلى شركة الإعلانات التي نقل ملكيتها من الجليز يهود ليجعلها مؤسسة مصرية، كما امتدت شهوة الانتقام إلى أمواله في البنوك، وإلى أثاث شقته، حتى إلى ملابسه الخاصة».
دعني أسألك تفسيراً لقصة الثورة مع المصري؟!

■ قال: عقب خروجي من السجن في مارس ١٩٥٤ كنت أشرف على دار التحرير وبلا مرتب، وأُمُرّ بمرحلة التكيف القانوني أو مرحلة التقنين الوضعي العام أو الوظيفي، وذات يوم كنت أزور صديقي عبد الحميد سراج الدين - رحمه الله - وكان يشغل وقتها رئيس مجلس إدارة بنك القاهرة، وأثناء جلستنا دخل علينا الأمير «عبد المحسن بن عبد العزيز» - رحمه الله - وتجولنا في حديثنا

يميناً ويساراً، وبعد فترة من الوقت همس لى بأن لديه حافظة مالية مدينة للبنك وينصحنى بشرائها، وسألته عن طبيعة هذه الحافظة، فقال لى إنها حافظة مدينة بمبلغ ١٢٥ ألف جنيه للبنك، وأنه اتصل كتابياً بإدارة الأموال المصادرة (عبد الشافى عبد المتعال باشا) التى ردت عليه بالتصرف فى الحافظة وتسديد المديونية، ونصحنى بشرائها؛ بل أبدى استعداد البنك لإعطائى قرضاً بقيمة الدَّين (أى ١٢٥ ألف جنيه) وذلك بضمان هذه الحافظة مع الضمان الشخصى له، أى أن معنى كلامه أن أحل محل المدين فى التزاماته وفى ملكيته للحافظة ووافقت بعد أن شرح لى عبد الحميد سراج الدين محتويات هذه الحافظة وقوة مكوناتها، وكان أهم ما فيها ٧ آلاف سهم من أسهم بنك القاهرة نفسه بسعر أسمى قدره أربعة جنيهات، ولكن كان من المتوقع أن يصل سعره فى السوق إلى ١٤ جنيهاً، وحوالى أربعة آلاف سهم من أسهم بنك التجارة، وبضعة آلاف من أسهم الشركة الإنجليزية للزيت.

ولكن كان أهم ما فى هذا الموضوع برمته، أن من محتويات هذه الحافظة كافة أسهم شركة الإعلانات المصرية، وكافة أسهم شركة الإعلانات الشرقية وشركة التوزيع المصرية، بالطبع كانت شركتا الإعلانات المصرية والشرقية معروفتين لدينا فهما مملوكتان لليهود (عائلة ڤينى) وسبق أن ألقيت عليهما إحدى القنابل.

واتفقت مع الصديق عبد الحميد سراج الدين على موعد للتوقيع بعد أن يقوم محامى البنك بإعداد كافة العقود والتنازلات حتى تصبح المسألة قانونية، إلا أننى فجأة تنبهت وسألته عن مالك هذه الحافظة فإذا به يخبرنى أنها ملك محمود أبو الفتح.

وعلى الفور ركبت سيارتى وذهبت إلى بيت جمال عبد الناصر، وأخبرته بحكاية هذه الحافظة وأننى سوف اشتريها لدار التحرير، وشرحت له كل الامتيازات التى تضمها ووافق عبد الناصر على ذلك، وذهبت إلى الدكتور حنفى أبو العلا المحامى والأستاذ حافظ راغب المحاسب، وأتممنا شراء الحافظة.

وبالمناسبة فقد كانت دار التحرير وقتها (الجمهورية) تشغل داراً كئيبة فى شارع الصحافة وقريبة من دار أخبار اليوم، وكانت الدار ملكاً لأدجار جلاد باشا - رحمه الله - واشتريت منه بحوالى ٢٥ ألف جنيه على ما أذكر.

أذكر هذه القصة لأنه غير صحيح بالمرة ما يقوله الصديق أحمد أبو الفتح من أن الثورة استولت على شركتي الإعلانات الشرقية والمصرية. وأن جمال عبد الناصر قد حصن نفسه في هذا الموضوع بقرارات وحصانات قانونية يصعب النفاذ إليها وأظن أن بنكاً كبنك القاهرة لا يزال يحتفظ بمثل هذه المستندات.

إذن جمال عب الناصر نفسه لم يكن يعلم حتى بوجود حافظة، والقصة كلها لم تخرج عن كونها تطوراً طبيعياً تلقائياً قام به عبد الحميد سراج الدين لحماية مصالح بنكه!

● **قلت له: يرى البعض - ياسيدى - أن كتابات هيكل حولت عبد الناصر إلى أسطورة وما يشبه الظاهرة، أما كتابات الأستاذ موسى صبرى فقد دفعت بالسادات إلى حادث المنصة.. ورغم خلافى مع التفسيرين إلا أننى أريد سماع تفسيرك؟**

■ قال د. محسن عبد الخالق: إنه من غير الطبيعى ألا يكون للزعيم أو الرئيس كاتب صحفى يرتاح إليه ويتجاوب مع أفكاره التى يود طرحها، هكذا كان هيكل وهكذا كان موسى صبرى، أما أن يقال إن مقالات موسى صبرى دفعت إلى النهاية المأساوية للرئيس السادات فهذا تبسيط وتسطيح شديد للأمور، فالسادات سواء قبلنا أو رفضنا أحدث انقلاباً تاريخياً شاملاً فى المنطقة منذ حادثة إنشاء دولة إسرائيل. فقد قام بحرب أكتوبر ١٩٧٣ وهى حرب التحرير العربية، وانتهى بالصلح وهو منعطف خطير.

ومن غير الطبيعى ألا تتجمع قوى عربية ضده وألا تملأ سماء حياته السياسية سحب كثيفة من تيارات متباينة، ومن هذه السحب ومن هذه التيارات «انطلق النيزك» الذى صرعه فى يوم عيد تحرير أرضه.

أما الأستاذ موسى صبرى فهو قد زامل السادات فى المعتقل وعرفه عن قرب وأحبه وآمن به وكانت بينهما صداقة وطيدة، ثم أنه كاتب كبير وهو صحفى من رأسه حتى أخمص قدميه، وهو كان سلس العبارة، يطوع الكلمة بيسر وسهولة، حاد النبرة ولاذع العبارة.

● قلت : ما رأيك وقد اتصلت بدنيا الصحافة وعرفت عن قرب أسماء لامعة، وقرأت لأسماء أخرى لامعة.. ما ذكرياتك عن بعض من عرفت ! مثلاً إحسان عبد القدوس ؟

■ قال: له منزلة خاصة في قلوب ثوار يوليو، فهو من صناعها، كاتب كبير من قائمة الأفذاذ، فنان في كتاباته السياسية، ومصور سياسي واجتماعي بارع.

● قلت : وأحمد بهاء الدين ؟

■ قال: كاتب فحل يخاطب العقل، ويأخذك مقتنعاً إلى حيث يريد، شمولي المعرفة والنظرة والثقافة، قوته في الكلمة الحلوة النفاذة والتسلسل المنطقي وسعة المعرفة.

● قلت : وهيكل ؟

■ قال: محاور بارع في كتاباته، شيك، يستخدم الكلمة والجملة والعبارة بدهاء عميق، كتاباته وجبة تشبع، ولكن تترك القارئ بعدها للتساؤل من أقصى يمين الكلمة إلى أقصى يسارها، فارس من فرسان الصحافة في مصر وفي قرنها العشرين كله.

● قلت : ومصطفى أمين ؟

■ قال: نقلل من شأنه لو قيمناه، هو من أهرامات الصنعة الصحفية، جرئ في مهنته، أكبر مخبر صحفي في مصر، يقف دائماً خلف الستار ليحرك شخوص اللعبة، وعلى رأسها اللعبة السياسية، أما علي أمين رحمه الله فقد كنت أحبه، فقد عاش معي أغلب سنوات المنفى، طيب القلب، وكان يعبد مصطفى أمين، والاثنان يعبدان صفية زغلول «أم المصريين» ومن أجلها يدخلان كل المعارك خصوصاً مع الوفد!

فتحى غانم

«قليل من الصحافة.. كثير من الأدب»!



لا يحتاج الأديب والروائى الكبير فتحى غانم إلى تعريف أو تقديم !!
فتحى غانم واحد من فرسان الرواية العربية الحديثة . . ولم تشغله كتابة الرواية عن تولى المناصب الصحفية الهامة . . وشاهد عن قرب ما كان يدور داخل كواليس ودهاليز الصحافة المصرية، والتى سجلها بقلمه الرشيق فى رائعته «الرجل الذى فقد ظله»، ثم «زينب والعرش» !!
وهذه شهادة فتحى غانم على الصحافة المصرية .

■■

● قلت : كيف كانت خطواتك الأولى فى شارع الصحافة ؟!

■ قال فتحى غانم: عقب تخرجى فى كلية الحقوق عملت فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وكان يعمل معى الأستاذان عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد بهاء الدين، وكثيراً ما كنا نتناقش فى الأدب والفكر والفن.

كان ذلك عام ١٩٤٧، وكان يتردد علينا الأستاذ محمد حسنين هيكل، وكان محرراً صغيراً - ٢٣ سنة - كى يأخذ أخبار التحقيقات ويقوم بنشرها.. وكانت لى صداقتى بإحسان عبد القدوس حيث كان متزوجاً من شقيقة صديق لى اسمه «أحمد يوسف الجندى».

فى نفس الوقت كان أحمد بهاء الدين مشرفاً على مجلة «الفصول» لصاحبها محمد زكى عبد القادر ولاحظ اهتمامى الشديد بأمور الأدب والفكر والفلسفة وبشكل مكثف، فطلب منى بهاء أن أكتب شيئاً لمجلة الفصول، وكتبت مقالات فى النقد.. التاريخ.. وكانت كتاباتى إرضاء لبهاء فقط.

وتكررت لقاءاتى مع إحسان عبد القدوس وذات يوم قال لى: أنا سامع أنك بتكتب مقالات ونقد.. ما تيجى تكتب عندنا فى مجلة «روزاليوسف»؟

وفى نفس الوقت كنت أعرف الشاعر كامل الشناوى، وكان رئيسا لقسم الأخبار بجريدة «الأهرام»، وكنت أتردد على ندوته ومجلسه الأدبى.

وفى أوائل عام ١٩٥٢ كان هيكل قد صار رئيساً لتحرير مجلة «آخر ساعة» وبدأ الأستاذان مصطفى وعلى أمين فى عملية تجديد وتطوير شاملة للمجلة،

وطلبنى هيكل بالتليفون وعرض علىّ العمل فى «آخر ساعة»، وكان هيكل يستعد للسفر إلى كوريا لتغطية أحداثها، فأدخلنى مباشرة إلى مصطفى وعلى أمين ثم خرج. وقال لى مصطفى أمين: لقد قرأت ما ترجمته عن شارلى شابلن فى مجلة «الغد» وأسعدنى.. ليه ما تكتبش معانا.

كانت مجلة الغد يصدرها عبد الرحمن الشرقاوى وحسن فؤاد وصلاح حافظ، وزهدى وآخرون.

وفى تلك الفترة التى عملت فيها مع هيكل وعلى أمين فى مجلة «آخر ساعة» تعلمت أشياء كثيرة هامة عن حرفية العمل الصحفى، فقمت بإعداد مجموعة من الروايات العالمية لسومرست موم وموررياك وهيمنجواى، وكتبت عشرات الموضوعات النسائية فى الموضة والطب والعلاج والماكياج، وحالات الحمل والرضاعة، وأحياناً كنت أوقع على هذه المقالات باسم «إخصائية جمال».

وفيما بعد قال لى مصطفى أمين: إنه عندما عرض علىّ العمل فى «آخر ساعة» كان يتوقع رفضى بنسبة ٩٩٪، لأنه تصور أننى أكتب فى «روزاليوسف» أو «الفصول»، بسبب صداقتى لبهاء وإحسان، وأعترف أن هذا صحيح، فأنا عمرى ما طلبت أن أكتب.. ولكن دائماً كان يطلب منى أن أكتب فأكتب على الفور!

● قلت لفتحى غانم : كيف بدأ الاهتمام الحقيقى بكتابات فتحى غانم، وهل كان ذلك من الوسط الصحفى أم من جماهير القراء؟

■ قال فتحى غانم: جاء الاهتمام الأول من داخل الوسط الصحفى نفسه، وأول من انتبه لى كان الأساتذة كامل الشناوى ومصطفى وعلى أمين وإحسان عبد القدوس، وفى سن مبكرة جداً – وعمرى ٢٣ سنة – عوملت مباشرة على أنى كاتب، ولم أوضع تحت الاختبار، وعندما نشر لى لأول مرة نشر اسمى هكذا: بقلم فتحى غانم.

بعد الوسط الصحفى الذى قد يقبلك، هناك المهتمون بالمجالات التى تكتب فيها وتنشر رأيك. فعندما بدأت أكتب فى الأدب، وجدت مناقشات واهتمامات أدت إلى ردود أفعال تدل على أن ما أكتبه سواء كان متفقاً عليه أو غير متفق فإن له صدى.

وكتبت أقول بوضوح وتحديد أن هذا أدب وهذا ليس أدباً وذلك فى الأعمال الأدبية الموجودة آنذاك، أى فى بداية الخمسينيات، فمثلاً كان «عبد الرحمن الخميسى» قد نشر مجموعة قصصية اسمها «قمصان الدم» كتبت أنها خطب منبرية وليست فناً وتدخل ضمن إطار الإثارة السياسية، فرد عبد الرحمن الخميسى بمقال صغير نشره فى جريدة «المصرى» وقال إننى من الذين يجرى فى عروقهم الدم الأزرق النبيل! المهم أن ما كتبته سبب رد فعل مع «واحد» معترف به فى الأدب وهو عبد الرحمن الخميسى.

ومرة أخرى كتبت عن قصة «الخيط الرفيع» لإحسان عبد القدوس أنها ليست فنا، و«بايخة» فهدد إحسان بأنه لن ينشر لى، فقلت له: سلامو عليكم ومشيت، وكتب سامى داود بإيعاز من إحسان يهاجمنى، وعلمت السيدة روزاليوسف بما حدث، وكانت تعرفنى جيداً فقالت لإحسان: لماذا زعلت فتحى غانم؟

فقال إحسان لها: لأنه شتمنى يا ماما؟ فردت السيدة روزاليوسف على إحسان قائلة: وماله!!

وكان ذلك درساً لا أنساه منها له ولى، أن تقبل الآراء التى تختلف مع رأيك.

وأمرت السيدة روزاليوسف إحسان بأن يتصل بى لأعاود الكتابة.. وعدت ونشرت رأيى من جديد فى قصة إحسان «الخيط الرفيع»، ونشر على أسبوعين بحجة أن المساحة التى يتطلبها النشر كبيرة.

وعندما نشر الأستاذ «أحمد الصاوى محمد» أحد رواياته وأظنها «الشيطان لعبته المرأة»، فقلت إن هذا كلام فارغ.. بعد ذلك انتقلت إلى مجلة آخر ساعة، فكتبت أقول عن د. طه حسين إنه عقبة ضخمة جداً فى طريق القصة، وبعدها طلب طه حسين أن يرانى وذهبت إليه وتحدث معى طويلاً عن مفهومى للأدب والقصة. والذى راعنى حقيقة فى تناول طه حسين لأعمال توفيق الحكيم أو غيره من الكتاب أنه كان يعاملهم كمدرس لغة عربية ونحو، أى أن الأديب الجيد فى رأى طه حسين هو الذى يجيد النحو والصرف؛ فأنا قلت يومها: إن الأدب ممكن أن يكون سبباً من أسباب تطور اللغة، بل ممكن الأديب يصنع ويخلق لغته، ودللت على ذلك بقولى إن وليام شكسبير لم يكن «النحو» لديه صحيحاً، ولكنه كان يخلق لغته الخاصة.

المهم أن هذه السلسلة من المقالات وجدت صدى لدى المهتمين بالأدب والثقافة، اتصل بى المرحوم الأديب محمد سيعد العريان وتحدث معى فيما كتبته، أيضاً الأستاذ على أدهم..

وفى إحدى المرات هاجم الأستاذ محمود أمين العالم الشاعر محمد الفيتورى وأعطاه درساً سخيفاً فى كيفية كتابة الشعر، فهاجمت محمود العالم وبقسوة، وهنا قامت قيامة الماركسيين والشيوعيين لأنى ضربت وهاجمت العالم أحد مقدساتهم.. ومرة أخرى قلت إن قصص «نعمان عاشور» بايخة.. أو أمدح ديوان شعر لصلاح چاهين هو «كلمة سلام».

كل هذه المعارك حيرت النقاد والمباحث فى نفس الوقت.. فمرة يتم تصنيفى على أنى متعاطف مع اليسار أو الماركسيين، ومرة مع اليمين وهكذا، وعندما كتبت عن ديوان صلاح چاهين «كلمة سلام» جاءنى هيكل وقال لى: عبد الناصر بيقول إن الشيوعيين أخدوا فتحى غانم معاهم.. وضحكت طبعاً.

وكتبت فى «آخر ساعة» عن قصة يوسف إدريس «قصة حب» وشتمنى محمود أمين العالم فى مقال عنوانه «فتحى غانم والأدب الأسود».

المهم أن الكل حصل له لخبطة تجاه هذه الكتابات.

● قلت: وعلى مستوى القراء كيف حدث الاعتراف بك؟!

■ قال: على مستوى القراء عامة - وهذا بشهادة أرقام التوزيع - أننى عندما صرت مسئولاً عن رئاسة تحرير «صباح الخير» كان توزيعها ١٤ ألف نسخة أسبوعياً، فوصلت إلى ٣٠ ألفاً خلال ستة شهور، وكان الرقم يزيد عندما أنشر رواية مسلسلة لى، مثلما حدث عندما نشرت «الساخن والبارد» و«الرجل الذى فقد ظله»، و«تلك الأيام».. وكان ذلك يسبب نوعاً من الغيرة عند إحسان عبد القدوس، فقد كانت رواياتى وراء زيادة توزيع «صباح الخير»، ولم يكن يحدث نفس الشىء عندما كان إحسان يكتب قصة مسلسلة فى «صباح الخير».

فى نفس الوقت هذه الشهرة وهذا الاعتراف من جانب المهتمين والصحفيين والقراء كان يعنى أن تبدأ فى أخذ وضع معين «بوز» ثم تنشىء علاقات مع الآخرين فى مجال الصحافة كى تستثمر هذا، فتأتى لك عروض من الأدباء كى

يكتبوا عنك، وبالمثل تكتب عنهم، وقد رفضت ذلك تماماً وابتعدت عن هذه اللعبة بشكل قاطع وحاسم.

● قلت لفتحى غانم: في عصر جمال عبد الناصر توليت مسئوليات عديدة فى بلاط صاحبة الجلالة، كنت رئيساً لتحرير «صباح الخير»، ورئيساً لمجلس إدارة «وكالة أنباء الشرق الأوسط»، ثم رئيساً لمجلس إدارة «دار التحرير»، وكنت ترأس تحرير جريدتها «الجمهورية»، كيف بدأت علاقتك بجمال عبد الناصر؟ وظروف معرفتك به؟!

■ صدمنى فتحى غانم بقوله: لم تكن لى علاقة بجمال عبد الناصر، فأنا دخلت مجال الصحافة كما قلت قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، وعملت فى مجلة «روزاليوسف» بعد ذلك باتفاق مع السيدة روزاليوسف وإحسان عبد القدوس، وبعد تأميم الصحافة بسنوات، وفى مارس عام ١٩٦٦ اتصل بى «منير حافظ» مدير مكتب جمال عبد الناصر، وأبلغنى أننى مرشح لمنصب رئيس مجلس إدارة «وكالة أنباء الشرق الأوسط»، ولكن أنا حتى هذه اللحظة لا أعرف من الذى رشحنى لهذا المنصب. وفى البداية ترددت فى الموافقة على قبول هذا المنصب، فقال لى منير حافظ: معلهش احنا محتاجين لواحد.. وهل ستظل إلى الأبد فى مجلة صباح الخير؟

أنا كنت وقتها رئيس تحرير صباح الخير، وذهبت إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط ومكثت بها أقل من عام، ثم أثناء نقلها من مبناها القديم (فى ميدان التحرير) إلى مبناها الحالى فى الشريفين.

وفى شهر نوفمبر من نفس العام اتصل بى مكتب السيد «على صبرى» قائلاً: أنا عاوز أشوفك!

وحتى هذه اللحظة لم تكن لى به أية صلة، أو حتى أعرفه بشكل شخصى، فذهبت إلى مكتبه، وعرض علىّ أن أتولى رئاسة مجلس إدارة التحرير ورئاسة تحرير جريدة الجمهورية.

وأذكر أننى قلت له يومها: إن الصحافة فى مصر الآن يقال عليها هذه صحافة على صبرى، وهذه صحافة زكريا محيى الدين!

وضحك فتحي غانم لدهشتي وأضاف: والذى يشهد على كلامى هذا هو الأستاذ «أمين هويدى» وكان وقتها مسئولاً عن المخابرات وأخبرنى بعدها بذلك وقال لى معلقاً: إنه فى مصر لم يكن هناك أحد يستطيع قول هذا الكلام لعلى صبرى غيرك.

وقلت للسيد على صبرى: وأنا لا أستطيع أن أبقى فى الصحافة بهذا الشكل، أنا أحسب على صحافة على صبرى أو صحافة زكريا محيي الدين!

فقال: وأنا لا أطلب هذا منك!

فقلت له: ولى طلب تاني.. لابد أن أخذ موافقة زوجتي.

ضحك على صبرى وتصور أننى أمزح. ولكنى ذهبت إلى زوجتى وأخبرتها بالخبر لأنها فى النهاية هى التى ستتحمل العبء النفسى نتيجة انشغالى عنها وغيابى لساعات عن البيت.. ووافقت زوجتي.

وقبل أن أبدأ العمل فى دار التحرير ذهبت إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل، ولم أكن أعلم أن على صبرى يعرفه، فحكيت لهيكل كل ما حدث، وسألته.

فقال لى هيكل: نعم، لأن عبد الناصر سألنى بشأنك، وأنا رشحتك لثلاثة أسباب هى:

- عملك فى الوكالة كان ناجحاً وتتبعناه، ثانياً: أنا اشتغلت معك فى «آخر ساعة»، وأعرف شغلك كويس وأن تقديرك للمسائل جاد، وأنك غير متأثر بأحد.. وأكمل هيكل لى: لهذه الأسباب مجتمعة حدث الترشيح!

الحوار السابق مع هيكل كشف لى أنه كان موجوداً فى مسألة ترشيحى وتعيينى فى جريدة الجمهورية، ولكنى لم أكتف بذلك، وذهبت إلى السيد «سامى شرف» وقابلته فقال لى بالحرف الواحد:

عندى لك نصيحة، هناك أكثر من تيار فى الحكم، فابعد عن الكل!

هل كان سامى شرف يقصد مثلاً الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، لم يفصح حقيقة، لكن وقتها كانت الجمهورية تحت يد المشير عامر من خلال الأستاذ حلمى سلام.. وأبلغت على صبرى بموافقتى على قبول المنصب الجديد، وعرض أن ينشر فى الجمهورية سلسلة مقالات.. فقلت له: أهلاً وسهلاً!.

بدأ على صبرى يكتب مقالات مسلسلة عن «حتمية الحل الاشتراكى» فأحدثت ضجة كبيرة فى كل الأوساط، واحتج البعض عليها، واتصل بى هيكل قائلاً إن زكريا محيى الدين زعلان من هذه المقالات، وأن آخرين يقولون إنها ستفجر حرب أهلية فى البلد ... و... وذات يوم من شهر مايو عام ١٩٦٧، وفى نفس اليوم الذى اتخذ فيه قرار إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية اتصل بى على صبرى عند منتصف الليل، وقال عبر التليفون: من الآن أبلغك أننى أكف يدى عن الكتابة فى الجمهورية، ولم تعد لدى صلة بالصحافة، والموضوع أصبح فى يد المشير عبد الحكيم عامر.

فهمت من هذه المكالمة أن هناك حرباً، لأنه لم يكن بينى وبين على صبرى صلة قوية تجعله يحكى لى تفاصيل ما حدث.. وحتى هذه المقالات كان يمليها على أحد موظفى مكتبه، وكان قد طلب منى أن أقوم بإعداد هذه المقالات لتصدر فى كتاب، وأثناء اعداد الكتاب وبعد طباعته، اتصل بى سامى شرف وقال: كتاب على صبرى لا يطرح فى السوق.. ولكن ضعه فى المخازن.

وانقطعت الصلة مع على صبرى، وعلمت بعد ذلك أنه ان قد عرض منصبى قبل مفاتحتى فيه على المرحوم «على حمدى الجمال» الذى رفضه، لأن تولى مسئولية الجمهورية لم تكن مسألة سهلة، فقد كانت مليئة بالألغام، وكانت كل أجهزة الدولة والسلطة ممثلة فيها، وتركتها فى مايو ١٩٧١.

● قلت لفتحى غانم: بعد تولى الرئيس السادات للسلطة فى أكتوبر ١٩٧٠ تركت مسئولية دار التحرير ورئاسة تحرير الجمهورية، وبعدها بخمس سنوات تقريباً تم اختيارك مع الأستاذ صلاح حافظ لترأسا تحرير مجلة «روزاليوسف» اليسارية.. كيف فصلت من الجمهورية؟ وكيف عينت فى «روزاليوسف»؟

■ ضحك فتحى غانم وأجاب: بالنسبة للفصل من الجمهورية كان ذلك عام ١٩٧١، وبالتحديد بعد ١٥ مايو ١٩٧١ أبغلنى د. عبد القادر حاتم وقال: والله يا فتحى أنت عارف السياسة، والأمر يقتضى تغييراً، وجلست فى بيتنا ابتداء من

٢٠ مايو، تولى مسئولية دار التحرير بعدى الأستاذ مصطفى بهجت بدوى وكان كل اهتمامه موجه ناحية أن أقبض مرتبى، إنما الكتابة.. لا بالطبع، ورغم ذلك عرض عليّ الكتابة، وفعلاً كتبت مقالاً وأرسلته له، ولكنه لم ينشر، وقال لى الأستاذ ممدوح رضا: إنه كان يعرض عليك الكتابة كنوع من المجاملة، ولكنك أخذت المسألة جد فأحرجته، وهو الذى رفض نشر المقال الذى أرسلته!

● قلت لفتحي غانم : وكيف تأكدت من ذلك ؟

■ قال:ببساطة رئيس العمال فى جريدة الجمهورية «عبد الفتاح» أرسل لى بروفات المقال لكى لا أصدق كما أشاع مصطفى بهجت بدوى أن العمال رفضوا جمع الموضوع.

المهم أننى جلست فى منزلى، وفى هذه الفترة كتبت رواية «زينب والعرش»!

● قلت : قبل التطرق إلي موضوع تعيينك كرئيس تحرير لروزاليوسف نعود لبداية معرفتك بالرئيس السادات.. كيف بدأت ونمت وتطورت ؟

■ قال: بدأت معرفتى بالرئيس السادات فى عام ١٩٥٦، فقد كان السادات حريصاً على الاتصال بالصحفيين، وأذكر أن لقاءاتى به كانت تتم مع المرحوم كامل الشناوى فنزوره فى مكتبه بجريدة الجمهورية، ولكن أول لقاء بينى وبينه بمفردنا كان فى مجلس قيادة الثورة، وذلك قبل صدور دستور ١٩٥٦، وكان وقتها يحدثنى عن هذا الدستور، ويبدو أنه كان يمهد كى يصبح رئيس مجلس الأمة!

بعد ذلك قابلته فى مناسبات كلها شخصية، فعندما كنت رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير طلبنى فى التليفون وزرته فى منزله فى الهرم، وظللنا نتحدث لوحدنا حوالى ثلاث ساعات فى أمور شتى.

واكتشفت أن السادات هو الذى كان يطلب مقابلتى دائماً.. ويبدو أنه كان يريد معرفة شيء ما عنى، لأن ما يتوافر لدى من معلومات سواء قالها لى الأستاذ «موسى صبرى» أو الأستاذ «محمود السعدنى» إن السادات أخذ فكرة عنى أدت إلى أنه يكرهنى وينفر منى نفوراً شديداً، وذات يوم قال السادات لموسى صبرى: إحسان عبد القدوس يكره فتحى غانم جداً، ويقول عنه إنه إنسان ناكر للجميل،

فأنا ولى نعمته، وأنا الذى جعلته أديباً، وأن فتحى غانم (عَض) اليد التى أحسنت إليه.

وأنا حقيقة لا أدرى لماذا كان إحسان يقول عنى هذا الكلام، هل السبب مثلاً أننى قلت ذام يوم إن قصة إحسان عبد القدوس «الخيط الرفيع» وكان ينشرها مسلسلة فى «روزاليوسف» أنها ليست فناً وأنها قصة بايخة.. هل هذا هو السبب؟ لا أدرى! أم أن السبب يكمن فى أننى عندما كنت أنشر قصة مسلسلة فى «صباح الخير» فكانت أرقام توزيع المجلة أكثر مما كانت توزع عندما كان إحسان يكتب قصة مسلسلة؟ أيضاً لا أعرف. ولكن مما لا شك فيه أن ذلك كان يسبب له نوعاً من الغيرة والحسد، وحدث خلاف ضخم بينى وبين إحسان ذت يوم وبسببه قدمت استقالتى، ومازلت احتفظ بخطاب من المرحوم يوسف السباعى يصحح هذا الوضع وعلى أساسه سحبت الاستقالة، ومرة أخرى تدخل بنفسه فى المطبعة، وأراد حذف فقرة كتبتها عنه فى مجلة «صباح الخير»، ومرة أخرى كلف د. مصطفى محمود، وكان مسئولاً عن باب البريد والرسائل أنه لا يكتب اسمى إطلاقاً ولا يشير إليه فى «البوسطجى» رغم أننى كنت رئيس تحرير «صباح الخير».

المهم أن «موسى صبرى» أبلغنى أن إحسان قد سمم الجو تماماً لدى السادات عنى! ومرة أخرى قال لى محمود السعدنى إنه كان موجوداً فى بيت إحسان عبد القدوس، وكان موجوداً أنور السادات وأحمد بهاء الدين، وأن إحسان شتمنى أمام الجميع، طبعاً السعدنى لم يقل لى هذا الكلام فى وقتها ولكنه أخبرنى به فيما بعد.

كل ذلك معناه أن السادات لا يطلبنى إلا إذا كان يريد معرفة شيء معين منى.. وأذكر أننى ذهبت لزيارة السودان فى عام ١٩٦٨، بعد بيان ٣٠ مارس، وكان أيامها قد تم تشكيل اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى وبينما كنت فى منزل عبد الله المحجوب رئيس الوزراء السودانى وأنا أعرفه كأديب وشاعر، وسمعت من خلال جهاز الراديو أن على صبرى أخذ أعلى الأصوات فى انتخابات اللجنة، المهم أننى عندما عدت من السودان ووصلت الطائرة إلى مطار

القاهرة حوالى السابعة صباحاً، وما أن دخلت إلى حجرة نومى كى أنام، حتى أيقظونى قائلين: السادات على التليفون!

فقال لى وقتها: أنا عاوز أشوفك!

ذهبت إليه وجلسنا وسألنى: أخبارك إيه وعامل إيه؟

ولأنه لم يكن يعلم أننى قادم لتوى من زيارة السودان، أخذت أحدثه عن السودان وأحوال السودان، و... و... ولم ينطق بحرف واحد، وفى نهاية الجلسة «مشيت» ذهبت إلى جريدة الجمهورية فوجدت المرحوم إبراهيم نوار رئيس التحرير التنفيذى يقول لى: هل علمت ما حدث بين على صبرى والسادات؟! فقلت له: لأ.. ماذا حدث بينهما؟

فقال لى: فى انتخابات اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى فاز «على صبرى» بأصوات أعلى من التى فاز بها السادات، وفى اجتماع اللجنة السياسية جاء السادات وجلس على كرسى رئيس اللجنة، ونادى على المصورين ليلتقطوا صوراً له، وبدت المسألة كما لو كانت حرباً شعواء ومن الذى سيتم تصويره، وكيف يفوز على صبرى بعدد أصوات أكبر، ومن الذى يملك شعبية أكثر؟ السادات أم على صبرى؟ المهم وجدت الدنيا من حولى مولعة ومشتعلة!

يكمل فتحى غانم: بعد ذلك استنتجت أن الهدف من مكالمة السادات ثم مقابلته لى كان الهدف منها أن يعرف ما هو موقف صحيفة الجمهورية، هل هو مع على صبرى أم السادات، وما الذى سننشره وكان السادات يتصور أن موقفنا سيكون مع «على صبرى» لأن الجمهورية كانت محسوبة عليه.

وعندما أنظر إلى هذه الأمور من زاويتى الخاصة أشعر بمستوى الفكر الساذج التى كانت عليه القيادة فى مصر..

● **قلت : وماذا بعد أن أصبح السادات رئيساً للجمهورية ؟**

■ قال: انقطعت الصلة تماماً، وبعد ١٥ مايو ١٩٧١ تركت الجمهورية، وجلست فى البيت فى هذه الفترة كتبت رواية «زينب والعرش»، وكنت أتردد على نادى الجزيرة وألعب «دومينو» مع محامى عجوز (٧٠ سنة)، وذات يوم فوجئت بالأستاذ موسى صبرى رئيس تحرير «الأخبار» يربت على كتفى، ويقوم بلخبطة الدومينو قائلاً وهو يبتسم:

. عن أذنك يا متر.. هاخد منك فتحى شوية!

ونهضت وسرت مع موسى صبرى فى حديقة النادى نتكلم وندردش، قبلها كنت قد التحقت بروزاليوسف كاتباً وأحسست بداخلى أننى إنسان غير مرغوب فى وجوده، ثم قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكتبت كلمة صغيرة عن القرار و... و... فى نفس تلك الفترة كان الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى قد تولى رئاسة مجلس إدارة رواليوسف، وفكر فى الاستعانة بالأستاذ صلاح حافظ ليتولى مسئولية تحرير مجلة «روزاليوسف»، وليس رئيساً للتحرير، وحصل نوع من المقاومة من جانب فهمى حسين ويوسف صبرى الذين كانا يتوليان المسئولية الفعلية، وأحس بهذه المقاومة الأستاذ الشرقاوى، ويبدو أنه تكلم مع الأستاذ موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار بشأنى، وفوجئت بموسى صبرى يأتينى نادى الجزيرة، كما قلت ويقول لى: لازم تقف مع عبد الرحمن الشرقاوى!

فقلت لموسى: كيف؟ قال لى: تبقى رئيس تحرير روزاليوسف!

المهم أننى أخذت أفكر فى هذا الأمر، وبعدها بيومين أتصل بى الأستاذ الشرقاوى عارضاً منصب رئيس التحرير، طبعاً من غير المعقول أن تكون هذه الاتصالات التى جرت عن طريق الأستاذين موسى صبرى والشرقاوى بغير موافقة من الرئيس السادات وقتها.

وبعد يومين اتصل بى الأستاذ الشرقاوى فأبلغته موافقتى بشرط أننى لن أكتب فى «السياسة» وألا يتم وضع اسمى فى ترويسة المجلة كرئيس تحرير قبل أن أقوم بالإعداد والتجهيز للعمل، ووافق الأستاذ الشرقاوى، ثم اتصلت بكل من صلاح حافظ وفتحى خليل مقترحاً أن يتم تشكيل لجنة تضمنا نحن الثلاثة مهمتها إعداد أفكار وموضوعات لتطوير المجلة.

وعدد بعد عدد بدأ توزيع روزاليوسف يرتفع ويزيد، إلى أن جاء شهر مايو ١٩٧٥، وبدأ السادات يدعو لفكرة المنابر التى تحولت إلى أحزاب فيما بعد، واقترح الشرقاوى أن يصبح صلاح حافظ رئيساً للتحرير ليكتب فى السياسة، ثم جاءت أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، وبعدها بأسابيع حدث التغيير الصحفى الذى شمل كافة المؤسسات، فخرجت أنا وصلاح حافظ من رئاسة تحرير روزاليوسف.

● **قلت : كيف أبلغت بالقرار؟!**

■ ضحك فتحي غانم ثم قال: طلب السادات من عبد الرحمن الشرقاوي رئيس مجلس الإدارة أن يقابله، وفي القناطر دار حوار طويل بين السادات والشرقاوي، ثم عاد الشرقاوي من هذه المقابلة ودعانا (أنا وصلاح حافظ ولويس جريس وحسن فؤاد)، وحكى لنا ما حدث، إنما كنا عارفين قبلها بفترة أننا لن نستمر في رئاسة تحرير رزواليوسف!

● **قلت له : هل يمكن اعتبارك صحفياً يهوى الأدب؟! أم أديباً يشتغل بالصحافة؟!**

■ قال: أنا أديب، يحترم الأدب جداً وعملت بالصحافة لأنشر فيها ما أكتبه من أدب روائي. وأنا أردد دائماً أن التحدي الحقيقي بالنسبة لي هو الرواية. لأني أؤدي عملي الصحفي في سهولة بالغة، ومنذ أن تعرفت على الأساتذة كامل الشناوي، ومصطفى أمين وعلي أمين، أو محمد حسنين هيكل، فقد كان في ذهني دائماً أن هؤلاء يعدون لي المسرح أو الورق في مكان أو آخر كي أنشر فيه قصصي أو رواياتي هكذا أقول بصراحة!

ولعلك تندهش إذا قلت لك أنني منذ سن الثالثة عشرة وأنا أردد بيني وبين نفسي دائماً، سأكتب الرواية وسأنشر ما أكتب من روايات! ذلك لأنني بدأت كتابة الرواية في مرحلة مبكرة من عمري!

● **علقت قائلا : كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين يقول : إنك أكثر كاتب أدبي روائي في جيلنا كان يعرف منذ البداية أن حياته هي أدب القصة، ولكنه مع هذا استعد لذلك استعداداً كبيراً وطويلاً، أشك في أن يكون متكرراً لدى أي كاتب قصة معاصرة.**

■ قال الروائي فتحي غانم: الصحافة أعطتني مساحة لنشر رواياتي، وهذا شيء مهم جداً، وكان في حسابي دائماً، وإذا كان هناك عيب في عملي كصحفي فهو أنني لم أخلص أبداً للصحافة كصحافة، ولكني استفدت من وضعي الصحفي لأنشر الرواية. وحتى عندما كنت أصل إلى مركز صحفي كبير - رئيس

تحرير أو رئيس مجلس إدارة - فقد كان ذلك يعنى وصولى إلى مركز استطيع من خلاله نشر رواياتى لأن فرصتى فى نشر رواياتى عن طريق الصحافة أكبر مما لو لم أكن اشتغل بالصحافة.

واختيارى للعمل فى روزاليوسف رغم أننى كنت وقتها أكتب فى أخبار اليوم، كان بهذا الهدف، وأذكر أن محمد حسنين هيكل قال لى: أنا سايب آخر ساعة وتتولى رئاسة تحريرها بدلاً منى، ولم أقبل عرض هيكل برئاسة تحرير آخر ساعة، وقبلت عرض الأستاذ إحسان عبد القدوس للعمل فى روزاليوسف، وتركت أخبار اليوم، وكان فى ذهنى أننى فى روزاليوسف سأتمكن من نشر رواياتى!

ومن الأشياء التى أذكرها وأحيى بها إحسان عبد القدوس أنه نشر لى أول رواية مسلسلة وهى «الجبل» فى روزاليوسف، وكانت هذه أول مرة يقبل فيها إحسان عبد القدوس أن ينشر رواية مسلسلة لأحد غيره فى روزاليوسف، وكان ذلك فى وقت مبكر وقبل صدور قانون تنظيم الصحافة أى فى عز سلطة إحسان كصاحب للدار، ثم نشر لى أيضاً «الساخن والبارز» وقبلها «من أين؟»!

● **قلت : أنت صحفى ورئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة وكاتب روائى : ماذا يهمك من كل هذه الألقاب؟**

■ قال بحسم: أنا لا يهمنى على الإطلاق لقب «رئيس تحرير» أو «رئيس مجلس إدارة»، ولكن ما يهمنى فى البداية والنهاية أن تتم محاسبتى وتقييمى على أساس ما كتبت من روايات وقصص!

ابتسم فتحى غانم كمن تذكر شيئاً وقال لى: أذكر مرة - وكان ذلك بعد فترة قصيرة من قيام الثورة - أن محمد حسنين هيكل كان يتناقش معى، وكانت صلتى به تعود إلى سنوات ما قبل ثورة ١٩٥٢، عندما عينت فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وكان معى عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد بهاء الدين، وكان هيكل وقتها محرراً شاباً فى آخر ساعة يأتى للحصول على أخبار تحقيقات الإدارة لينشرها. كان هيكل يقول دائماً وبقناعة مطلقة: الحاكم محتاج لصحفى يعبر عنه وسأكون أنا هذا الصحفى! وكنت أقول له إن الأدب أبقى وأفضل من السياسة، وكان يضحك ويقول لى: خلاص أنت بتاع الصفحة الأخيرة وأنا بتاع الصفحة الأولى!

● قلت له: وهل مازلت عند هذا الرأى؟! أن الأدب أبقى من السياسة؟!

■ قال مبتسماً: آه.. ده بالنسبة لى مش بالنسبة للصحافة، أن الأدب أبقى من السياسة هذا صحيح بالنسبة لمؤسسة فتحى غانم.

عندما صدرت رواية «زينب والعرش» كتب فتحى غانم فى مقدمتها بياناً هاماً ولا مفر منه يقول فيه: يرجو مؤلف هذه الرواية، رجاء حاراً ألا يتورط القارىء العزيز فى محاولة البحث عن صلة أو أوجه شبه بين شخصيات هذه الرواية وشخصيات فى الواقع سواء كانت معروفة أو غير معروفة من الأحياء أو الأموات، إن كل ما جاء فى هذه الرواية من أحداث وشخصيات إنما هى محض خيال.

وعندما تحولت هذه الرواية إلى مسلسل تليفزيونى (٣٠ حلقة) قضى الجمهور أكثر وقته فى محاولة التعرف على أشخاص الرواية فى الحقيقة، لأنها تدور فى عالم الصحافة والسياسة بنجومهما من المشاهير، وكتب أحمد بهاء الدين يقول: هل عبد الهادى النجار هو الأستاذ التابعى أم مصطفى أمين أم على أمين؟ هل يوسف مؤلف الرواية هو فتحى غانم أم أحمد بهاء الدين أم هو مزيج من الاثنين؟ ومن هى زينب قبل كل شىء وبعد كل شىء؟

واعترف مصطفى أمين فى حديث صحفى: لقد وجدت نفسى فى «زينب والعرش»!

● وسألت فتحى غانم بصراحة شديدة: رغم بيانك الإيضاحى فى مقدمة الرواية بأن شخصيات الرواية لا وجود لها.. إلا أن القارىء والمشاهد أحسا بغير ذلك..

■ قال فتحى غانم: هناك نظرية فى النقد تقول إن كل عمل فنى يعكس بشكل ما البنية الاجتماعية والطبقية للمجتمع الذى يعيش فيه، بل إن بعض علماء الاجتماع فى الولايات المتحدة يقول إننا نستطيع أن نتعرف على المجتمع من خلال العمل الروائى أكثر مما نستطيع التعرف عليه من خلال المؤرخ أو الدراسة الاجتماعية نفسها. وهذا الكلام لا أستطيع أن أتجاهله أو أنكره، ومنذ قليل قلت لك إننى أردت أن أكتب رواية حب وعاطفة، ولكن المجتمع فرض نفسه علىّ لأنى

أعيش فيه وأتفاعل مع شخصياته، فكتبت رواية أخرى، وإلا لو كتبت رواية لن يصدقها من يقرأها!! مثلما تشاهد فيلماً سينمائياً قديماً فتجد رجلاً يقول لأمرأة: أنا بحبك موت ولا أستطيع أن أعيش من غيرك ولازم نتجوز بكره! ويتفقان على الموعد! ويأتى هذا الرجل ليتحدث مع صديق له قائلاً: أنا عاوز شقة فى الزمالك مثلاً وتكون الشقة جاهزة، ويتزوجان وخلاص، وده كان فى أفلام زمان، فلو أننى كتبت مثل هذا الكلام اليوم لا يمكن أن يكون أكثر من نكته بايخة.

من ناحية أخرى أنا لى تفسير صادق وعلمى تماماً ويدخل فى صحيح عملية النقد الأدبى، هذا التفسير يستند إلى نظرية تقول: إن العمل الفنى لا يكتمل إلا بوجود المتلقى، وهناك عبارة مشهورة لنتشه خاصة بالفن وليس بالسياسة تقول: إن كل الفنون تحتاج للمشاهدة، بمعنى أن الرواية إذا لم يقرأها قارىء لا تصبح رواية واللوحة الفنية بغير مشاهد لا تصبح لوحة، وهكذا! والمقصود بذلك أن العمل الفنى يكتمل وجوده بالمتلقى، إذن أصبح المتلقى جزءاً من صناعة العمل الفنى، وما حدث فى مسلسل «زينب والعرش» هو أن المتلقى - المشاهد - وهو - كما قلت - جزء من العمل الفنى قال إن عبد الهادى النجار هو فلان من الصحفيين، وأن دياب هو فلان.. والمتلقى أكمل العمل الفنى بهذه الرؤية!

● **قلت : ولكن من يقرأ رباعية «الرجل الذى فقد ظله» يكاد يرى فيها نجوم الصحافة اللامعين.. فمثلا« يوسف عبد الحميد السويفى» هو هيكل ! بل إن الناقد الصحفى الإنجليزى «ديزموند ستيورات» قال : كانت رباعيتك «الرجل الذى فقد ظله» تدور حول أحد رؤساء التحرير الناصريين؟**

■ ابتسم فتحى غانم وقال: ما حدث هو أننى من خلال الرواية أعطيت للقارىء المتلقى المناخ الذى أخصب عنده هذه المقارنات! وأذكر عندما كتب هيكل كتابه «عبد الناصر والعالم» فقد كتبت صحيفة «نيويورك تايمز» مقدمة عن الكتاب وهيكل تقول فيها: بلغ من شهرة هيكل فى مصر أن كتبت عنه رواية هى «الرجل الذى فقد ظله».

وقبل ذلك بسنوات وأثناء نشر الرواية كنت أزور دائماً المرحوم محمد التابعى، وقال لى فى إحدى المرات: إن محمد - يقصد هيكل - يقول إنك تكتب عنه فى شخصية يوسف عبد الحميد السويفى، وتكتب عنى فى شخصية «محمد ناجى» وأذكر أننى قلت له: هذا جو الرواية!

وبعدها قابلت «هيكل» فقال لى بالإنجليزية: «الرجل الذى فقد عقله» وضحكنا!

● قلت له: عندما صدر قانون تنظيم الصحافة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠، كنت وقتها رئيس تحرير مجلة «صباح الخير» وبهذه الصفة حضرت لقاء جمال عبد الناصر برؤساء التحرير ورؤساء مجالس الإدارات، وهاجم فيه الكاريكاتير الذى تنشره المجلة. ما هى تفاصيل ما جرى؟

■ قال: قبل ذلك الاجتماع بحوالى أسبوعين كانت صباح الخير قد صدرت وغلافها عبارة عن رسم كاريكاتيرى للفنان حجازى، الذى رسم دولاب الملابس وبداخله خمسة رجال وأمامهم وقفت سيدة تقول لأخرى: أنا رايحة السينما.. تفتكرى أخرج بإيه؟

وفى ذلك الاجتماع ثار جمال عبد الناصر وهاجم الصحافة بشكل عام، ثم ذكر صباح الخير بالأسم وقال الصورة الكاريكاتيرية اللى بتمثل الزوجة على أنها خاينة لأنها حطت تلاتة فى دولاب!! أبداً مش ده مجتمعنا! أنا معرفش، أنا مش متصور أن مجتمعنا فيه زوجة بتحط ثلاث رجاله فى الدولاب، وعلشان كده بتحط لهم تكييف هواء.. ده مجتمع مين أنا معرفش!

ضحك فتحى غانم وعاد ليقول: دائماً كانت النساء التى يرسمها الفنان «حجازى» تثير أزمة مع الدولة وتتميز ريشة حجازى بأنها الريشة الطيبة الناعمة التى تتناول المشاكل بوقاحة وإصرار!

● سألته: بعد هذه الأزمة هل تحدثت مع الفنان حجازى بشأنها؟

■ قال: الحقيقة أننى لم أكن أهتم بمثل هذه الأمور إطلاقاً، وكنت أواجهها بعدم الاهتمام، وهناك أسلوبان فى الصحافة عموماً لمواجهة ذلك، الأول أن يقال لك أو لرئيس التحرير إن الحاكم مهتم ومنزعج جداً لما تنشره أو تكتبه، وعندها

ستقوم بالدفاع عن نفسك من منطق الخوف والفزع والهلع فترسل برقيات وتلغرافات استعطاف ثم تنهال على رسام الكاريكاتير فتهدده وتعاقبه... و....

والأسلوب الثاني وأنا من أنصاره وأتبعه غالباً وهو أنني استمع لكل هذه الزوبعة ولا أهتم بها مطلقاً، واستمر في أداء عملي بشكل عادي تماماً، وما يريد الحاكم أن يفعله فليفعله. ومنطقي في ذلك أن الأسلوب الأول الذي ينطوي على الخوف والدفاع عن النفس يضخم وينعش السلطة، وفي اللحظة التي تجد السلطة فيها أنك في موقف الشاكي والمبرر والمدافع، فهذا يقويها و«يورمها»، ولكن إذا تجاهلت ذلك كله، فالسلطة أعجز وأكسل من أن تعرف تماماً ماذا تريد أو ما الذي تفعله؟!

● قلت: وظروف اللقاء مع جمال عبد الناصر في تلك الفترة؟

■ قال: لم يحدث أنني جلست مع عبد الناصر بمفردنا، وكانت اللقاءات معه تتم في المناسبات العامة، مثل لقاء يعقده مع الصحفيين، أو الاتحاد القومي، ولكن أول وآخر لقاء تم بشكل بارد جداً من جانبنا، كان ذلك في اجتماع يحضره مصطفى أمين وعلى أمين، وإحسان عبد القدوس، وهيكل، فوقفنا صفاً واحداً لمصافحة عبد الناصر. وهناك عادة أخذتها عن والدي فعندما أصافح أحداً أنظر إلى عينيه طويلاً، فعندما جاء دوري لمصافحة عبد الناصر.. ظللت عيني في عينيه لمدة، ويبدو أن عبد الناصر دهش فسألني على الفور:

- أنت مين؟

□ أجبته: فتحي غانم!

كانت هذه هي المناسبة الوحيدة وكانت قاسية وباردة وفيها صرامة من الجانبين، صحيح أنه كان حواراً قصيراً للغاية لم يزد على أربع كلمات (أنت مين؟ فتحي غانم) ولكنه حوار معبر ويرمز لأشياء كثيرة جداً.

● قلت لفتحي غانم: عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت هناك صحف الأهرام، الأخبار، أخبار اليوم، روزاليوسف، المصري، ومع ذلك أصدرت الثورة الصحف الخاصة بها مثل «الجمهورية.. التحرير.. المساء» والملاحظ أنها فشلت جماهيرياً.. ماذا تقول أنت؟

■ قال: أتفق معك والسبب أن الطابع العام للذين اشتغلوا فى هذه الجرائد والمجلات كان أقرب إلى الموظفين، والتنظيم البيروقراطى الذى ينشأ من مسألة تولى ضباط فى عملية التنظيم كان يحد كثيراً من الانطلاقة الفردية للصحفى أو الكاتب الذى كان حقيقة يشعر ويحس أنه يستطيع أن يمارس العمل الصحفى دون أن يواجهه ضابط غير فاهم.

هؤلاء العسكريون أوالضباط الذين تولوا مسئوليات صحفية كانت لديهم نوايا حسنة، ولكنها لا تملك الخبرة اللازمة كى ينجح العمل الصحفى!! وأمامى مثل هو «دياب» فى «زينب والعرش».

أحمد بهاء الدين

«صحافة لها تاريخ»!



عقب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وطرد الملك انهالت الكتب والمقالات تشتم وتسب الملك رغم أن بعض كتابها كان من أخلص خلصاء الملك. وفوجىء الرأى العام وقتها بكاتب شاب لم يتجاوز عمره ٢٥ عاماً يدفع له بكتاب عنوانه «فاروق ملكاً» قدمه إحسان عبد القدوس.

وكان رأى أحمد بهاء الدين مذهلاً للكافة، إذ قال: الدستور هو الذى يحدد مكان الملك وينظم قيوده، والدستور هو القيد الذى كان يجب أن يقيد به الملك السابق والقفص الذى كان يجب أن يوضع فيه. والبداية الحقيقية فى مأساة فاروق أنه لم يلتزم بالدستور.

وانتبه الناس للكاتب الشاب المتزن والعاقل؛ فمنذ بدأ الكتابة الصحفية كهاوٍ ومحترف بعد ذلك، فقد ترك بصمات واضحة وعلامات قوية فيما كتبه، وأثارت كتاباته اهتماماً فكرياً كثيفاً لدى القراء، فقبل الثورة يطالب بتأميم تجارة القطن وكانت بأكملها فى أيدى الأجانب. وبعد الثورة بعامين وأثناء أزمة مارس الشهيرة يكتب مطالباً: إنه لابد للبلد من دستور وحد أدنى من الديمقراطية.

وفى عام ١٩٦٥ تصدر الطبعة الأولى من أهم كتبه «إسرائيليات» والتى أكد فيها بحق أن التحدى الذى تفرضه علينا إسرائيل ليس تحدياً عسكرياً سياسياً فقط ولكنه تحد حضارى بأوسع معانيه.

ثم تقع نكسة يونيو ولأول مرة يطرح المفكر العربى أحمد بهاء الدين اقتراح دولة فسلطين وأثار ذلك الاقتراح المطروح عام ١٩٦٨ جدلاً واسعاً بين أوساط السياسيين والمثقفين ما بين التأييد والمعارضة.

■■

● قلت: بداية المشوار فى الحياة العملية؟

■ قال لى: عندما تخرجت فى الجامعة - كلية الحقوق - كان فى ذهنى أن أعمل بالمحاماة، ثم اتضح أنه ينغى لمن يشتغل بالمحاماة فلابد أن تكون سنه ٢١ سنة وكان عمرى وقتها حوالى ١٩ سنة، فالذى حدث أن والدى - وقد كنت الولد الوحيد على مجموعة بنات - وكان يعمل موظفاً حكومياً وكارهاً للعمل الوظيفى قال لى وقتها: إذا أردت أن تشتغل محامياً فأنا مستعد للإنفاق عليك حتى آخر قطرة فى عمرى، أما إذا أردت أن تلتحق بوظيفة فأنا غير مسئول عنك، يعنى لا تقل لى أكلم لك أحداً كى تعمل! فقررت أن أقوم بعمل دراسات عليا فى كلية الحقوق، إلى أن أبلغ سن المحاماة، فى تلك الفترة كان لى صديق نذاكر معاً وهو ابن المرحوم محمد العشماوى باشا الذى كان وزيراً للمعارف وقتها، وكان الرجل يعرفنى جيداً واقترح علىّ بدلاً من بقائى فى البيت هذه المدة أن أعمل معه فى مكتبه، فعملت فى الحكومة لأول مرة فى مكتب وزير التربية.

وعندما خرج من الوزارة سألنى: أى جهة أحب أن أعمل بها؟ فكان بالنسبة لى العمل فى مجال القانون، فذهبت إلى إدارة الشئون القانونية، وبعد ذلك عملت فترة فى مجلس الد ولة. على أى حال أنا أعتبر أن القانون سواء أكان دراسة أو ممارسة أفادنى كثيراً، لأنه يعلم المنطق، وأن الكلام لابد أن تكون له معانى محددة، لكن بالمعنى المباشر لا أستطيع أن أقول إنه أعطانى خبرة معينة أو تجربة معينة.

● قلت: هل كنت قد بدأت الكتابة فى مجلة «الفصول»؟

■ يقول: نعم، كنت أكتب فى الفصول، ونشر لى بعض المقالات كقارىء، كانت «الفصول» مجلة مصرية الطابع والاهتمامات، وقد ظهرت رداً على مجلة «المختار» ريدرز دايجست وفى تلك الفترة كانت هناك دعوات تعتبر جديدة مثل الإصلاح الزراعى، وكانت هذه المجلة لها هذا الطابع الجاد وكنت من قرائها، فذهبت للأستاذ محمد زكى عبد القادر صاحبها ورئيس تحريرها - بدون سابق معرفة - وعرفته بنفسى، وقلت له: إننى أحب أن أكتب فى المجلة. فطلب منى أن أقدم له مواد، وبالفعل قدمت له مواد لتنشر فى المجلة، وأحياناً صرت أقدم له مواد لجريدة الأهرام ككاتب هاوٍ إلى أن كتبت فى روزاليوسف.

● قلت : حكى الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى سيرته الذاتية «أقدام على الطريق» : «كانت الفصول قد بلغت درجة كبيرة من الذيوع والانتشار، وكما كانت مجالاً لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضاً مجالاً لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد، وكنت أرحب بهم وأعطيهم فرصاً متساوية. وكان الأستاذ أحمد بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمساً، وأنست له، وأفسحت له الكثير من الصفحات، ثم حدث أن زادت مشغولياتى فى «الأهرام» بعد وفاة المرحوم أنطون الجميل باشا فزادت مسؤلياته فى الفصول، إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله».

■ قال الأستاذ أحمد بهاء الدين بتأثر واضح: كلامه ده صحيح وأنا أعتز بهذه الفترة جداً، أصبحت مدير تحرير الفصول، وكان عمرى وقتها ٢١ أو ٢٢ سنة، لأنه واقعياً كان الأستاذ زكى عبد القادر قد أصبح رئيس تحرير الأهرام، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن أصبح لها مركز جذب للمثقفين، وأعتز بأننى نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة، وكانوا يومها مغمورين، وكتبوا فى الفصول لأول مرة بأسمائهم، فتحى غانم، عبد الرحمن الشرقاوى، أحمد رشدى صالح، وكان وقتها مختفياً لأنه كان مطلوباً من البوليس ويكتب باسم مستعار، أيضاً نظرت لعلى الراعى، نعمان عاشور، يوسف الشارونى، وعدد ملفت آخر تجمعوا فى مكتب «الفصول» الذى كان مقره شارع شريف، وسرعان ما تحول إلى نوع من الملتقى، كان كل واحد من هؤلاء يأتى ويعرفنى بغيره، بدأ بدر الدين أبو غازى يكتب عن الفن التشكيلى ولم أكن أعرف أحداً منهم قبل ذلك باستثناء الشرقاوى وفتحى غانم (لأنى عرفتهما أثناء الوظيفة)، فمثلاً أكون بالمجلة فيأتى واحد ويعرفنى بنفسه قائلاً: أنا اسمى نعمان عاشور ويكتب قصص وهكذا.

● قلت : وظروف انضمامك لروزاليوسف ؟

■ قال: كان هذا قبل ثورة يوليو بشهور قليلة فيما أذكر، ونشرت وزارة الهلالى باشا فى ذلك الوقت الميزانية المصرية، ولم يكن مألوفاً أيضاً فى ذلك

الوقت الكتابة فى المسائل الاقتصادية كما هو الآن، فالسياسة أصبحت كلها اقتصاداً، فكتبت مقالاً عن الميزانية مهاجماً لها بشدة وأيضاً بشكل مبسط، أرقام فوجىء بها الناس، وكان هذا نغمة جديدة وقتها، الكلام عن الاستثمار وعن التنمية فهذه الكلمات لم تكن موجودة، وأن الميزانية أكثرها لاستيراد المجوهرات والفراء ووسائل الترف، وكانت هذه نغمة جديدة فلتقطتها مجلة روزاليوسف وفوجئت أنها منشورة فى الصفحة الأولى بعناوين ومانشيتات بل منشورة مكان الافتتاحية، فاعتبرت هذا تصرفاً ممتازاً من المجلة، فهو مقال لشخص غير معروف إنما لأسباب موضوعية ينشر فى الصفحة الأولى، فهذا شجعنى على أن أكتب باستمرار، وكنت أرسل باستمرار بروازاً ينشر فى صفحة أو ثلاث وأتركه مع بواب المجلة دون أن أعرف أحداً فى روزاليوسف لفترة طويلة.

وفى أحد الأيام وكان وقتها المرحوم عميد الإمام سكرتير تحرير روزاليوسف فقابلته بالصدفة على باب المجلة ولم أكن أعرفه فقال لى: ده إحنا بنقول للبواب دائماً إنك عندما تيجى يبلغنا عشان عايزينك، المهم أخذنى وعرفنى على السيدة روزاليوسف والأستاذ إحسان عبد القدوس واستمريت فى الكتابة وعرضوا علىّ أن أشتغل فى روزاليوسف لكنى رفضت، فقد كنت فى مجلس الدولة وعلى وشك أن أسافر إلى فرنسا لإكمال رسالة الدكتوراه، لكنى كنت دائماً أعمل فى فترة بعد الظهر، ثم زادت مسئوليتى فألغيت الرحلة إلى فرنسا ثم استقلت من مجلس الدولة.

● **قلت : وظروف صدور مجلة «صباح الخير» وكنت أول رئيس تحرير لها؟**

■ قال: كان لدى السيدة روزاليوسف ترخيص قديم منذ سنوات طويلة باسم «صباح الخير» وكانت كما قالت لى: تتمنى أن تصدر مجلة أو جريدة باسم هذا الترخيص قبل أن تموت، وطلبت منى إصدار هذه المجلة، فتوليت عملية إصدارها وكنا جميعاً مترددين، لأن الوسائل المتاحة كانت بسيطة جداً.

● **قلت : بل الأكثر من هذا إنك كتبت فى العدد ١٥ من «صباح الخير» تقول إنك كنت من أشد المعارضين فى إصدار «صباح الخير»؟**

■ فيكمل قائلاً: لم أكن متوقعاً أن تستمر، لأنه حتى وقت صباح الخير كانت السوق الصحفية قد رأت عشرات المحاولات لإصدار مجلات ذات طابع اجتماعى وليس السياسى، وكانت تغلق أبوابها بسرعة، فأنا لم أكن أتوقع لها إلا هذا المصير فى الواقع، خصوصاً أنها ستكون نفس طباعة روزا ونفس الورق أيضاً فى ذلك الوقت، ولابد أيضاً أن تتشابه مع روزا لأنها ستقوم على الرسم والريشة والكاريكاتير، أى ستكون نسخة اجتماعية وليست سياسية من مجلة ناجحة، وعادة فهذه تجربة خطيرة جداً.

المهم أن السيدة روزاليوسف صممت على إصدارها بأى ثمن، وكانت الميزانية والوسائل المتاحة لنا قليلة جداً جداً، وصدر العدد الأول وليس فيه من يساهم من الصحفيين رغم شبابهم إلا أنا والأستاذ حسن فؤاد والفنان زهدى بصفته هو الذى رسم غلاف أول عدد فقط لاغير، وصلاح چاهين كان وقتها يعمل فى التوضيف، وأول مرة يرسم فيها صلاح چاهين «كاريكاتير» كان فى صباح الخير، كان حلمه أن يرسم موتيفات «رسوم صغيرة» ولم يوافقوا، وذات يوم قال لى الأستاذ حسن فؤاد: إنه فيه شاب ليس له عمل معين ما رأيك لو أتى يساعدنا فى ماكيت المجلة، كان صلاح چاهين وقتها مهتماً بكتابة الأغانى، وعندما رسمنا أول مشروع لماكيت صباح الخير، حددنا به أماكن نظرية يوضع مكانها نكت وكاريكاتير، وكنا وقتها نحاول عمل أحجام وأشكال مختلفة للكاريكاتير عن روزاليوسف، وفوجئت وأنا أرى هذا الماكيت بأن صلاح چاهين قد قام برسم كاريكاتير بالقلم الرصاص داخل هذه البراويز، وكان الكاريكاتير بالفعل ملفتاً للنظر سواء من ناحية الذكاء أو خفة الدم أو الخطوط، فسألته:

أنت ليه مش بترسم «كاريكاتير»؟

فقال لى: أنا مشكلة حياتى إنى أرسم كاريكاتير ولا أحد يرضى أن يجعلنى أرسم «كاريكاتير» إنما يقولون لى وضب، شيل، حط، وكمان بأكتب أغانى، فسألته: هل مستعد ترسم «كاريكاتير» فى المجلة؟ فقال: آه مستعد.

صلاح چاهين لم يرسم «كاريكاتير» إلا منذ أول عدد فى صباح الخير، ولم يكن معروفاً، إنما انفجر كالقنبلة، فلم يبدأ بداية تدريجية.

جميع من أسسوا صباح الخير منذ أول عدد كانوا طلبة فى قسم الصحافة بكلية الآداب على أكثر تقدير أو طلبة فى كلية الفنون الجميلة، واليوم اسماؤهم ملأت الدنيا .. مثلاً صلاح چاهين، رجائى، حجازى، بهجت، ومن المحررين محمود المراغى، نجاح عمر، زينب صادق، نهاد جاد، لويس جريس كان فى قسم الصحافة بالجامعة الأمريكية ولم يكن مضى على تخرجه شهر واحد ونجاحها بهذه المجموعة كان أهم شيء ملفت وقتها.

● قلت: اخترت شعار صباح الخير، «للقلوب الشابة والعقول المتحررة» عام ١٩٥٦، هل ترى أنها مازالت تلتزم؟

■ قال بسرعة وحسم: مازالت محافظة على نفس الشعار.

● قلت: يوم مات «على أمين» كتبت على صفحات الأهرام: فى إحدى أزماتى مع السلطة قلت لممثل السلطة: إن الثورة لها أفضال على أناس كثيرين ربما كانوا لا يستحقون، ولكن الثورة لا فضل لها علىّ بالمعنى الشخصى، فإيمانى بها مجرد من النفع، ذلك اننى توليت أكبر منصب يفكر فيه صحفى وأعلى مرتب قبل تأميم الصحافة، وبقوانين السوق الحرة، ومارست ذلك حتى زهدت فيه، وما أريد سوى أن أكون كاتباً، لأننى أعتقد أن لقب كاتب أو محرر هو أعلى لقب فى الصحافة.

■ يبتسم أحمد بهاء الدين قائلاً: ليست أزمة معينة، لكن أنا أعتقد أن الصحافة لها عدة طرق، وكل صحفى يشعر أنه يستطيع أن يتقدم فى اتجاه فهناك الصحفى الذى يستطيع أن يتقدم فى أن يكون مخبراً صحافياً من الدرجة الأولى، أى كفاءته فى الحصول على الخبر فى الدرجة الأولى، وآخر يشعر أن استعداده هو الكتابة والتحليل بالدرجة الأولى، وهناك صحفى تتجلى موهبته فى إدارة العمل الصحفى، وهذا أشبه بقائد الأوركسترا، الذى قد لا يكون أهم عازف للكمان أو للبيانو، فقد يكون عنده عازف بيانوا ومشهور عالمياً، ولكن قائد الأوركسترا هو الذى ينسق الأوركسترا من المواهب والكفاءات الموجودة عنده بحيث يخرج أحسن ما لدى كل من يشتغل معه.

وأنا قلت هذا الكلام عندما قررت أن أترك نهائياً أى مسئولية سواء كرئاسة تحرير أو رئاسة مجلس إدارة على أساس أننى أعتقد بعد مرحلة معينة من السن والعمل والجهد والتعب انه قد آن الأوان للإنسان أن يختار ما هو صالح بالنسبة له ويحبه. ولكن التقليد الموجود فى مصر - وهذا كلام قلته للمسئولين فى مصر - أن رئيس التحرير هو الذى يكتب مقال الصفحة الأولى، وهو الذى يكتب الافتتاحية بتوقيعه، وهذا التقليد ليس موجوداً فى العالم كله، لأنه بدعة محلية.

وجهد رئيس التحرير فى الأساس هو إبراز أحسن ما عنده، أن كل شخص عنده يعطى أحسن ما لديه، الكاتب، سكرتير التحرير، الرسام، المخبر الصحفى. أما تقليعة أن قرار تعيين رئيس التحرير، فيصبح رئيس التحرير هو الكاتب الأول فى الجريدة أو المجلة فهذا ليس موجوداً إلا فى مصر.

أكثر من هذا، أنا كنت دائماً أقول للمسئولين عن الصحافة، إننا لو أخذنا الصحافة الأمريكية أو الإنجليزية أو فى معظم البلاد المتقدمة لا نجد اسم رئيس التحرير مكتوباً على الإطلاق.. وأذكر مرة فى أحد الاجتماعات وكان الموجودون من غير الصحفيين، فسألت هل يعرف أحدكم اسم رئيس تحرير «التايمز»؟ قالوا: لا! أو «الجارديان»؟ قالوا: لا! لأنه ليس موجوداً إنما يعلمون اسم المخبر الرئيسى لأنه يكتب فى الصفحة الأولى كتب فلان أو السبق الصحفى الذى أحرزه أو مقال بقلم فلان، لأن رئيس التحرير هو الذى يتولى طبخ كل هذه الأشياء.

أنا أقول هذا اتجاه وهذه كفاءة غير كفاءة الكتابة وغير كفاءة رئاسة التحرير، لذلك أنا فى وقت من الأوقات قررت أننى لم أعد مضطراً أن أتحمل مسئولية ثلاثة آلاف محرر وموظف وعامل، وعمليات بيع وشراء واستيراد مطابع وورق، وأحسست أن هذا ليس أحسن شىء أجيده، وأنه فى فترة من الفترات فالإنسان يجب أن يتخصص فى شىء يجيده.

● قلت : حكى إحسان عبد القدوس فى حوار له أنك حذفت له سطرين من مقال دون أن تخبره بذلك؛ فذهب إلى أخبار اليوم ليتولى رئاسة تحريرها.. أريد أن أعرف ظروف هذه القصة؟

■ قال: أنا لا أتذكر ذلك، وأكاد استطيع أن أنفى هذه الواقعة، إنما لو تذكرت هذا المقال ربما كنت أعيد النظر.. ولكن أين نشرت هذه القصة؟

● قلت: في كتاب صدر عنوانه «اعترفات إحسان عبد القدوس»؟

■ قال: هل كانت القصة عارية من التفاصيل؟

● قلت: تماما!

ملحوظة: في صفحة ٧٢ من الكتاب السابق يسأل محمود مراد: لكنك لم تستمر على هذا الوضع طويلاً.. لقد تركته في يونيو ٦٦ فقال إحسان:

لأن أحمد بهاء الدين ارتكب نفس الخطأ - حذف سطرين من مقال لي دون أن يخبرني ويومها في المساء تحدثت مع محمد حسنين هيكل بالتليفون، وكان هيكل قد عرض عليّ قبلها بثلاثة أشهر أن أنتقل للعمل في أخبار اليوم - وكان يشرف عليها وقتها - ولهذا حدثته وحددت معه موعداً للقائه في مكتبه في الأهرام الثامنة صباح اليوم التالي، وأخذني إلى أخبار اليوم لأتولى رئاسة تحريرها.

■ يواصل أحمد بهاء الدين حديثه قائلاً: أذكر على العكس، ففي حوالي عام ١٩٦٦، وكنت رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال وانتدبت لأعمل رئيساً لمؤسسة روزاليوسف، وكان إحسان عبد القدوس وقتها يتعرض لمضايقات في النشر في روزاليوسف وعرضت عليه أن يكتب ما يشاء في مجلة المصور، وقد نشر ما شاء في المصور، وأنا لا أستطيع أن أذكر شيئاً من هذا القبيل قد حدث إطلاقاً.

ومن حيث المبدأ أريد أن أقول إن رئيس التحرير له ولاية على ما يكتب في الجريدة أو المجلة سواء أكان خبراً أو مقالاً، وله حق الاعتراض وإلا لا يكون رئيس تحرير ولكن على سبيل القطع والتأكيد فإنه ليس من ملكي الشخصي أن أحذف لأحد أكبر مني سناً أو أقدم مني في المهنة، إلا إذا كان مثلاً بعد استئذانه أو بعد التفاهم معه وهذاحدث مع الأستاذ محمد التابعي عندما كنت رئيساً لتحرير أخبار اليوم ومع الأستاذ فكرى أباظة عندما كنت رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال ولكن في كل مرة كنت أرى أن هناك وجهاً للتحفظ على بعض ما يكتبه، فكان هذا الموضوع يتم بإخطارهم وموافقتهم وبعد استئذانهم.

وأنا لا أتصور أننى سلكت مع الأستاذ إحسان عبد القدوس مسلكاً يختلف عما سلكته مع الآخرين وظروف ذهابه إلى أخبار اليوم - لا أريد أن أتحدث عنها - لأنه لا علاقة لها إطلاقاً بمثل هذا الأمر، والذى حدث بالضبط أنه عندما تولى الأستاذ هيكل مسئولية مؤسسة أخبار اليوم أراد أن يقويها بعدد من الناس، فعرض على الأستاذ يوسف السباعى أن يرأس تحرير مجلة «آخر ساعة» وعرض على إحسان عبد القدوس أن يرأس تحرير «أخبار اليوم»، وعرض على جلال الدين الحمامصى أن يرأس جريدة الأخبار وهذا ما حدث.

● قلت : طالبت ذات يوم بأن يكون للإعلام «حصانة» وأن يكون له «ضمير» كيف؟

■ قال: المطالبة بحصانة للصحفيين شىء غير متعلق بى وحدى، وأعتقد آنه لا يوجد صحفى إلا وطالب بهذه الحصانة لأن ذلك مطلب لكل الصحفيين، ولكن فى الوقت اذى نطالب فيه بحصانات قانونية فأنا - على الأقل - من الذين يعرفون جيداً أن الحصانة لا تأتى من أى نصوص مكتوبة، لأنه ثبت بالتجربة أن النصوص تجدها متشابهة فى كل دساتير العالم ولكن فى واقع الأمر التطبيق هو الذى يختلف! حصانة الصحافة الحقيقية تأتى من قوتها مدعمة بقوة المؤسسات الأخرى فى الدولة كالقضاء، المجالس البرلمانية، المنظمات النقابية والمهنية، قوة ضغط الرأى العام، وهذه الأشياء حقيقة هى التى تحمى الصحافة، ولكن حين تكون هذه المؤسسات ضعيفة، فالصحافة تبقى عارية بلا حماية مهما وضعنا من نصوص وقوانين. وهذه هى القضية، إن حصانة الصحافة لن تأتى إلا مع الوقت، حين تصبح لكل المؤسسات درجة معقولة من الحصانات.

● ضحك الأستاذ أحمد بهاء الدين طويلاً حين قلت له : على مدى هذا العمر كله ما هى متاعبك مع الرقابة؟

■ ساد الصمت للحظات قال بعدها أحمد بهاء الدين: أحياناً كانت الرقابة معتدلة، أى رقابة بالنسبة لقضايا محدودة، فكانت فرصة الكتابة متوافرة، وأحياناً كانت الرقابة فى ظروف حرجة يمر بها البلد فتصل الرقابة إلى أقصاها، وأنا شخصياً كنت دائماً أحرص على شيئين، الأول هو ألا تجعلنى الرقابة أكتب

غير ما أعتقد به. فأنا لست من الكتّاب الذين يسهولة ينكرون ما كتبوه، أى أنا أفهم أن أقول إننى كنت مخطئاً عندما قلت كذا وكذا.. ولا أفهم أن أقول إننى كنت مضطراً أن أكتب كذا.. لأنه لم يكن هناك أحد مضطراً.. هناك الصمت!

الشيء الآخر أننى كنت أعتقد أنه مهما كانت ظروف الرقابة، ففى بلادنا يستطيع الكاتب أن يكتب فى أى موضوع آخر، مثلاً كتابى «أيام لها تاريخ» كتبته فى مرحلة كانت الرقابة فيها بالغة الشدة، كان ذلك عام ١٩٥٤ «أثناء أزمة مارس» وكنت أريد أن أقول إنه لابد للبلد من دستور ومن حد أدنى من الديمقراطية رغم موافقتنا على الاتجاهات الاجتماعية الأساسية للثورة، فلجأت للتاريخ. كان أحد المخارج هو التاريخ، وهكذا كتبت فصوله، والتى كانت تتحدث عن حرية الرأى وضرورة الدستور من خلال قصص ومواقف من تاريخ مصر الحديث يقرأها الناس ويستفيدون، وبها ثقافة ومعلومات، لأنه - مثل ما قلت - إن الكاتب فى بلاد مثل بلادنا عليه واجب تثقيفى إزاء القارىء إلى جانب أنه يجب أن يعبر عن رأيه.

● ظروف ترشيحك لمنصب نقيب الصحفيين المصريين ثم اتحاد الصحفيين العرب؟

■ أجاب الأستاذ بهاء: تقدمت لانتخابات منصب نقيب الصحفيين المصريين فى ظل ظروف نكسة ١٩٦٧ وكان ذلك تحت ضغط كثير من الزملاء، وكنت أعتقد أن المهمة الأولى للنقابة فى تلك الفترة هى عدم إضافة عناصر تمزق وصراعات أخرى، حتى أننى اشترطت على زملائى أن أفوز بالتزكية أو لا أتقدم للانتخابات وبالتالى قابلت المرشحين الآخرين الذين كانوا فى ذهنهم الترشيح، ووافقوا على هذا المنطق، وأنه ليس هذا وقت خوض معارك انتخابية وهزيمة ٦٧ لم تمض عليها شهور، وتمت الانتخابات بهذا الشكل، وكان هذا هو السبب الوحيد الذى من أجله رشحت نفسى للانتخابات لأننى أعتقد أنه تكمن فى الصفات الجماهيرية التى تجعلنى أفضل من يقوم بأعباء هذا المنصب.

بالنسبة لاتحاد الصحفيين العرب. فقد كانت هناك عشرون دولة عربية تمثلها عشرون نقابة صحفية، وقد كانت لى علاقات بكثير من الزملاء الصحفيين العرب

الذين قالوا لى يومها: إننى إذا رشحت نفسى فستكون رئاسة اتحاد الصحفيين العرب فى مصر، وقد كانت مصر فى ذلك الوقت محتاجة إلى أن تكون موجودة فى الساحة بأكبر قدر ممكن. وبالتالى انتخبت رئيساً لاتحاد الصحفيين العرب.

ثم تجدد الانتخاب بعد أربع سنوات ثم بعد ٨ سنوات (مدتين رئاسة) استقلت من رئاسة اتحاد الصحفيين العرب وكتبت إلى المؤتمر رسالة أقول فيها: فى هذه السنوات الثمانى تراجعت الحقوق الصحفية والحريات الصحفية فى العالم العربى بدلاً من أن تتقدم للمزيد. وأنا أشعر أن الاتحاد عاجز عن عمل شيء. وأنا أؤيده و«تحت أمره» لكن قد يكون غيرى أقدر على عمل شيء.

● قلت وأنا أتحسس حروف الكلمات: يحتار الإنسان القارىء لك فى تصنيفك فكرياً - إن صح التعبير - فاليسار يزعم أنك يسارى، والناصريون يؤكدون على كونك ناصرياً، فماذا ترى نفسك بالضبط من كل هذه التيارات السياسية؟

■ يقول: فى البداية أريد أن أقول إننى لست ضد الإنسان الذى يتغير فكره، فأنا دائماً أقول لزملائى الشباب غير ممكن أن يأخذ الإنسان القرارات النهائية فى حياته وهو فى سن العشرين من عمره، إنما لابد ستطرأ عليه تعديلات، إذن فمبدأ أن الإنسان فكره يتغير من مرحلة لأخرى هذا شيء وأرد ويكاد يكون طبيعياً.

لكن فيما يتعلق بى أنا، فإن ما حدث منذ البداية وأنا فى ذهنى أن تكوينى هو تكوين «اشتراكى ديمقراطى»، هذا من ناحية الموقف الأيديولوجى النظرى البحت، فما أتوقع أنه النظام الأمثل هو النظام الاشتراكى الديمقراطى خصوصاً لبلاد مثل بلادنا، هذا عن الجانب الأيديولوجى بالنسبة للصحفى فعليه أن يتفاعل وتكون ردود أفعاله من مواقف معينة قد لا تكون هى بالتحديد ما فى ذهنه أيديولوجياً. فمثلاً أذكر وأنا طالب فى كلية الحقوق، أنه كان من بين زملائى من أصبحوا بعد ذلك من البارزين فى الإخوان المسلمين وكان تيار الإخوان المسلمين قوياً جداً فى الجامعة وأيضاً تيار الشيوعيين كان قوياً جداً فى الجامعة وكلاهما فشل تماماً فى أن أنجذب إليه، إنما كان هواى مع حزب الوفد، أنا فى حياتى لم

أدخل أى حزب أو تنظيم. وأنا لا أقول هذا على سبيل الفخر، لكن كل إنسان له طبيعته.

أنا فى ناحية التفكير وتكوين الرأى، أستطيع أن أقول إننى أميل إلى النزعة الفردية، أى أحب أن أكون رأياً لنفسى، ولا أتصور فى أى عمل تنظيمى كيف تخضع لرأى الأغلبية وعليك أن تقبله وتتبناه. وهذا من مبادىء التنظيم أياً كان التنظيم السياسى. أنا لا أتصور كيف أمارس هذه الحكاية وبالتالى يمكن يكون مثل هذا الأمر عقبة حالت طوال حياتى بينى وبين الالتحاق بأى تنظيم سياسى.

إنما قبل الثورة كان هواى دائماً مع الوفد، ويمكننى القول فى وصف هذا أنه كاشتراكى ديمقراطى فى تلك المرحلة قبل الثورة، كان حزب الوفد هو الحزب الشعبى الأول الذى استوعب واقعياً آمال الجماهير، وهو القادر على فعل تغيير إذا كان يوجد أمل فى التغيير رغم كل عيوبه. وقامت الثورة.. وحلت الأحزاب وجاءت الثورة بمبادىء وأهداف أقرب إلى تفكير الإنسان من قبل الثورة، فالثورة فى الواقع لم تأت بأى شعار مخترع، مثلاً تحديد الملكية الزراعية، القومية العربية، الحياد الإيجابى، كل هذه الشعارات الأولى للثورة كانت آراء كتبها عدد من المثقفين فى وقتها.

أريد أن أقول إن الثورة لم تأت بجديد، إنما جاءت بشعارات كان هناك من تبناها من قبل، فلما جاءت الثورة كنت من مؤيدى شعاراتها التقدمية الجديدة.

يسرح أحمد بهاء الدين ببصره ثم يقول لى: أريد أن أقول إن هناك الاقتناع المذهبى الخالص، إنما مثلاً على ضوء هذا الاقتناع المذهبى جاءت الثورة وكان فيها العنصر الديمقراطى ناقص فى معظم فتراتها، لكن أيضاً حين نقارن بين الثورة وبين الإنجازات الاجتماعية الهائلة والتى قصد بها القفز بحياة الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى وهى الفقراء والبسطاء، فهذا شىء لابد من تأييده، لأنه يصعب دئماً على الإنسان أن يقوم بعمل صيغة نظرية تماماً ويجدها بالضبط لأن هذه تحتاج إلى درجة من تعدد الأحزاب بحيث إن كل إنسان يكون لديه «البدلة» التى على مقاسه بالضبط، وهذا ليس موجوداً دائماً.

إذن هناك الموقف الفكرى المحض أو العقائدى وهناك الموقف السياسى التطبيقى. فى موقف معين مثلاً أنا كاشتراكى ديمقراطى قد يكون لى أولويات

تختلف عن أولويات الديمقراطى الليبرالى. فأنا أرضى بالتضحية ببعض الليبرالية إذا كان هذا يحقق تحولاً اجتماعياً فى المجتمع نحو مزيد من العدل، فى حين أن الليبرالى الصميم لن يرضى بهذا مثلاً. إذن الأولويات هنا تختلف.

● قلت: ألم تتأثر بالفكر الماركسى أو الإخوانى فى مرحلة ما؟

■ قال بإصرار: أنا قرأت كل شىء وتأثرت بكل شىء، والذى يقول إنه لم يتأثر بشىء فلم يكن هناك داع لأن يقرأ، لكن فى الواقع الذى يهتم ويقرأ يتأثر. فأنا كنت ومازلت أتابع قراءة كافة التيارات المختلفة لأنى كما قلت لست فى تنظيم أو حزب أو تيار معين التزم به. ولكنى مستقل فى تفكيرى، ولكن جزءاً أساسياً من مكوناتى هو اطلاعى المستمر على الجديد فى هذه الشئون، مثلاً أنا أفهم تماماً دور الإسلام فى تكوين المجتمع المصرى العربى بصفة عامة لأن هذا هو التراث ووعاء الحضارة وله دور أساسى وله أيضاً قيم معينة.

بالنسبة للماركسية فهى قد أدخلت على التفكير العالمى أشياء حتى أمريكا أخذت بها اليوم بمعنى أن كل فكرة التخطيط يمكن إرجاعها للماركسية فلم يكن هناك شىء اسمه التخطيط الاقتصادى، وضع حد أدنى للأجور، تدخل ضخم من الدولة فى كل اقتصاد الدولة، وعندما ينفذون التأمين الصحى، هذه الأشياء كانت مرفوضة تماماً. هناك أشياء كثيرة جداً فى الماركسية لا يمكن تجاهلها ولا يمكن إنكارها وهى مساهمة فى التفكير الاقتصادى ضخمة جداً وأساسية.

● قلت: غالبية كتبك مقالات متفرقة أعيد جمعها فى كتاب!

■ قال: هذا صحيح، فأنا لم أكتب كتاباً بذاته إلا «فاروق ملكاً» و«إسرائيليات وما بعد العدوان» أما باقى كتبى فكانت مقالات متفرقة طلب الناشرون تجميعها ومنذ بدأت الكتابة وأنا دائماً فى ذهنى مشروعات كتب أريد أن أكتبها ولا أكتبها.

● قلت: لو عادت بنا الأيام.. وكانت لديك اختيارات هل كنت ستسير فى نفس المشوار؟

■ قال: أعتقد ذلك، وإن كنت أحياناً أفكر فى أمرين أحس أننى حبذا لو سلكتهما فى الحياة. الأول الاهتمام بالتاريخ والعمل كمؤرخ، والثانى الاشتغال كمهندس لأن أغلب الناس لا يعرفون أنى أهوى الهندسة المعمارية، لأن الهندسة

علم اجتماعى.. ليست الهندسة بمعنى، مسلح، وبناء، وتخطيط المدن، وأنا نصف مكتبتى فى هذا الموضوع.

● قلت: إحدى مشكلات البلاد النامية ومن بينها مصر مشكلة «الأصالة والمعاصرة» أى كيف نكون معاصرين دون أن نفقد أصالتنا. كيف ترى الخروج من هذا المأزق الفكرى؟

■ قال: هذا سؤال يصعب الرد عليه ببساطة، لأنه فى الواقع هذه مشكلة المشاكل التى تواجه مصر وتواجه العالم العربى وتواجه العالم الإسلامى، فهذه القضية طرحت منذ أيام الشيخ محمد عبده، والأسئلة التى طرحت منذ مائة سنة وأكثر لم يجب عليها بعد، لم يجب عليها بمعنى أن المجتمع لم يصل إلى حل فيها. بالطبع هناك آراء فأنا لى رأى وغيرى له رأى. لكن لم تصبح هناك صيغة مقبولة لدى المجتمع أنه كيف يجمع بين الأصالة والمعاصرة أو ما هى الترجمة الحقيقية لهذا.

لأن كل إنسان يقبل من حيث المبدأ الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ولكن المشكلة كيف، المشكلة ما الذى تعتبره أصيلاً وغير أصيل. فمثلاً هناك من يعتبر كل ما سلف فى الزمان أصالة سواء مصرية أو إسلامية أو عربية فى كل هذه الحضارات المتداخلة، هى فى بعض القيم الأساسية، وهناك قيم أخرى كثيرة جداً لحقت هذا التراث كله فى عصور الاضمحلال والضعف والانحلال التى كانت هى أغلب الوقت، فالـ ١٤٠٠ سنة إذا أخذنا التاريخ الإسلامى وبدء هذا الكيان العربى الإسلامى سنجد أن معظم تلك الفترة كانت فترة حروب وانحلال واضمحلال واضطهاد وتخلف مئات السنين والقرون، فهنا سنجد قيماً كثيرة، إذن لا يمكن أن نتقدم دون إعادة نظر إلى هذا التاريخ نظرة موضوعية جريئة وصريحة، تنظر للأشياء فى علم وتميز بين ما هو حقيقة أساسى وهى القيم الأساسية فى أى تراث أو أى حضارة أو أى جيل وبين التطبيقات والتفسيرات التى لحقت به فى قرون مختلفة.

فمثلاً أنا حقى فى التفكير بالنسبة لهذه القضايا - فى رأيى - لا يختلف عن حق أى شخص فى التفكير ابتداء - ولنقل - منذ عصر معاوية، فإذا كان هناك

فقيه أو مفكر بعد الخلفاء الراشدين ونحن نعتبرهم فترة خاصة وهى فترة قبل قيام الدولة بمعناها المعقد - إذا كان من حقه أن يفكر ويفسر فأنا من حقى - خصوصاً المجتهدين - الآن نفس الأحقية فى التفسير ربما أكثر لأننا نعرف الظروف الجديدة.

أما اعتبار كلام فقهاء أو أناس مهما كانت قيمتهم ولكنهم بشر وكانوا فى ظروف مختلفة وتعرضوا لكل ما يتعرض له بشر من إغراءات أو من الإرهاب أو القوة أو الضعف، أن نعتبر هذه أشياء مقدسة فأنا ضد هذا!

هنا كل إنسان يقبل الأصالة ولكن نختلف فى تفسير الأصالة، هناك من يعتبرون أن العصر الذهبى هو الذى كان، أنا أقول الذى كان لم يكن كله عصراً ذهبياً، وإنما كان فيه.. وفيه.. هذه إذن قضية خلافية كبيرة، وأنا أرى أن الحياة الواقعية ستحلها رغم أنف كل أصحاب الآراء.

● **قلت: بعض علماء الاجتماع الأمريكيين يؤكدون على حقيقة مؤداها أن البلاد النامية يمكن أن يحدث فيها التغيير الاجتماعى دون الحاجة إلى المثقفين! ما رأيك؟**

■ يقول: ظهور المثقفين هو جزء من التطور. وعندما نقول إن بلداً ما يتطور فهذا معناه أن جزءاً من التطور يعنى أن يتقدم فى الإنتاج «زراعى أو صناعى» يتقدم فى التعليم وهذا معناه أن سيفرز فئة مثقفة، بعد ذلك يأتى وزن الفئة المثقفة وبأى حجم، إذن هى عملية متفاعلة والمثقفون فى بلد متخلف ليسوا ملائكة يهبطون من السماء، أو من كوكب آخر، المثقفون هم إفراد الواقع والواقع يفرزهم وهم يؤثرون فى هذا الواقع ويحاولون شده وجذبه إلى الأمام.

وأنا كنت أقول باستمرار إن الكاتب فى البلاد المتخلفة عليه أن يكتب تحت كل الظروف ولا يمتنع عن الكتابة، وإذا استحال عليه أن يكتب فى السياسة، فعليه أن يكتب فى التاريخ أو الجغرافيا، فى الفن فى الأدب فى أى شىء، فى كل ما هو تثقيف عام.

● **قلت: المثقفون العرب متهمون بأنهم مصابون بمرض الهروب من الواقع أو الشعور بعقدة الذنب فيعبرون عنها بطريق غير**

مباشر فيدينون الإرهاب الفكرى الواقع فى أمريكا اللاتينية أو يدافعون عن المثقفين المعتقلين فى سجون جنوب افريقيا ويتجاهلون الواقع العربى ! ما رأيك ؟

■ يبتسم قائلاً: هذه فى الواقع حيلة يلجأ إليها الكاتب فى معظم الأحيان، فإذا كان الكاتب فى بلد ما لا يستطيع التحدث عن المعتقلين السياسيين فى بلده، لأن هذا ممنوع منعاً مادياً، فهو يشعر أنه حين يتحدث عن الاضطهاد السياسى أو قمع حرية الرأى فى أى بلد آخر، فهنا فيه نوع من الإسقاط على الموقف الداخلى، وعلى الأقل فهو يشعر قراءه أن هذا الشىء مبتكر من حيث المبدأ، لأنه بهذا يكون يحاول أن يقول شيئاً فى حدود الممكن، وبرنارد شو كان له كلمة أثناء الحرب العالمية الأولى على ما أظن وكانت توجد رقابة فى إنجلترا وكان «شو» ضد الحرب فكتب يقول:

إننى أذهب فى الكتابة إلى أن أصل إلى سور الأسلاك الشائكة! «لكنه يعلم أنه لن يستطيع القفز فوق الأسلاك الشائكة ليكتب ما يريد».

د. يوسف إدريس

«قصتي مع صحافة عبد الناصر والسادات»!



«الصحافة» واحدة من محطات د. يوسف إدريس الهامة! كانت «الجمهورية» محطته الأولى، والأهرام محطته الثانية والأخيرة!!

«الجمهورية» جريدة الثورة ولسان حالها وصاحب امتيازها جمال عبد الناصر. والنموذج المصغر لصراع الكواليس والدهاليز في السلطة! مابين «الجمهورية» و«الأهرام» كانت ليوسف إدريس رحلة طويلة...

الصفحات القادمة شهادة من د. يوسف إدريس على صحافة مصر عبد الناصر والسادات.. شهادة تجعلنا نتوقف كثيراً أمامها بالتأمل والدهشة..

■■

● قلت له: كم عدد المرات التي قابلت فيها جمال عبد الناصر؟ وظروف كل مقابلة، وما الذى تذكره عنها؟؟

■ قال: طوال ١٨ عاما هى مدة حكم جمال عبد الناصر، لم اقابله سوى ثلاث مرات فقط. أول لقاء كان بعد قيام الثورة مباشرة، وكنت أيامها أعمل فى جريدة «المصرى» قبل أن تغلق فيما بعد. وكانت المقابلة فى بيته وكان معنا المرحوم الأستاذ مرسى الشافعى مدير تحرير المصرى وقتها، أذكر أن عبد الناصر استقبلنا فى غرفة نومه البسيطة للغاية وكان يرتدى بيجامة مقلمة، فى ذلك الوقت كان المرحوم محمد نجيب هو الواجهة والرئيس، أما سبب زيارتى لعبد الناصر مع مرسى الشافعى فكان لسبب أدبى خاص بى. كنت قد نشرت قصة قصيرة فى المصرى اسمها «الهجانة» واحتج على القصة إخواننا السودانيون، «وزعل» منها محمد نجيب نفسه، وقبل هذه الأزمة بقليل حدثت أزمة مماثلة عندما كان الزميل عبد الرحمن الشرقاوى ينشر رواية الأرض مسلسلة فى المصرى وكان يرسمها له الفنان حسن فؤاد، وبعد نشر فصلين فقط- على ما أذكر- كتب فصلاً عن تصرفات عساكر الهجانة مع الفلاحين. وثار محمد نجيب على الشرقاوى وغضب وأمر باعتقال الشرقاوى لفترة، ثم أفرج عنه بعدها!!

يبتسم د. يوسف إدريس.. يتنهد.. ثم يقول : فلما حدثت أزمة القصة التى كتبتها عن الهجانة قال لى مرسى الشافعى بجدعنة ولاد البلد: ولايهمك أنا عارف مين اللى يقدر يحل المشكلة دى!! وعندما سألته: مين يامرسى؟! قال: هتعرف لما تقابله! وذهبنا لعبد الناصر فى بيته كما سبق أن قلت لك، واستقبلنا فى غرفة نومه، وفى ذلك الوقت لم يكن اسم جمال عبد الناصر موجودا بالمرة على الخريطة السياسية!! لكننى أحسست أن هذا الشاب هو «الرجل القوى»، وتأثرت بشخصيته جدا، واستغربت جداً أنه كان يستمع إلينا بطولة بال شديدة.. وصبر أشد.. وكان لا ينظر فى عينيك وأنت تتحدث إليه.. ثم فجأة تنقض عيناه على عينيك فى أقل من لمح البصر. كان لون عينيه غريبا.. كانت غامقة بشكل أقرب إلى لون العسل الأسود.. وتحس أنها نظرة غدرت بك فجأة، نظرة أخذتك وأنت غير مستعد أو مش واخد بالك! فإذا خطر ببالك أن تكذب فى وجوده أو تقول شيئا ينتابك خوف مجهول على الفور! وكأنما كانت نظرات عينى عبد الناصر تقول لك: أنا عارف أنت هتقول إيه! ربما لايقصد عبد الناصر هذه المعانى التى انتابتنى ولكن إحساسى ترجم نظراته لى كما أرويها لك الآن. بالإضافة لهذا كان مستمعا جيدا ومدهشاً، لذلك كان الشاعر الرقيق كامل الشناوى يقول عنه دائماً : أذناه كبيرتان!!

مع إعجابى بشخصيته، فقد آليت على نفسى الا إن تكون بينى وبينه مسافة ألف كيلو متر.

● لم أمنع عقلى من أن يبدى دهشته فقاطعته قائلاً : ولماذا ؟ !

■ قال: شوف ياسيدى.. كان عبد الناصر النقيض لشخصيتى. بمعنى أنه كان منظما. كُتوما. يأخذ مايديش فى الكلام. وأنا صريح، فوضوى، ساخط، لا أكتم.

.ولاتنس أن موقفنا من ٢٣ يوليو كان مشوباً بشئ من القلق، وشاب فرحتنا بقيام الثورة خوف أن تكون مجرد انقلاب عسكرى لضرب الحركة الوطنية.. لذلك كتبت القصة التى سببت الأزمة وهى قصة «الهجانة» وكانت تروى كيف أن قرية مصرية صحت ذات صباح لتجد عساكر الهجانة وقد استولوا عليها وزرعوا

الرعب فى القلوب «وارتجت قلوب كثيرة، وبكت نساء ونهنهت عجائز، والآذان تشرخها الصراخات التى عمت القرية .. وتلسعها أصوات الاستجارة والهرولة والركض»!.

وأذكر أننى قلت فيها مامعناه: وكانت البلد حين يسلمها يوم كئيب إلى آخر أشد منه كآبة يزداد شعورها بأنها كانت فى نعمة إلى أن سرق الفلاحون بنادق الهجانة وقاوموهم وسيق الهجانة بعدها لخارج القرية والناس تتساءل: هل يجئ هجانة أخرون أم يكتفى الحكام بالذى مضى؟!.

طبعاً كان الرمز واضحا جدا فى قصة الهجانة، لأنى بدأت أشك - وكذلك المثقفون يتشككون - وفعلا تحققت شكوكى فيما بعد وبالذات فى أزمة مارس ١٩٥٤ .. وأيامها فقدت ثقتى فى التنظيم الشيوعى الذى كنت اتعاطف معه وهو «حدتو»، كانت أزمة مارس كما تعلم بسبب موقف عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة من قضية الديمقراطية وكان فى الجانب الآخر محمد نجيب وخالد محيى الدين. كان الغريب فى موقف تنظيم «حدتو» الشيوعى، أنه فى الصباح يصدر بيانا بتأييد جمال عبد الناصر، وعند الظهر يصدر بيانا بتأييد محمد نجيب فى موقفه. وهكذا كانت النتيجة أننى قلت لنفسى هذا موقف «مش تمام» ومن يومها بدأت أزمة الثقة بينى وبين الشيوعيين تزداد! إلى أن اعتقلت فى أغسطس ١٩٥٤.

- **وأنا أستعيد شهادته على ثورة يوليو والتى يقول فيها: أنا شخصيا جزء من ثورة يوليو، وكنا معتقلين وأيضا نؤيدها، ومن داخل المعتقل أيدناها فى خطواتها التقدمية، ووجدتنى أسأله عن ظروف صدامه الأول مع ثورة يوليو ذلك الذى جرى عقب أزمة مارس ١٩٥٤.**

قال د. يوسف إدريس: كما قلت لك قبل ذلك أننا فرحنا جدا بالثورة ثم سرعان ما شاب تلك الفرحة خوف وقلق أن تكون هذه الثورة مجرد انقلاب عسكرى يجهض الحركة الوطنية الشعبية، وعبرت عن مخاوفى بكتابة قصة الهجانة، فلما جاءت أزمة مارس ١٩٥٤ تحققت شكوكى ومخاوفى، إلى أن تم

اعتقالى فى أغسطس ١٩٥٤، وقبل اعتقالى بفترة قصيرة رأيت منظرا لاأنساه على الإطلاق ، وهو منظر إغلاق جريدة المصرى، وقد كنت أسكن وقتها فى شارع محمد سعيد حيث كان يوجد مبنى روز اليوسف القديم، فى ذلك اليوم رأيت مجموعة من العساكر وهم ينتزعون لافتة جريدة المصرى، وهى لافتة عزيزة جدا عل قلبى لأنها كانت على هيئة علم مصر الأخضر الذى طالما حملناه قبل الثورة وطفنا به نهتف بسقوط الملك وطرد الإنجليز، فإذا بهذا الرمز العزيز يسقط على الأرض، ثم قام العساكر بإغلاق الجريدة بالسلاسل، فأحسست وقتها أن حقبة فى حياة مصر قد أغلقت واتحبست معاها أحلى سنوات عمرى. وأحسست فجأة أننى لابد أن أخوض حربا شعواء ضد الثورة.

فى ذلك الوقت كنت قد سافرت إلى دمشق – فى أغسطس ١٩٥٤– لأنى كنت مشتركا فى مؤتمر الأدباء الشبان الذى انعقد هناك، وفوجئت بكاتب تقدمى كبير ولامع أرسل للمؤتمر برقية يعتذر فيها عن حضوره إلى دمشق ويقول أيضا ما معناه: أحذروا ممن سيحضر من مصر! والغريب أنه لم يسافر من مصر غيرى وحدى، فلما وصلت دمشق فوجئت بأنهم يعاملونى كما لو كنت باشتغل فى المباحث أو المخابرات، مثلا بعد أن قرأوا برقية هذا الرجل التقدمى الكبير – ولاتسألنى عن اسمه – لأننى بعد ذلك كنت ها أضربه بحذائى فى جريدة الجمهورية!

المهم بعد إنتهاء المؤتمر وفى طريق عودتى سافرت إلى بيروت، وهناك قابلت الأستاذ «أحمد أبو الفتح» الذى كان رئيس تحرير«المصرى» الصحيفة التى أغلقتها الثورة ودردشنا معا حول إمكانية أن نكتب منشورات ونطبعها فى بيروت ويتم تهريبها إلى مصر عن طريق دمياط: فلما وصلت القاهرة، قلت هذا الكلام لبعض الناس الذين كانوا مسئولين عن التنظيم الذى كنت أتعاطف معه، فطلبوا منى كتابة تقرير بهذا كله على أن يكون التقرير من أصل وصورة وفعلاً كتبت التقرير وأعطيت المسئول صورة منه ليعرضها على القيادة، وترك لى الأخرى.

بعد هذه الحكاية بيومين أو ثلاثة أيام، وجدت نفسى أقرأ التقرير بينى وبين نفسى، فلما انتهيت منه وجدته وكأنه اعتراف كامل باشتراكى فى مؤامرة لقلب نظام الحكم!! يا نهار أسود!! وبسرعة أخفيت صورة التقرير فى قلب تمثال

أجوف كان شقيقى الطالب بكلية الفنون الجميلة قد صنعه بنفسه، وهذه الحركة أنقذتنى من عشر سنوات.

بعد ذلك بثلاثة أيام كان الصديق صلاح حافظ مختبئاً عندى فى البيت، وكانت المباحث العامة قادمة كى تعتقل صلاح حافظ وبالمرة تعتقلنى لأنها تعلم بوجود هذا التقرير الذى كتبته، بالطبع متلبساً بتهمة «قلب نظام الحكم» طبعاً دى تهمة غير تهمة الشيوعية. المهم: جاء أفراد المباحث حوالى الساعة الثانية بعد منتصَف الليل.. وجدت نفسى أمام رجل ذى شعر أبيض يقول لى: ممكن نفتش الشقة؟! فسألته إذا كان معه إذن تفتيش؟ فأخرج لى ورقة صغيرة عليها إمضاء زكريا محيى الدين الذى كان وقتها وزيراً للدخلية، ومع أن هذا لا يعتبر إذن تفتيش لأنه صادر عن وزارة الداخلية، إلا أنهم هيفتشونى سواء وافقت أو اعترضت، ولكن كان سؤالى لرجل المباحث عن إذن التفتيش مجرد نوع من إثبات الذات!

كان أول ما فعله ضابط المباحث أن اتجه ناحية مكتبى، ما أدهشنى أنه لم يدخل أى غرفة من غرف المنزل على الإطلاق، إنما اتجه على الفور ناحية المكتب وأخذ يفتش فيه! كان مكتبى مليئاً بأوراق لا حصر لها، مقالات، قصص قصيرة، مشاريع لقصص، خطابات، فأخذ الرجل بصبر عجيب يرتب كل هذا، وضع المقالات مع بعضها، والقصص فى ناحية، والخطابات فى ركن منفصل، باختصار رتب لى المكتب بشكل أثار إعجابى، وأنا الذى أريد ترتيبه منذ ثلاث سنوات ولم أفلح.

طبعاً أنا أحسست من طريقة بحثه ثم فرزه لهذه الأشياء أنه يبحث عن شىء محدد ومن الصدف الغريبة أنه فى ذلك اليوم كان أخى يقيم عندى وبصحبته فلاح من بلدنا يقيمان عندى كى أذهب معه فى صباح اليوم التالى إلى قصر العينى ليجرى عملية جراحية، وبعد تفتيش رجل المباحث كان أخى قد استيقظ من نومه، فى الوقت اللى أخونا بتاع المباحث جلس على أحد المقاعد وعمل نفسه نايم، متصوراً أنه سيحدث حوار بينى وبين أخى فيسمعه وقد نخرج ذلك الشىء الذى جاء يبحث عنه، وأذكر أننى أشرت لأخى على التمثال وحاولت أن أفهمه بالإشارة أن يأخذ التقرير ليتخلص منه، ولكن أخى تصور أننى أطلب منه خنق العسكرى، لأنه لاحظ أننى أشير على رقبتى ورأسى!

ثم اعتقلت، ووجدت نفسى متهماً بقلب نظام الحكم، ودى على الأقل فيها عشر سنوات سجن.

قال د. يوسف إدريس: بعد أن اعتقلت تم ترحيلى مباشرة إلى سجن القلعة، وبعدها بحوالى شهر جرت محاولة الإخوان المسلمين لاغتيال جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالأسكندرية، وحدثت اعتقالات واسعة للإخوان المسلمين وتم ترحيلهم إلى السجن الحربى، فى ذلك الوقت كان قد تم ترحيلى إلى «أوردى» أبو زعبل ووضعت مع الشيوعيين وظللت فيه حوالى ثمانية شهور ثم رحلونى إلى سجن مصر مع الإخوان المسلمين، لأن تقرير مباحث السجن اعتبرنى خطراً على الشيوعيين، لأنى كنت قد أصبحت مندوب ما يسمى العلاقات العامة فى السجن، وقمت بتنظيم إضراب للمساجين حتى تستجيب لنا إدارة المعتقل وتنقل أحد المعتقلين إلى المستشفى.

ومكثت حوالى سبعة أشهر معتقلاً مع الإخوان المسلمين فى زنازين منفصلة إلى أن جاءت حكاية السودان وصلاح سالم، فتم الإفراج عن أربعة من المعتقلين وهم: الكاتب ابراهيم عبد الحليم والفنان زهدى وفتحى خليل رحمه الله. وأنا. المهم يا عزيزى أن فترة السجن دى أفادتنى جداً جداً.

فى داخل المعتقل مثلاً ثبت وتأكد لى أن الإنسان مش مجرم، إنما الإنسان تمر فى حياته لحظات إجرام وبعد كده يبقى إنسان طبيعى خالص، بمعنى أنك تكون ظريفاً ومؤدباً ومهذباً وعندما تغضب بيبقى كأن واحد تانى ركبك. كأن عفريتاً ركبك! ومن الأيام الكئيبة فى حياتى على الإطلاق عندما جاءت زوجة أحد الشيوعيين لتزوره فى السجن لتطلب منه الطلاق، وكان زوجها إنساناً رقيقاً ودمثاً وطيباً جداً. وأحسست أن الرجل فى نهاية النهار يكاد يبكى ولكنه لا يستطيع! لأنى زى ما قلتلك أننى كنت أتصور أن الزعماء دول من طينة أخرى غير طينتنا، كأنهم من صخور البازلت مثلاً.

وأذكر أن العنبر الذى كنا نقيم فيه كان اسمه «عنبر طنجة» وكان يضم غير المنتمين لتنظيم، وكانت الشتائم والاتهامات بين العنابر على قدم وساق، أذكر أن أحد العنابر الثلاثة أصدر بياناً بأن أحد الصحفيين المعتقلين معانا جاسوس إنجليزى، فانتابتنى رغبة عارمة فى الضحك الشديد على هذه العقلية الاتهامية!

يعنى واحد غلبان وماشى حافى وجنب الحيط زى الصرصار كده ومضروب ويتهم بأنه جاسوس للإنجليز وفين فى قلب معتقل الشيوعيين، طبعاً شيء كوميدى جداً، ودى كوميديا الاتهامات المصرية التقليدية! وبالذات المركزة فى الشيوعيين.

ورأيت بعينى حواديث التعذيب الرهيبة التى كنا نتعرض لها، وكان الإخوان المسلمون يأتون بى لأكون شاهداً على هذا التعذيب من نفخ وضرب وجلد، ورأيت شباباً صغاراً من شدة التعذيب تبدو ظهورهم وكأنها محفورة من لسع السياط، وعيال صغيرين لابسين ملابس السجن الواسعة عاملين زى الكتاكيت ويكشف لك ظهره وجسمه ببساطة ويقول لك: شوف.. شوف!

● قلت له : هل عن هذه المرحلة جاءت رواية «العسكرى الأسود» التى تدين الاعتقال السياسى ؟ !

■ قال: طبعاً.. يعنى كانت الرواية «استحياء» للحقيقة، لأنى مش بكتب عن وقائع، لأن الأدب مش تسجيلى، وخرجت فى عام ١٩٥٥ لأجد د. طه حسين يبحث عنى ليكتب مقدمة مجموعة «جمهورية فرحات»!

● قبل بدء الحوار قال د. يوسف إدريس : الصحافة أخذت منى الوقت والانشغال اللى كان مفروض أن يخصصا للقصة ! ولكنها جزء مهم جداً فى حياتى فى عالم الكتابة ! وطلبت منه أن تكون بداية الحوار حكايته مع «الجمهورية» أولى محطات احترافه للصحافة ؟

■ قال د. يوسف إدريس: قصتى مع جريدة «الجمهورية» بدأت فى أيام المرحوم «صلاح سالم» الذى كان عضو مجلس قيادة الثورة، وفيما بعد عينه جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير التى تصدر عنها «الجمهورية، وكان صلاح سالم لا يملأ فمه سوى الكلمة الحلوة والإحساس العميق بالناس، وكان ذكياً حاد الذكاء، وأميز ما فيه شهامته، تحس فى شهامته تراث هذا الشعب فى إغاثة الملهوف والوقوف مع الضعيف.

وفى إحدى الفترات جاءت «هوجة» تعيين الكتاب والأدباء فى «الجمهورية» وأذكر فى أحد الأيام وكنت أصعد فى الأسانسير وتصادف أن يكون معى فى نفس الأسانسير صلاح سالم وسألنى: أنت عايز تتعين فى الجمهورية بكام؟!

وكما قلت فإن شهامة صلاح سالم تغريك أنت الآخر على الشهامة، فوجدتنى أقول لصلاح سالم ونحن فى قلب الأسانسير: عايز مائة جنيه مرتب!! وفوجئت بالرجل يقول لى ببساطته الآسرة ورجولته الحقة: خلاص.. أنا موافق!

واكتشفت بعد ذلك أن هذا المبلغ الذى قلته لصلاح سالم هو بالضبط نصف ما يتقاضاه الزملاء الآخرون فى الجريدة، لأن صلاح سالم كان يعين الناس بالمرتب الذى يقترحه كل منهم بلا مناقشة وبشهامة مثيرة، طبعاً طوال فترة اشتغالى فى الجمهورية عانيت نتيجة شهامتى لأن الفرق بين مرتبى وبين مرتب أى زميل كان دائماً لا يقل عن مائة جنيه.

وأذكر عندما كتبت قصة «العسكرى الأسود» والتى كانت صرخة احتجاج على مبدأ الاعتقال السياسى والهوان والتعذيب الذى يلقاه المسجون السياسى، وأردت أن أنشرها ضمن مجموعة قصصية تضم معها أربع قصص أخرى، وحدث اعتراض على نشر المجموعة كلها بسبب «العسكرى الأسود»، ولم تنشر إلا بتدخل من صلاح سالم نفسه وعلى مسئوليته الشخصية!

وبعد وفاة صلاح سالم تم تعيين كمال الحناوى رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير، فقام بتعيينى رئيساً لتحرير الجمهورية بشرط عدم كتابة اسمى على ترويسة الجريدة، ومارست رئاسة التحرير ثلاثة أيام فقط وقامت القيامة بين المحررين والصحفيين اللى ماسكين الجمهورية فى ذلك الوقت وكنا نسميهم مجموعة الوكالة، وذهب وفد من هذه المجموعة وقال لجمال عبد الناصر: الحق ياريس كمال الحناوى سلم الجمهورية ليوسف إدريس وعوضك على الله!

طبعاً معرفتش أشتغل خالص فى هذا الجو، لأن هذه المجموعة نجحت فعلاً فى عرقلتى!

● **سألت د. يوسف إدريس: ولماذا قبلت إذن رئاسة التحرير؟**

■ قال: بينى وبينك يا عزيزى أنا كان هدفى من قبول هذا المنصب هو أن أعطى لنفسى حرية أن أكتب دون أن يراجع كتابتى أحد، حتى لو كان رئيس التحرير نفسه، لأنى بأتضايق جداً من عملية المحاسبة التكتيكية على ما تكتبه، يعنى ييجى رئيس تحرير يحاسبك على جملة.. أو يحاسبك على كلمة فى جملة أو على عدة سطور فى مقالة، لأن أحياناً أنا ككاتب باسمح لنفسى أن «أمد» فى

التعبير عشان يرجع ينكمش تانى لأؤكد من خلال هذا المد التعبير والمعنى الذى أريده، هذا تكتيك للكاتب فى الكتابة.

ثم إذا كنت أنت كرئيس تحرير تسلم ومقتنع بأن هذا الكاتب معك، فلماذا إذن تخاف منه حتى إذا انتقدك؟ الذى أفهمه ولا أناقشه أن تراقب العدو أما الصديق.. لماذا تراقبه؟

ضحك د. يوسف وهو يوضح ما يريد قوله: يا أخى حتى لو الحبيبة حاسبت حبيبها بالكلمة التى يقولها فى كل لحظة، بالخاطر الذى يجول فى ذهنه، بالحلم الذى يحلمه فى منامه! مثل هذه الحبيبة قد تصيب حبيبها بالجنون المطبق، فمادامت هذه الحبيبة قد ارتضت ووافقت على هذا الحبيب، خلاص انتهينا وأى تصرف منه يبقى مقبول طالما فى حدود المعقول والمقبول!

والغريب أنه بعد تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ وبعد أن أصبحت الدولة هى المالكة للصحف وأصبحت تعين رؤساء التحرير بنفسها، كانت دائماً تقوم بتعيين رجالها، بل كانت أحياناً تختار رؤساء التحرير من الذين الذين كانوا يعملون فى المخابرات أو الأمن القومى.

وليس سراً أن اثنين من رؤساء التحرير الذين عملت معهم فى المجموعة كانا أساساً فى المخابرات والأمن القومى، فلما خرجا تم تعيينهما فى الجمهورية لضمان الولاء وهما مصطفى المستكاوى وكمال الحناوى رحمهما الله. وحلمى سلام هو الآخر كان من شلة عبد الحكيم عامر، أقصد أن كل هؤلاء كانوا على اتصال بأجهزة الدولة بل إنهم كانوا تابعين لهذه الأجهزة وينفذون سياسة الدولة مباشرة.

وباقى الصحف كانت فى حالة تبعية مطلقة للسلطة زى الأخبار، وروزاليوسف، ودار الهلال، أمّا الأهرام فكان لها وضع خاص شوية، لأن هيكل لم يكن «تابع مباشر» وإنما كان فى حالة حوار مع السلطة.

ومن هنا أقول لك إن أحد الأسباب الكبرى لهزيمة النظام فى يونيو ١٩٦٧ كان عدم وجود صحافة حرة، ولذلك عندما قرأت كتاب «عبد المجيد فريد» الذى تضمن محاضر نصوص ومناقشات جمال عبد الناصر بالقيادات والمسئولين بعد

١٩٦٧، أندهشت جداً عندما قرأت أن عبد الناصر كان يطلب من هذه القيادات أن تتكلم وتناقش وتنقد الأوضاع. فيؤثرون الصمت! ليه.. لأن النقد كان يجب أن يقال فى وقتها ولحظتها ومن أول قيام الثورة، حتى لا تتراكم الأخطاء يوماً بعد يوم وتكون النتيجة ما حدث فى يونيو ١٩٦٧.

● **وسألته عن حكاية محددة لما يقول؟**

■ فقال: أذكر حادثة غريبة وقعت لى شخصياً عندما كنت أكتب فى جريدة الجمهورية، وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد ألقى خطاباً سياسياً فى مناسبة عيد العمال، الذى كان يقام بحلوان وقتها، وقال عبد الناصر ضمن خطابه عبارة توقفت أمامها طويلاً بالتفكير، كانت عبارة عبد الناصر تقول: «إن الحرية الحقيقية هى حرية لقمة العيش»، بينى وبينك الجملة دارت فى مخى، واحتجيت بينى وبين نفسى عليها، وكتبت مقالة قلت فيها: «إذا كانت الحرية الحقيقية هى حرية أكل العيش، فيبقى كلنا لازم ندخل السجن لسبب بسيط هو أن داخل السجن مكفولة حرية أكل العيش»!

كان المعنى الذى كتبته لا يزيد على ربع عمود بالضبط، وليس أكثر من هذا، المهم أننى سلمت هذه الكلمة تمهيداً لنشرها فى الجمهورية، وبعد نشر الكلمة وعند قراءتها، اكتشفت كارثة لا مثيل لها إطلاقاً، لأن رئيس تحرير الجمهورية فى ذلك الوقت - ولن أذكر اسمه للقراء - امسك بربع العمود الذى كتبته، وأعاد ترتيب سطوره وكلماته من أول وجديد، أقصد قام بعمل مونتاج فى غاية الذكاء بحيث اصبح ما كتبته كله تأييداً لما قاله جمال عبد الناصر فى عيد العمال، طبعاً ثرت وغضبت ووجدتنى أقول لنفسى: مابدهاش بقى، مادام وصل الأمر إلى أنى أستكتب من مقالاتى، فالحكاية ما تنفعش.. ونشوف حتة تانية نكتب فيها!

لأنه فعلاً قد أصابنى نوع من الارتكاريا من شدة الرقابة وأن كل كلمة تكتبها يتم تفتيشها لدرجة مذهلة.

ومن أجل هذا دعنى أقول لك بوضوح شديد إن أكبر جهاز شعبى من أجهزة الدولة عانى فى عصر عبد الناصر أو عصر السادات هو الصحافة المصرية، وستظل صحافتنا تعانى لفترة طويلة لأنها «اتمرمغت» فى الوحل، ولم يترك صحفى واحد شريف أو غير شريف إلا وتم إذلاله وإهانته واضطهاده، ولم تكن

الفرصة متاحة أبداً للصحفي النابغ، وإنما كانت الفرصة متاحة باستمرار للصحفي «الذيل» والعميل، ولم تترك المسألة أبداً لكونها مباراة في الإجادة والنبوغ وإنما كانت مباراة في الخضوع والولاء.

الصحافة اتبهدلت جداً يا عزيزي، والسبب أن الثورة كانت تبحث عن الصحفيين أهل الثقة وليس أهل الكفاءة، ولهذا عندما كانت تطرح فكرة الثقة أم الكفاءة على الساحة الصحفية فدائماً كنت تجد أن صاحب الكفاءة هو الذي يفشل في اكتساب الثقة لسبب بسيط جداً أنه يعتمد على كفاءته وقدرلته الخاصة، بينما الصحفي الفاشل والضعيف الكفاءة يسعى دائماً لأن يكون مصدر ثقة، وذلك عن طريق كتابة تقارير ضد زملائه أو أن يكون عيناً عليهم، بهذه الوسائل سرعان ما يصل ويكبر!!

ما أريد قوله باختصار: إن الثورة أتعبت الصحافة وأتعبت أصحاب الرأي من الكتاب والمبدعين، حتى الازدهار الثقافي في فترة الستينيات حدث رغم أنف أجهزة الدولة وأجهزة المباحث، وتصور معي لو أن الثورة كانت تشجع وترعى الكتاب والفنانين - هل بالفعل رعت وشجعت وأنشأت أكاديمية الفنون ... و... و... ولكن هذه كلها تكنيكيات الفن، إنما ما أقصده لو أنها قامت برعاية روح الفن التي هي حرية الإبداع، تصور بقى كنا وصلنا لغاية فين دلوقتي؟

● قلت : أعرف أن الرئيس السادات كان لسنوات طويلة مسئولاً عن دار التحرير ويكتب بصحفها ومجلاتها !! هل اقتربت منه؟! هل كانت لك معه، «قصة ما» أو «رواية ما».. قل ما لديك؟

■ قال د. يوسف إدريس: فعلاً.. أنا تعرفت على السادات وقابلته في الجمهورية والحقيقة أنه انبسط مني ككاتب جداً وعهد إليّ أن أعد له كتاباً عن العدوان الثلاثي الذي وقع عام ١٩٥٦، وكانت إحدى دور النشر الإنجليزية قد طلبته منه، وعملت هذا الكتاب وكان اسمه «القصة الداخلية لحرب السويس»، وكتبت له كتاباً آخر اسمه «معنى الاتحاد القومي» عن فكرة الثورة كتنظيم، أو محاولة العثور على شكل آخر غير الشكل الحزبي القديم.

واشتغلت معه أيضاً كسكرتير مساعد للاتحاد القومى - التنظيم السياسى الوحيد وقتها - وفى نفس الوقت كان السادات قد انتدبنى معه للعمل فى المؤتمر الإسلامى الذى كان يرأسه. وأذكر أنه طلب منى أن أعد له مشروع هيكل التنظيم، ونشر الأستاذ مصطفى أمين عن هذا المشروع فاتلخبطت الدنيا! وفى مرة أخرى أجريت مع السادات حواراً عن فكرة «الاتحاد القومى» لأن المشكلة المثارة وقتها هل يسمح بدخول الاتحاد القومى لمن زاولوا نشاطاً ساسياً من قبل أم لا؟ ونشر الحديث فى الجمهورية، وعندما قرأه جمال عبد الناصر لم يعجبه وغضب منه!

● قلت: ولماذا غضب عبد الناصر من ذلك الحديث؟

■ قال: كان سبب غضب عبد الناصر من هذا الحديث أننى قلت على لسان أنور السادات رداً على التساؤل المطروح حول من يدخل الاتحاد القومى؟ إن كل إنسان لم يزاول السياسة قبل قيام الثورة وسوف ينضم إلى الاتحاد القومى فهو رجل انتهازى، لسبب بسيط جداً أنه إذا كان يريد بالفعل أن يضحى وأن يعمل بالسياسة كان من الطبيعى أن يعمل بالسياسية من خلال أحد الأحزاب التى كانت موجودة قبل الثورة! ولكن كونه يبتعد عن العمل السياسى حتى تصبح السياسة مربحة فينضم إلى الاتحاد القومى، فهذه انتهازية سياسية لا تقبل المناقشة! ولابد إذن أن نفتح الاتحاد القومى لكل الاتجاهات والآراء والأفكار، بشرط أن يقوم العضو الذى يريد الدخول فى عضوية الاتحاد القومى بحل نفسه من أى تنظيم يكون قد ارتبط به من قبل.

كان هذا الرأى الذى كتبته على لسان السادات هو ما ضايق عبد الناصر، ولذلك اتصل عبد الناصر بالأستاذ هيكل وسأله: هل قرأت حديث السادات مع يوسف إدريس! فأجابه هيكل بنعم، فقال عبد الناصر: ده مش رأى السادات، ولكنه رأى الشيوعيين فى الاتحاد القومى!

ابتسم د. يوسف وقال لى موضحاً: هذه التفاصيل علمتها فيما بعد من المرحوم كامل الشناوى والتى حكاها له الأستاذ هيكل نفسه!

● ووجدتنى أستوضح د. يوسف: أفهم من حديثك أنك قد عينت بالفعل فى الأهرام بعد هذا الحديث وتركت الجمهورية؟

■ قال لي: هذا الحديث الذى أجريته مع السادات نشر فى مقدمة للأستاذ هيكل، وبسبب هذا الحديث أيضاً عينت فى الأهرام! لأجرى سلسلة أحاديث مماثلة مع شخصيات سياسية حول فكرة الاتحاد القومى، فكان أول حديث مع السادات، وكان المفروض أن يكون الحديث الثانى مع أكرم الحورانى السياسى السورى الشهير، حيث كانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا، المهم قبل أن أجرى حواراً مع الحورانى ذهبت إلى مكتب هيكل - كان فى مبنى الأهرام القديم - وطلبت مقابلة هيكل لأتفق معه على نقاط الحوار، فقالت لى سكرتيرته السيدة نوال المحلاوى - الله يمسيها بالخير - الأستاذ هيكل مش فاضى!

فقلت له: يعنى إيه رئيس تحرير مش فاضى! أنا محرر ولازم أقابل الأستاذ هيكل! وفوجئت بالسيدة نوال تقول: لا.. مش هتدخل.. والأستاذ هيكل مش فاضى ومش هيقابلك!

وجننت من هذا الأسلوب غير المتوقع فقلت لها: أنت بتتكلمى إزاى.. يعنى إيه مش هيقابلنى؟ فردت قائلة بهدوء: زى ما قلتلك بالضبط؟

المهم يا عزيزى الشهامة أخذتنى وقلت لنوال المحلاوى: أنا صحيح لسه متعين امبارح بس فى الأهرام.. إنما استقالتى آهه! ووضعت على مكتبها خطاب استقالة.

ولدهشتى وجدتها تبتسم ابتسامة متشفية قائلة: استقالة إيه؟ أنت مرفود!

ولم تدع لى نوال المحلاوى لحظة لأستغرب فواصلت كلامها: على العموم.. أنت ليك عندنا مرتب شهر.. موجود فى الخزينة.. يمكنك أن تقبضه الآن!

مرفود ليه.. ومفصول عشان إيه.. هكذا سألت نفسى - أيامها - ومن مكتب هيكل ذهبت فى الحال إلى مبنى المؤتمر الإسلامى حيث يوجد مكتب أنور السادات الذى أجريت معه الحديث، وحاولت أن أفهم نفسى أن سبب المشكلة خاصة بالحديث الذى أجريته مع السادات! وعندما وصلت إلى مبنى المؤتمر الإسلامى وجدت كشفاً معلقاً على الباب يتضمن فصل خمسة أسماء، كان اسمى أول هذه الأسماء الخمسة، رغم أننى كنت معاراً إلى المؤتمر الإسلامى كما قلت لك، لأنى كنت أساساً أعمل طبيباً فى وزارة الصحة!

المهم - يا عم رشاد - ولا أريد أن أطيل عليك، دخلت على أنور السادات وقلت له بهدوء شديد: صباح الخير.. ورد هو الآخر بهدوء وابتسامة: صباح النور يادكتور يوسف! وسألته: إيه حكاية فصلي من المؤتمر الإسلامي.. فقال بهدوء: أنا رفدتك يايوسف!

الحقيقة اتغظت جداً.. مش لأنه رفدني، إنما لأني كنت متعشى معاه قبل ذلك بيوم واحد فقط وكان في غاية الظرف واللطف في حديثه معي، بل كان مبسوطاً من الحديث الذي أجريته معه ووجدتني أقول للسادات: أنت مالكش حق ترفدني، أنت ممكن تلغي إعارتي فقط!

وفوجئت به يقول لي: ليه.. أنت بتشتغل فين؟! واندهشت من السؤال لأنه يعرف أنني معار من وزارة الصحة وأنه هو نفسه الذي طلب إعارتي.. ولما قلت له ذلك قال لي:

- وكمان أنت مرفود من وزارة الصحة!! ها.. ها.. ها!!

وتصورت أن السادات يمزح معي، وذهبت مسرعاً إلى وزارة الصحة فوجدت نفسي بالفعل مرفوداً! وقلت لنفسي إذن فلأذهب إلى وزارة الثقافة التي كنت منقولاً إليها من وزارة الصحة، ووجدتني باختصار شديد مفصولاً أو مرفوداً في كل من هذه الجهات الأربع: الأهرام أولاً ثم المؤتمر الإسلامي ثم وزارة الصحة ثم وزارة الثقافة.

نسيت أن أقول إنني عندما كنت معاراً إلى المؤتمر الإسلامي، أعطوني عربة «فولكس» صغيرة لزوم الانتقالات فلما اترفدت سحبوها مني!

وهكذا فجأة أصبحت بلا عمل.. بلا نقود.. وعدت لزوجتي خالي الوفاض، وكنت قد أنجبت منذ شهور، وظللت على هذا الحال حوالي سبعة شهور إلى أن عدت إلى وزارة الثقافة بواسطة الأستاذ حسين فوزي والأستاذ فتحي رضوان، ومن يومها استقلت نهائياً من وزارة الصحة ثم بعد فترة عينت في الجمهورية كما سبق أن رويت لك بداية هذه الحلقة، أيام هوجة صلاح سالم إلى أن حدثت الواقعة الشهيرة التي أعاد فيها رئيس تحرير الجمهورية ما كتبته بشكل جديد.. بحيث إن «ربع العمود» الذي كتبته نقداً لعبد الناصر أصبح بعد المونتاج الذكي تأييداً لما نادى به عبد الناصر.

وبعد هذه الواقعة مباشرة طرحت على نفسى سؤالاً فى غاية الخطورة والأهمية: من هو رئيس التحرير الذى يستطيع أن يحمينى من الرقابة وعنتها وتعسفها؟! ولم أتردد فى الإجابة عندما قلت لنفسى: هيكل! وكان ذلك صيف عام ١٩٦٩ واستقر رأيى على الاتصال بهيكل، وصباح أحد الأيام ذهبت إليه فى مكتبه، كانت الساعة حوالى الثامنة صباحاً على ما أذكر، قالت لى السيدة نوال المحلاوى سكرتيرة مكتبه إنه لم يصل بعد، فتركت لها رقم تليفونى وقلت لها: عندما يأتى الأستاذ تبلغيه أن فلاناً أتى لزيارته وهذا رقم تليفونه فى المنزل إذا رغب يتصل بى، وعدت إلى المنزل، وبعد ساعة تقريباً دق جرس تليفون بيتى، كان المتحدث هو الأستاذ هيكل. قلت له على ما أذكر الآن: بدون مقدمات ياأستاذ هيكل أنا عاوز اشتغل فى الأهرام! فقال لى بسرعة وحسم وكأنه اتخذ قراراً: خلاص اعتبر نفسك بتشتغل فى الأهرام!

وجدتنى أقول له عبر التليفون: يعنى ما سألتنيش عن الأسباب؟! فقال بسرعة: مفيش أسباب! شوف أنت بتاخد مرتب كام من الجمهورية وسيعطيك الأهرام أكثر من هذا المرتب شوية! وسألته يومها: ما شروطك فى العمل؟!

وأجابنى بنفس السرعة: أنا معنديش أى شروط!

وفى نفس تلك المحادثة التليفونية قال لى الأستاذ هيكل جملته الشهيرة جداً ما دمت تجد فى نفسك الشجاعة لتكتب، فأنا عندى الشجاعة لأنشر.

وانتهت المكالمة.. وعندما ذهبت بعد ذلك لمقابلة هيكل وسألنى عن مرتبى الذى كنت أتقاضاه من الجمهورية اندهش وقال: بس ده مرتب صغير جداً، فقلت له: ما هو كلما نشرت شيئاً دفعوا لى! فقال لى: يعنى كله على بعضه كام! فقلت: كذا. فقال: خلاص اتفقنا!

ويضحك د. يوسف إدريس وهو يسترسل فى ذكرياته: وكما قلت لك من قبل فإن أول قصة نشرت لى فى الأهرام وهى «الخدعة» تسببت فى فصلى من الأهرام عندما فسرها رجال الاتحاد الاشتراكى لعبد الناصر بأنه المقصود منها، وأنقذنى هيكل بتفسيره لها تفسيراً مغايراً.

لمست فى سنوات تعاملى مع هيكل فى الفترة التى كان فيها رئيساً لتحرير الأهرام حتى خروجه فى عام ١٩٧٤ أنه أرسى مبادىء للتعامل مريحة جداً

للكاتب فهو أولاً كان يحترم جداً ما تكتبه حتى لو اختلفت معه فى الرأى، وأذكر مرة أننى كتبت مقالاً وفوجئت بتصرف هيكل معى.. طلبتنى السيدة نوال وأبلغتنى أن الأستاذ هيكل يريد أن أتحدث معه لأمر ما! وعندما تحدثت معه قال لى: الكلمة دى مش قوى فى المقال! هل تحب أن تغيرها! ولا تحب نشيلها!

تصور - ياصديقى - كلمة واحدة لا أكثر يستأذننى فيها هيكل وأنا لسه كنت قادم من غابة الجمهورية التى كان رئيس التحرير فيها ببساطة «يفك» ما تكتبه ويعيد ترتيبه من جديد كى تؤدى معنى مغايراً لما كتبته وأردته!

وببساطة قلت له: خلاص يا أستاذ هيكل غير هذه الكلمة!

فقال لى بدماثته المعهودة: لا.. أنا هاأبعتلك المقال وأنت تتصرف فى الكلمة بمعرفتك يا دكتور!

ابتسم د. يوسف وأضاف: إلى هذا الحد كان احترامه للكلمة!

أذكر مرة قال لى كنوع من المداعبة: أنت أغلى كاتب فى مصر والعالم العربى! سألته ليه ياأستاذ هيكل فقال: أنت تكتب قليلاً.. ولما حسبتها وجدت أن المقالة الواحدة تقف عند الأهرام بكذا.

أما يوم الأربعاء من كل أسبوع فكان يدعونى للغداء على حسابه فى كافتيريا الأهرام - أنا وآخرين - وتدور مناقشات فى الأدب والفكر والسياسة والاقتصاد وكان متذوقاً عظيماً للكلمة.. ولديه تقييم حقيقى للكاتب، ولا أعرف إذا كان يعملها بتواضع أو بخبث فهو يقول: أحنا ناس صحفيين بتوع صحافة إنما أنت شاعر أو كاتب عظيم، يعنى يضعك فى مجال الخلق والابتكار والإبداع بينما يضع نفسه فى مجال التوثيق والرسم بالكلمات.

ومنذ عرفت «هيكل» عام ١٩٥٨ أحببته جداً. وأذكر عندما اشتغلت فى جريدة الجمهورية أننا خصصنا الصفحة الأخيرة لنشرحديث صحفى طويل مع شخصية لامعة أو ثلاثة أحاديث قصيرة مع ثلاث شخصيات.. وأذكر أننى اخترت «هيكل» لإجراء حوار معه نشر بالفعل واخترت له عنوان «أنا أزاول السياسة كصحفى» ومن يومها أحببته وأحببت طريقته فى الحديث والحوار فهو سريع الحركة.. سريع الفهم.. سريع الإجابة، ومن الثانية الأولى تجد نفسك منجذباً إلى ملامحه الدائمة التغير والانفعال، المشحونة بكم وافر من الاطلاع وحب الاستطلاع! وأعجبنى مثلاً

أنك إذا أردت أن تتكلم يلمحك، فيقطع عليك التهيؤ وترتيب الأفكار وأية مقدمات قد تفكر فيها ويقول لك: شوت! ومعناها تكلم!

أذكر أنني سألت «هيكل» في ذلك الحوار: هل نجاح جريدة يغلق جريدة أخرى؟

فقال لى بذكاء: بالعكس الجرائد كالمذاهب.. كالأحزاب.. كالآراء، لا تلغى بعضها بعضاً، الواقع انها تقوى بعضها بعضاً، وعندما سألته عن رأيه فى نشر الروايات المسلسلة فى الصحف اليومية؟ قال إنها تجربة ناجحة بدليل نشر الأهرام رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ. وأذكر أنه قال لى أنا أزاول السياسة كصحفى ولكنى أبداً لا أزاول الصحافة كسياسى! وقال: أنا لا أستطيع أن أعمل إلا بالصحافة فهى ليست مجرد عمل وهواية أو أكل عيش. إنها حياتى. إنها أنا.

● على صفحات «الأهرام» قرأنا لك عشرات القصص القصيرة، ويفخر الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام بأنهم فى الأهرام كتبوا جميعاً آراء حرة تعرضت للكثير من المشاكل فى الصميم، فهل حدث وأسيء فهم واحدة من قصصك المنشورة فى الأهرام؟!

■ قال: أول قصة قصيرة أنشرها فى الأهرام بعد التحاقى به تسببت فى أزمة كبرى كانت القصة اسمها «الخدعة» وكنت قد كتبتها فى أبريل سنة ١٩٦٩ ونشرت فى هذه الفترة نفسها، كانت القصة ببساطة عن «رأس جمل» يظهر للناس فى كل مكان، فى منازلهم، فى الحمام، فى غرف نومهم، فى الأوتوبيس!! ونشر الأستاذ هيكل القصة ثم سافرت إلى الاسكندرية، ومكثت بها عشرة أيام ثم عدت وفى اليوم التالى لعودتى ذهبت كالعادة إلى الأهرام، وجدت الناس هناك ينظرون لى نظرات كلها دهشة، ثم اقترب منى واحد منهم وسألنى كمن يريد التأكد منى شخصياً: صحيح أنت اترفدت؟ ضحكت وقلت له: اترفدت إيه يابنى.. دنا يادوب اتعينت من أسبوع واحد.

فقال لى مؤكداً: لا يادكتور يوسف أنت فعلاً اترفدت! قلت له: مش ممكن! ثم دخلت إلى مكتب الأستاذ هيكل سعيداً ضاحكاً منتشياً وقلت له: تصور ياأستاذ

هيكل الناس العبط اللى بره قالوا لى إنى اترفدت من الأهرام! فقال لى هيكل ببرود شديد: أنت فعلاً اترفدت: لم أتمالك نفسى من الدهشة وسألته: ليه؟ دعانى للجلوس وقال لى بمنطقة المرتب الذكى: الجماعة فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ذهبوا للرئيس جمال عبد الناصر وأفهموه أن قصة الخدعة بتاعتك كتبتها عليه شخصياً، وأنه المقصود برأس الجمل الذى يظهر للناس فى كل مكان!

وجدتنى أقول لهيكل: يانهار أسود، طب وأنت قلت إيه؟ فقال لى هيكل. أنا قلت أن رأس الجمل معناه النكسة التى تظهر للناس فى كل مكان، وغير قادرين على نسيانها!! هه إيه رأيك!! على العموم بعد شهر كده هترجع الأهرام تانى ومرتبك ماشى واعتبر مفيش حاجة حصلت!!

الحقيقة يارشاد - يقول د. يوسف - انبسطت من تفسير هيكل لقصة الخدعة لأنه تفسير منقذ لى، لأن هذه القصة كانت أول عمل ينشر على بلاطة ضد عبد الناصر أو ضد وجوده شديد الوضوح فى الحياة، أذكر أن سطور النهاية فيها كانت تقول: إلى أمامه يتطلع ولا يتحرك، ولا يغضب ولا يرضى ولا يحفز ولا يثبط، لا يفعل شيئاً أبداً إلا أن يطل، مجرد يطل.

● وجدتنى أسأل يوسف إدريس: عبارة الأستاذ هيكل القائلة:

«إذا كان عندك الشجاعة أن تكتب فعندى الشجاعة أن أنشر»،

هل كانت هى القاعدة فى الأهرام؟

■ قال: هذه العبارة كانت بمثابة مبدأ يدين به هيكل، وبالتالى فإن توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنا وآخرين نشرنا فى الأهرام مقالات وقصصاً فى عصر عبد الناصر وكلها نقد عنيف لنظام عبد الناصر، يعنى مثلاً توفيق الحكيم نشر بنك القلق، ونجيب محفوظ نشر روايات مثل ميرامار وثرثرة على النيل، بالنسبة لى شخصياً كتبت ونشرت قصصاً كلها نقد مباشر عن عبد الناصر، مثل «الخدعة» وسبق أن حدثتك عنها وكيف حمانى هيكل، ونشرت أيضاً قصصاً مثل «العملية الكبرى» و«الرحلة» وقصة الرحلة نشرت فى يونيو عام ١٩٧٠، وإذا عدت لقراءتها من جديد ستجد المعنى الذى أردت قوله. والقصة نشرت بعد ذلك ضمن مجموعة «بيت من لحم».

ملحوظة: «القصة تحكى عن شخصين خرجا معاً فى رحلة.. لا تعرف إلى أين بالضبط «فليظل الأمر إذن سراً بينى وبينك».. تعرف أنها ليست المرة الأولى التى أجلسك فى عربتى وأسوق أنا تريد أن أكون أنت.. وأريد أن أكون أنا.. تطابقنا.. وهانحن نطير. وبالعربة وبك أطير. الامس الأرض وأطير. أتلوى جذلاً وأسوق.. أنت لا تعرف كيف تسوق. أنت من جيل القطار. القطار الذى لا خيار فيه. لا تختار إلا عبوديتك. أنا من جيل العربة. الحرية عربة. الرأى عربة. وحدك تحدد متى وأين. وحدك تعدل. تمضى. تلف. تدور. النهاية فى يدك لحظة تريد. طبعاً أنت لا تريد أن تعرف إلى أين؟ متعتك الكبرى مثل متعتى أن تفاجأ. أنك لا تعرف. المعرفة قيد. طبعاً فى رأيك المعرفة قيد. المعرفة وصول. وأنت وأنا لا نريد أن نصل. الآن أنا فى حاجة إلى سيجارة، ألا تلاحظ أننا لا نختلف وأنك لأول مرة توافق أن أدخن أمامك. لماذا كنا نختلف؟ لماذا كنت تصر وتلح أن أتنازل عن رأيى وأقبل رأيك، لماذا كنت دائماً أتمرد؟! لماذا كرهتك فى أحيان؟ لماذا تمنيت فى لحظات أن تموت لأتحرر.. يريدونك أهل الحى جثة يدفنونها. مستحيل يقتلوننى قبل أن يأخذوك، ففى أخذك موتى، فى اختفائك نهايتى، وأنا أكره النهاية كما تعلم. أكرهها. لم يعد هناك مناص. إما حياتى أو موتك. لم يعد هناك مناص. لابد أن تنتهى أنت لأبدأ أنا».

● وجدتنى أطلب رأيه فى «هيكل السياسى»؟

■ قال: هيكل سياسى حتى النخاع، بس سياسى بظرف يعنى، لأنه فيه ناس إذا أخرجتهم من السياسة يحصل لهم جنان وفزع، إنما هيكل أبداً، يعنى ممكن تقول له رأياً سياسياً أو غير سياسى مخالفاً لرأيه ١٨٠ درجة - وهو يشجعك على هذا - وميزة هيكل أن لديه باستمرار وجهة نظر متكاملة، فلا نفاجئه بسؤال مباغت فيطير منطقه المتكامل. هيكل باستمرار لديه منطق، لذلك من يريد أن يدخل معه فى حوار أو مناقشة لابد أن يكون مستعداً له بمنطق متكامل زيه وإلا يخسر النقاش معه من أول جولة! ولذلك أقول إن البحث عن نقطة الضعف فى منطق هيكل فى غاية الصعوبة، ولكنه مهم جداً فى الحقيقة. لأنه أحياناً يبنى نظرية كاملة على حاجة مش صحيحة! وأقصد غير صحيحة من وجهة نظرك أو نظرى، فأنا مثلاً كنت بأقول إنه من المحتم لدولة فى مرحلة التحرر الوطنى زى

مصر، وأن أمريكا تؤيد إسرائيل فلابد أن نواجه أمريكا ولازم نعمل حسابنا على هذه المواجهة، وثبت بعد كده أنه ممكن جداً مواجهة أمريكا ياأخى يعنى إيران واجهت أمريكا، لبنان واجهت أمريكا، فيتنام واجهت أمريكا.. يعنى أمريكا مش أسطورة.. إنما هيكل لما يعمل حساباته على الورق وبالمنطق المتكامل الذى يتبناه يجد أنه مستحيل فعلاً مواجهة أمريكا، يعنى هو صادق جداً مع تفكيره إنما اللى جاي من الشارع السياسى زى حالاتى يقول له: ممكن جداً مواجهة أمريكا، يعني أن تكتشف الخلل فى تفكير هيكل مسألة صعبة جداً لتكامل منطقه فمحتاج لنظرة مختلفة تماماً إنما فى نفس الوقت مسلحة بمنطقها الخاص!

● لم يكن فى نيتى أن أسأل د. يوسف إدريس هذا السؤال، ولكن السؤال خرج من فمي دون إرادتي. كان السؤال يقول: هل كان حتماً أن ينتهى شعر العسل بين السادات وهيكل شتاء ١٩٧٤ بقرار السادات إبعاد هيكل عن الأهرام؟

■ قال بعد لحظات تفكير: نعم.. لأن هيكل كان لقمة كبيرة على السادات! ولم تيجى تحسبها بأن تضع كلا من السادات وهيكل لوحدهما فى غرفة مغلقة، تأكد أن هيكل سيأكل السادات بمنطقه المتكامل ثم أن الأمور تغيرت، فالسادات صار رئيساً للجمهورية ثم أنجز حرب أكتوبر وأصبح كبيراً فى حق نفسه ومحتاجاً لأحجام أقل من هيكل بكثير، فى نفس الوقت هيكل لم يكن لديه الاستعداد أن يحجم أو يصغر نفسه! أو يعمل نفسه على على أو زكى جمعة مثلاً.. إنما فيها ناس جاهزة لكده باستمرار.. فكان من المحتم أن يختلفا.

حلمـــى سـلام

«من حرب فلسطين إلى مذبحة الصحفيين»!



كان حلمى سلام أقرب الصحفيين إلى جمال عبد الناصر!
بدأت سنوات المعرفة قبل ثلاث سنوات من قيام الثورة وكانت حرب فلسطين قد انتهت إلى ما نعرفه.
خاض حلمى سلام على صفحات المصور قبل الثورة معارك عديدة دفاعاً عن جيش مصر وبطولات أفراده.. ولأول مرة يذكر على صفحات المصور أسماء هؤلاء الأبطال وعلى رأسهم محمد نجيب وجمال عبد الناصر!
وبعد الثورة بأسابيع كان أول صحفى مصرى يكشف للقراء عن أسماء أعضاء مجلس الثورة ودورهم فى ثورة ٢٣ يوليو!!

■■

● قلت له: فى حوار جرى بين الصحفى اللبنانى سليم اللوزى رئيس تحرير مجلة «الحوادث» وبين الأستاذ محمد حسنين هيكل، ونشرته مجلة الحوادث فى عدد ٢٥ يونيو ١٩٧١.. سأل سليم اللوزى هيكل: هل كان فى استطاعتك تحقيق هذا النجاح لو لم يكن لك ذلك المركز الممتاز عند جمال عبد الناصر؟ وأجاب هيكل يومها: من الذى صنع لى مركزى عند عبد الناصر؟ شىء واحد، هو قدرتى على خدمة الهدف العام الذى كان يسعى إلى تحقيقه، ليس هناك أى سبب آخر! قبل الثورة لم نكن أصدقاء، لم أكن أعرفه إلا قبل ٣ أو ٤ أيام من قيام ثورة ٢٣ يوليو (تموز). لم أكن أقرب الناس إليه، كان هناك غيرى أقرب. كان هناك أحمد أبو الفتح، وكان هناك إحسان عبد القدوس، وكان هناك «حلمى سلام»، كذلك لم أكن واحداً من الضباط الأحرار، وأى حيز أخذته من تقديره مرجعه شىء واحد هو قدرتى على خدمة الهدف الذى يسعى إليه..

ثم إن أى صحفى فى الدنيا من «سالزبرغر» إلى جيمس ريستون.. يعرف أن أحسن وسيلة للاقتراب من الأخبار هو الاقتراب من مراكز صنعها، وهذا هو الموضوع الطبيعى.

كيف صرت قريباً من جمال عبد الناصر؟ كيف تعرفت عليه؟

■ بدأت علاقتى بجمال عبد الناصر فى أوائل عام ١٩٤٩، بعد توقف حرب فلسطين مباشرة وعودته من حصار الفالوجا، كنت على صلة وثيقة جداً بواحد من الضباط الأبطال الذى قدم استقالته من الجيش فى المرحلة الأولى من الحرب وقبل أن تدخل القوات المصرية الحرب بشكل نظامى، كان اسم هذا الضابط هو «معروف الحضرى».

وحدث أيضاً أن استقال من الجيش بعض الضباط وتطوعوا لدخول الحرب، منهم البطل «البكباشى أحمد عبد العزيز» الذى صحب معه «كمال الدين حسين» وحسن فهمى عبد المجيد الذى صار فى عهد الثورة سفيراً لنا فى المغرب.

المهم أثناء الحرب وقبل الهدنة الأولى عاد معروف الحضرى إلى القاهرة جريحاً، وهناك حيث كان يعالج فى مستشفى الحلمية العسكرى، قابلته وتحدثت معه ومع عشرات الأبطال المصابين، ونشرت هذه المقابلات والأحاديث فى مجلة «المصور». فى تلك الجلسة مع «معروف الحضرى»، بدأت ونمت علاقة وطيدة، وانتهت الحرب، وانتهى حصار الفالوجا، وعاد معروف الحضرى إلى القاهرة، وبهذه المناسبة وجهت إليه الدعوة لتناول الغداء معى فى المنزل.. وفى ظهر اليوم التالى جاءنى معروف الحضرى ولم يكن وحده، كان بصحبته شاب ضابط طويل أسمر اللون قدمه لى قائلاً: الصاغ جمال عبد الناصر!

رحبت بالبطلين وجلسنا في الصالون، وقال لى معروف الحضرى.. جمال عبد الناصر صديق حميم جداً لى.

ثم التفت معروف الحضرى ناحية جمال عبد الناصر وأشار بيده نحوى قائلا: حلمى سلام من الصحفيين المهتمين بحرب فلسطين، وله مقالات كثيرة فى هذا المجال، فى تلك الجلسة طرح الصاغ جمال عبد الناصر علينا أسئلة كثيرة جداً، كان معظمها متعلقاً بما يجرى فى البلد، وما جرى فى حرب فلسطين، والأسلحة الفاسدة و... و...

وما لفت نظرى أن عبد الناصر كان يسأل فقط، ثم يصغى باهتمام لما أقوله أو يقوله معروف الحضرى، كان مستمعاً جيداً جداً، وذهنه مرتب جداً، أما أهم ما لفت نظرى فى شخصيته فكان عينيه النافذتين اللتين يشع منهما بريق غريب، وعادة عندما تتحدث تجد عينيه مركزتين فى مواجهة عينيك.

فى تلك الجلسة لم أسمع رأياً لعبد الناصر فى كل ما تبادلناه من حوار، كان مستمعاً أكثر منه متحدثاً، وفى نهاية الزيارة وأنا أودعه عند باب الشقة، أحسست من مصافحته لى وضغطه على يدى أننا صرنا أصدقاء، وشعرت أيضاً أنه سعيد بهذه المقابلة أو الزيارة.

● عدت لأسأل حلمى سلام: هل تكررت اللقاءات بعد ذلك؟!

■ قال: نعم.. ولكن بدأ جمال عبد الناصر يزورنى فى بيتى بمفرده، كان يزورنى مرة كل يومين أو ثلاثة أيام، وطالت جلساتنا، وفى كل جلسة لم تكن الموضوعات التى نتكلم فيها تخرج عن إطار الحرب وما جرى فيها بسبب فساد الملك فاروق والحاشية.

بعد ذلك عَرَّفنى جمال عبد الناصر بالصاغ عبد الحكيم عامر صديق عمره وأخيه الروحى، وأذكر أنه قال لى عندما عرفنى به: خللى بالك يا حلمى ده خاله يبقى حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة، رجل الملك فاروق رقم واحد!

وعندما لمح عبد الناصر الدهشة ترتسم على ملامح وجهى من هذا التناقض الغريب أن أبن أخت رجل الملك صديق لعبد الناصر، قال لى جمال: ما تخافش منه يا حلمى!

واتصلت علاقتى أيضاً بعبد الحكيم عامر، ثم حدث تعارف آخر مع عدد من الضباط الأحرار.. عبد اللطيف البغدادى، حسن إبراهيم، صلاح سالم، وأنور السادات، وبالمناسبة كنت أعرف السادات قبل ذلك منذ قضية اغتيال أمين عثمان وكنت أتابعها صحفياً فى المحكمة، وأكتب تحقيقاتها فى مجلة «المصور».

● قلت: كيف كانت علاقتك بأنور السادات؟

■ قال: كان اهتمامى بأنور السادات عند تغطيتى لمحاكمة مقتل أمين عثمان لها عدة أسباب، السبب الأول أن أنور السادات كان أكبر المتهمين سناً فى القضية، إذ كان عمره وقتها ٢٧ عاماً، السبب الثانى أن السادات كانت له خلفية

سياسية، فقد كا مطارداً سياسياً وسبق اعتقاله، كما أنه نقيب سابق فى الجيش، من هنا واجبى كصحفى أن أقدم للقراء تلك الشخصية، واقترحت عليه أن يكتب مذكراته وهو داخل السجن، وكان سعيداً جداً بذلك الاقتراح!

وحكيت للأستاذ أميل زيدان اقتراحى للسادات فوافق، واتفقنا ألا ننشر تلك المذكرات إلا بعد النطق بالحكم فى القضية، لأنه إذا أدين فمن الصعب النشر. أما إذا حكم عليه بالبراءة يبقى ننشر.. فهى فى النهاية خبطة صحفية مثيرة وطريفة، ثم أن هذه القضية كانت مثار اهتمام الرأى العام بالكامل، لأنها كانت أول قضية اغتيال سياسى، استمرت المحاكمة ٣٣ شهراً، وكان السادات يكتب هذه المذكرات حلقة بحلقة، كنت أتسلم منه كل حلقة من خلال قفص الاتهام وفى نفس الوقت يتسلم أجر الحلقة المتفق عليه.

● سألت بدهشة : كم تقاضى السادات ثمناً للحلقة الواحدة من هذه المذكرات؟

● قال: عشرة جنيهات فى الحلقة الواحدة، وعلى ما أذكر فإنه قد كتب تسع حلقات تقاضى فيها تسعين جنيهاً.

وبعد أن صدر الحكم ببراءة أنور السادات فى ٢٤ يوليو ١٩٤٨ بدأنا نشر الحلقات فى «المصور» وكان عنوان المذكرات «٣٠ شهراً فى السجن» بقلم أنور السادات. أكثر من هذا أننى كتبت سطوراً أقدم فيها أنور السادات إلى القراء، وقلت فيها بالحرف الواحد: «اليوزباشى محمد أنور السادات هو أحد المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسية مع حسين توفيق وحكم ببراءتهم، وهو أقوى المتهمين شخصية، وأكثرهم ثقافة وتجربة، وكان قد عكف أيام سجنه على تدوين مذكراته تصور الحياة داخل السجن أصدق تصور، وهذا هو الفصل الأول من تلك المذكرات التى سنوالى نشرها تباعاً».

ونشرت الحلقات بالفعل فى «المصور».

● قلت : كان جمال عبد الناصر يتردد عليك فى بيتك من حين لآخر، هل حدث وزارك فى مكتبك بدار الهلال فى ذلك الوقت؟!

■ قال: نعم زارني عبد الناصر في مكتبي بدار الهلال مرة واحدة فقط، كان ذلك في يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٥٠ وكانت مناسبة طريفة بالفعل، ففي ذلك اليوم أقمنا في دار الهلال حفل تكريم لأبطال مصر الرياضيين الذين أحرزوا بطولات عالمية، وكنت أقود حملة صحفية ضخمة هدفها تحسين الأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الأبطال، حيث كانت أوضاعهم الأسرية مترديه جداً، وعندما عاد هؤلاء الأبطال من الخارج نظمنا لهم حفل تكريم في دار الهلال، ودعت دار الهلال المسئولين، ومن جانبي فقد دعوت أصدقائي وكان على رأسهم اللواء فؤاد صادق، والأميرالاي محمد نجيب والصاغ جمال عبد الناصر.

وهذه الصورة الفوتوغرافية هي أول صورة تلتقط لعبد الناصر في مكان عام قبل ١٩٥٢، ولو كان رجال الأمن أو السراي يعلمون في ذلك الوقت من هم هؤلاء الأبطال لأحسوا بمدى خطرهم على النظام الملكيّ، فقد كان فؤاد صادق هو المرشح الثاني لقيادة الثورة عندما اعتذر عزيز المصري، وكان محمد نجيب هو المرشح الثالث الذي قبل مهمة القيادة، وكان جمال عبد الناصر هو العقل المدبر وصانع الثورة الحقيقي ورئيس اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، وصلاح سالم عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار. ورغم وجود بعض عيون الأمن في ذلك اليوم. إلا أن أحداً منهم لم يشك لحظة في هؤلاء الأشخاص.

● قلت : الآن فقط نعرف أن المرة الأولى التي نشرت فيها الصحافة المصرية اسم جمال عبد الناصر كان على صفحات جريدة «الجهاد» لصاحبها ورئيس تحريرها الكاتب الوطني توفيق دياب في ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ . عندما قاد جمال رئيس اللجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية مظاهرة ضخمة احتجاجاً على بيان السير صمويل هور وزير خارجية بريطانيا الذي قال فيه : إن بريطانيا لا تريد عودة الدستور في مصر.. وأثناء سير المظاهرة ناحية بيت الأمة أطلق الضباط الإنجليز النار على «الطالب الأسمر جمال عبد الناصر» فأصابته رصاصة في جبهته، فأسرع به زملاؤه إلى دار جريدة «الجهاد»

وهناك ضمدت جراحه، وفي اليوم التالي نشرت الجهاد تفاصيل المظاهرة وأسماء الجرحى ومن بينهم «جمال عبد الناصر» تحت عنوان «جرحى يلجأون إلى دار الجهاد».

كان الصحفي الكبير حلمي سلام يصغي لهذه السطور، كثفت كلماتي وقلت له: في المقالات التي كتبتها في المصور قبل ١٩٥٢ عن حرب فلسطين وبطولات الفدائيين هل ذكرت اسم عبد الناصر بصراحة في إحدى هذه المقالات وكنت قد اصبحت قريباً منه؟!

■ قال: في عام ١٩٥٠ وكنت أعمل مديراً لتحرير مجلة «المصور» أثيرت قضية لجنة المشتريات الخاصة بالأسلحة الفاسدة، كان على رأس هذه اللجنة اللواء المهندس إبراهيم المسيرى ومجموعة من الضباط الذين حوكموا في قضية الأسلحة الفاسدة وطلعوا براءة. وثار الرأى العام داخل الجيش، وتكونت لدى الرأى العام نفسه فكرة خاطئة مؤداها أن كل الضباط لصوص ومرتشون وسماسرة وفاسدون.. وأذكر أننى كتبت مقالاً عنوانه «فلنحن رؤوسنا لجيش مصر إجلالاً». نشر المقال في عدد المصور الذى صدر بتاريخ ٢٢ سبتمبر عام ١٩٥٠ كان المقال الذى استغرق صفحتين يقول بالحرف الواحد:

«نعم.. فلنحن رؤوسنا لجيش مصر إجلالاً.. ولنحنها رغم كل شيء.. فإن مثول عشرة أو عشرين ضابطاً أمام المحققين لا ينبغى أن ينسينا أن كثرة الجيش الكبرى لا تزال بخير.. لا تزال قوية الخلق والقلب والضمير..

ويوم يقول أناس إن ضابطاً في جيش مصر باع بلاده ليشترى عزبة سنقول لهم.. إن في جيش مصر مئات من الضباط باعوا حياتهم ليكسبوا لوطنهم متراً أو أقل من أرض القتال، سنقول لهم عندكم «سيد طه» ورجاله.. لقد صمدوا للحصار والقتال أربعة أشهر سوياً.. وثبتوا أمام اليهود الذين كانوا يصلونهم ناراً من السماء وناراً من الأرض، وناراً من كل مكان! ولكن هذه النيران كلها لم تزدهم إلا حباً لمصر وثباتاً في سبيلها واستهتاراً بالحياة وأعراضها..

ويوم يقول أناس إن في جبش مصر «لواء» قبل على نفسه أن يشترى لبلاده – وهى في أقسى أيام محنتها – ذخيرة تالفة.. سنقول لهم عندكم هذا البوزباشي

الصغير «محمد مجدى حسنين» إنه هو الآخر أسطورة من أساطير الشجاعة المجنونة.

ويوم يقول إناس إن فى جيش مصر ضباطاً تهربوا من ميدان القتال، ومرضوا أو تمارضوا، ولم يكونوا رجالاً وقتما نادت مصر على الرجال.. سنقول لهم.. عندكم «فؤاد صادق»، و«محمد نجيب»، و«سيف الدين»، و«الرحمانى»، و«الدغيدى»، و«أبو زيد»، و«وجيه خليل».

عندكم من الشبان «جمال عبد الناصر» و«صلاح سالم» و«كمال الدين حسين»، واستطيع لو اتسع المجال أن أعدد مئات الأسماء، كان أصحابها أسوداً لا مجرد رجال، وأسألوا عنهم رمال فلسطين ترو لكم من ألوان رجولتهم ما يزرى بخيالات القصاصين»!

ولم أكن أعرف أن معظم هذه الأسماء تشكل اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار التى قامت بالثورة.

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يقرأ فيها الناس اسم جمال عبد الناصر قبل الثورة بوصفه واحداً من أبطال حرب فلسطين.. وهذه المقالة وغيرها من المقالات التى كتبتها عن الجيش والأسلحة الفاسدة وفساد الأحزاب ضمنتها كتاباً لى صدر ونفد، اسمه «دقات الأجراس» وكتب مقدمة هذا الكتاب الأستاذ الكبير «فتحى رضوان» وقال: «فحلمى سلام بحق كاتب حساس ذو بصيرة صافية وهو بلا منازع أول كاتب ذكر اسم قادة ثورة يوليو قبل أن تقع الثورة، فاسم «جمال عبد الناصر» نشر أول ما نشر في مقاله المعنون «فلنحن رؤوسناء لجيش مصر إجلالاً» وهو لن ينفك يرشح من قادة الثورة المدنيين فى مقالاته قبل الثورة أكثر من وزير من وزرائها الذين شاركوا فى حمل أعبائها من اليوم الأول».

● قلت: في ديسمبر ١٩٥٢ صدرت الطبعة الثانية من كتاب «حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر» للدكتور راشد البراوى أشار فيه إلى أنك من أزاح الستار عن أسماء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، وكيف أنها بدأت بخمسة ثم صارت تسعة هم: البكباشى جمال عبد الناصر، الصاغات: عبد الحكيم

عامر، كمال الدين حسين، خالد محيى الدين، صلاح سالم، قائد الأسراب حسن إبراهيم، قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى، وجمال سالم والبكباشى أنور السادات.

وأشارت الكاتبة الصحفية «مى شاهين» فى كتابها «شارع الصحافة» أيضاً إلى أن قادة الثورة أملوا فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢ قصة الصورة على الأستاذ حلمى سلام..

كيف نشرت قصة الثورة؟.. من أين جئت بالمعلومات؟

■ بعد حوالى شهرين من قيام الثورة بدأت أنشر فى مجلة «المصور» حلقات مسلسلة جعلت عنوانها «قصة ثورة الجيش من المهد إلى المجد» ولم يعترض على نشرها أحد فى دار الهلال، وللحق والتاريخ كانوا سعداء جداً بها، ونشرت على مدى ١٢ أسبوعاً إلى أن طلب منى جمال عبد الناصر التوقف عن كتابتها، وأذكر أنه قال لى وهو يبلغنى بذلك: لغاية كده كفاية يا حلمى، قال، وكنت قد وصلت فى كتابة هذه الحلقات إلى كيفية تحديد ساعة الصفر وكيف تم تنفيذ خطة الثورة، وقال عبد الناصر: أنا ما أحبش إن أى حد يعرف كيف توصلنا إلى تحديد ساعة الصفر حتى لا تتكرر.

● قلت: من كان مصدرك الأساسى فى معلومات هذه الحلقات؟

● قال: جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، كانت لى جلسة أسبوعية مع جمال عبد الناصر يحكى لى أسرار الثورة على مدى ساعات، أحياناً كانت تتم هذه الجلسة فى بيتى أو فى بيت عبد الناصر، وأحياناً فى مكتبه بمبنى مجلس قيادة الثورة، وأحياناً كان عبد الحكيم عامر يأتى إلى مكتبى فى دار الهلال لأنه لا يجد الوقت الكافى لأجلس معه فى مكتبه ليحكى لى وهو بعيد عن الهموم.

كانت الجلسة مع عبد الناصر يوم الخميس أو الجمعة من كل أسبوع وفى كل مرة كنا نتحدث حوالى ساعتين أو ثلاث كى يحكى لى معلومات الحلقة التى سوف تنشر، وفى هذه الحلقات نشر لأول مرة بعد قيام الثورة عن العملاق الأسمر ونشرنا له صورة كبيرة بطول صفحة المصور وحددت دوره فى ثورة ٢٣ يوليو.

● قلت : هل كان لعبد الناصر ملاحظات حول هذه الحلقات؟ هل أغضبت البعض من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟ هل أسعدت البعض؟

■ قال: جمال عبد الناصر كان معجباً بهذه الحلقات، ولم يحدث طوال نشرها أن طلب منى على سبيل المثال أن أطلعه على ما سوف أنشره، ولكن فى أعقاب صدور إحدى الحلقات اتصل بى تليفونياً وأبلغنى أننى نسيت أن أذكر دور خالد محيى الدين وقال إن دور خالد فى الثورة دور هام جداً، وكان عبد الناصر يحب خالد محيى الدين حباً شديداً ويحترمه إلى أبعد الحدود ويعتز به، ومن هنا فقد أطلق على ابنه الأكبر اسم خالد.

وطلب منى أن أشير إلى هذا الدور فى الحلقة التى أستعد لنشرها، وفعلاً أذكر أننى نشرت صورة لخالد محيى الدين.

فقط استاء أنور السادات من هذه الحلقات وقال: إن دوره غير موجود فى هذه الحلقات، وفيما بعد تحولت هذه الحلقات إلى مسلسل إذاعى أعده للإذاعة محمد على ماهر، كان يذاع يومياً حوالى الساعة التاسعة والنصف وأوقف بناء على طلب السادات.

● قلت : هل فى نفس هذه الفترة الزمنية كان الأستاذ مصطفى أمين ينشر «قصة التسعة» فى الأخبار وتروى أيضاً تفاصيل الثورة وأسرارها كما رواها له عبد الناصر وراجعها السادات قبل النشر ثم طلب عبد الناصر إيقاف النشر بعد أن أثارت غضب الضباط؟

■ قال بحسم: لا.. ما نشره مصطفى أمين كان فى مرحلة أخرى جاءت بعد نشر حلقاتى بفترة طويلة.

● قلت وأنا أضبط أوتار كلماتى بدقة : يلقى محمد حسنين هيكل باتهام محدد حول تلك الحلقات والمسلسلات التى كانت تنشر وقتها، ويقول فى حواره مع فؤاد مطر : وحدث فى النصف الثانى من عام ١٩٥٢، قيلت وكتبت أمور كثيرة تتعلق بالثورة كان عبد الناصر يقرأ ما ينشر ويبدى استغرابه.. ما هو تعليقك؟

■ قال بهدوء شديد: ردى ببساطة أن هذه الأسرار كانت تنشر اسبوعياً على مدى أسابيع طويلة (١٢ أسبوعاً) والذين كنت أستقى منهم المعلومات كانوا على قيد الحياة ولم يكذبوا أو يعترضوا على ما كتبته، ولم يوقف عبد الناصر نشرها، لأنها لو كانت غريبة أو غير حقيقية أو بعيدة عن الصدق كان فى استطاعة عبد الناصر أن يطيح ليس بى فقط بل بالمصور بأكمله وكان فى إمكانه ذلك، واستمر النشر حتى وصلت إلى ساعة الصفر فطلب منى التوقف، واحترمت رغبته، لأن المسألة ليست مجرد إثارة صحفية، ولا تنس ارتباطى الشديد بالضباط الأحرار لدرجة أننى كنت أعتبر نفسى واحداً منهم، فأنا لست صحفياً يريد تحقيق كسب صحفى إنما ما كان يهمهم يهمنى أيضاً. ولو انضربوا فسوف أنضرب بالتأكيد.

● **منذ سنوات نشر السيد «عبد اللطيف البغدادى» مذكراته فى جزءين أذكر أنه قال بالحرف الواحد: أنه بعد أن استعرض خلافات الثورة مع الرئيس محمد نجيب بعد قيام الثورة بقليل أنه قال: «علمت من جمال عبد الناصر نفسه أنه قد تكلم مع محمد حسنين هيكل المحرر بجريدة الأخبار وأحمد أبو الفتح بجريدة المصرى وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب بجريدتيهما إلا فى الحدود الضيقة جداً، وأن أنور السادات قد لمح هو الآخر إلى أحمد الصاوى بجريدة الأهرام لاتخاذ نفس الاتجاه. ولما تساءلت عن مدى علم مصطفى وعلى أمين بذلك الأمر أبلغنى جمال عبد الناصر أن هيكل قد أبلغهما ومن أنه - أى جمال - يثق بهما». انتهى ما كتبه عبد اللطيف البغدادى فى الجزء الأول من ذكرياته. وعدت أسأل حلمى سلام بهذه المناسبة:**

ما هى حكاية محمد نجيب بالضبط مع الثورة؟ كيف اقترب من ثوار يوليو؟ وكيف اختير ليرأس الثورة؟ ولماذا ابتعد؟

■ فى عام ١٩٥١ أجريت انتخابات نادى الضباط، وفاز محمد نجيب بمنصب رئيس مجلس إدارة النادى. ولا أحد يختلف حول محمد نجيب وطنياً أو عسكرياً.

وفى ذلك الوقت كنت أكتب باباً أسبوعياً فى المصور بعنوان «يتحدثون عن» وبهذه المناسبة كتبت عن محمد نجيب أقول فيه - ويمكنك أن ترجع للمصور فى عدد ١٨ يناير ١٩٥١ - «إن محمد نجيب أمل ضخم من آمال الجيش، وأمل الجيش اليوم منحصر كله فى المستقيمين الأوفياء ونجيب على رأسهم».

وزارنى اللواء محمد نجيب فى مكتبى بدار الهلال ولم أكن أعرفه شخصياً، وشكرنى على هذا المقال ونشأت بينى وبينه علاقة وثيقة، وكنت أعلم قبل ذلك التاريخ أن الرأى كان قد استقر تماماً على محمد نجيب كى يكون الوجه الناضج الذى يتصدر الثورة، لأنهم فى ذلك الوقت كانوا شباناً، وكان عبد الناصر أكبرهم سناً، كان عمره يوم قامت الثورة ٣٤ عاماً.

كان الضباط الأحرار قد فكروا قبل ذلك فى اسمين فى البداية الفريق عزيز المصرى باعتبار أن له تاريخاً وطنياً مجيداً مع العسكريين وفى محاربة الإنجليز وموقفاً خاصاً من الملك فاروق، وحين فوتح فى هذا الأمر اعتذر لكبر سنه، وأنه قانع بدور الأب الروحى للثورة.

ثم نأتى للشخصية الثانية وهى اللواء فؤاد صادق، ثم عدلوا عنه واتجهوا إلى اللواء نجيب ولم يكن حول اسمه الوطنى أدنى غبار، حيث كان فى حرب فلسطين قائداً ثانياً لجبهة القتال، وجرح ثلاث مرات، ومنح وسام النجمة العسكرية وهو أرفع عسكرى وقتها، فى نفس الوقت كان عبد الحكيم عامر يعمل معه كواحد من أركان حربه، ويوماً بعد يوم اقترب منه وزاد اقترابه، وعندما أطمأن عامر من ناحية نجيب قال لعبد الناصر: لقد اكتشفت لك كنزاً.

وبعد انتهاء حرب فلسطين بدأ عبد الناصر يتعرف على نجيب وتزداد صلته به، وعندما قرر الضباط الأحرار دخول انتخابات نادى الضباط كان اسم محمد نجيب يتصدر هذه القائمة وكان هناك اسماء بعض الضباط الأحرار مثل: زكريا محيى الدين وحسن إبراهيم وجمال حماد وأمين شاكر.

وفاز نجيب وكذلك الأعضاء الذين رشحهم تنظيم الضباط الأحرار.

● قلت: وقامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وأعلن بيان الثورة الأول من محمد نجيب بلسان أنور السادات، وصار نجيب يتصدر كل جريدة، ثم فجأة اختفي.. لماذا؟

■ قال: أنا متذكر كويس جداً جداً، أنه بعد قيام الثورة، أن قال لى جمال عبد الناصر أرجو تركيز كل الأضواء على محمد نجيب، ونحن - أى مجلس قيادة الثورة - غير موجودين فى الصورة بالنسبة للجماهير، وبالفعل كان المصور فى تلك الفترة لا يخلو عدد من أعداده من خبر أو مقال أو صورة عن محمد نجيب، وذلك منذ أول عدد صدر من المصور بعد قيام الثورة.

وفى تلك الأيام هاجمنى المرحوم جمال سالم - عضو مجلس قيادة الثورة - فى اجتماعات القيادة بتهمة أننى دائم التركيز على أخبار محمد نجيب، ولم يكن جمال سالم يعلم أن هذا الاهتمام الصحفى بمحمد نجيب ليس سببه فقط إعجابى وصداقتى بالرجل بل تنفيذاً لرغبة جمال عبد الناصر نفسه الذى كان يرى أن الوقت لم يحن بعد لتقديم أعضاء مجلس قيادة الثورة للناس.

● قلت ضاحكاً : ومن هذا المنطلق مثلاً قال أنور السادات فى استفتاء نشرته مجلة المصور فى مايو ١٩٥٣ : إن محمد نجيب يأتى على رأس أعظم عشرة رجال فى العالم. بل هو أعظم رجل فى العالم.

■ كان كل شىء بالنسبة لعبد الناصر محسوباً بدقة مذهلة، وأن كل خطوة يقررها لابد أن تجىء فى وقتها السليم تماماً، وساعده على ذلك أنه كان مناوراً ذكياً بطبيعته، وأذكر مرة أن عبد الناصر تحدث معى فى شأن محمد نجيب - وكان ذلك فى الشهور الأولى للثورة - كان نجيب أحياناً يستقل عربة مكشوفة ويطوف بها وسط الثكنات العسكرية، ويقوم بتحية الجنود والضباط، وقال عبد الناصر ببساطة مذهلة لى: هو فاكر نفسه إنه بهذا التصرف بيمتلك العساكر. وبيكسب القوات المسلحة.. طيب خليه يعمل اللى هو عايزه.. واحنا هنعمل ثورة ثانية!

وبعد ذلك - عقب أزمة مارس ١٩٥٤ - كان نجيب قد اختفى تماماً من الصورة.

● قلت : كما اختفي كثيرون بعد ذلك ؟ !

■ قال: نعم.. وأذكر أننى بعد فترة قصيرة من قيام الثورة اقنعت جمال عبد الناصر أن يقوم مصور دار الهلال بالتقاط صورة جماعية لأعضاء مجلس قيادة

الثورة ونقوم بتوزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور، وافق عبد الناصر على الاقتراح ورحب به أصحاب دار الهلال.

تم تصوير أعضاء مجلس قيادة الثورة، وأعدت الصورة الهدية، وذات مساء قبل نزول المصور إلى الشارع بيوم واحد، اتصل بى جمال قائلاً: يا حلمى ألغى فكرة الصورة الهدية، وقلت بدهشة: لكن أحنا طبعناها فعلاً وجاهزة للتوزيع غداً! فرد بحدة: لا.. الغى الهدية وتعال حالاً عندى هنا.

أصدرت أمراً إلى المسئولين بدار الهلال بعدم توزيع الصورة مع المصور. وذهبت فى الحال إلى جمال عبد الناصر، وشرح لى الأسباب التى دفعته إلى إلغاء الصورة الجماعية قائلاً: ماتتضايقش يا حلمى.. «لأن فيه اثنين من الذين يظهرون فى هذه الصورة وسيراهم الناس غداً، سوف يختفون بعد فترة، وأنا لا أريد الناس أن ترى اليوم ١٥ شخصاً وبعد فترة يجدوننا وقد نقصنا اثنين».

وسألته عن الاسمين: فقال: يوسف صديق وعبد المنعم أمين.

وبعد أن عدت إلى مكتبى طلبنى أميل زيدان وكان قد علم بحكاية إلغاء الصورة فقلت له: الحقيقة أننى لم أكن قد استأذنت جمال عبد الناصر فى نشرها، وحين علم طلب تأجيلها لفترة.

واضطررت لاختراع هذا التبرير لأن عبد الناصر طلب منى أن أبقى هذه الحكاية - حكاية ابتعاد يوسف صديق وعبد المنعم أمين - سرا.

● قلت: فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ تم إلغاء النظام الملكى وإعلان الجمهورية. وعندما أعاد محمد نجيب تشكيل الوزارة أختير عبد الناصر لمنصب وزير الداخلية! ألم يكن ذلك مفاجأة؟

■ قال: فى عام ١٩٥٣ أصبح جمال عبد الناصر وزيراً للداخلية، ولأنى أعرف شصيته معرفة عميقة منذ عام ١٩٤٩، وحتى ذلك التاريخ كتبت مقالاً عنوانه «عبد الناصر لا يصلح وزيراً للداخلية».. كان العنوان مثيراً بالطبع ويختلف تماماً مع مضمون وجوهر المقال، أذكر أننى قلت فى هذا المقال إننا نعرف أن وزير الداخلية فى الماضى شخص كريه الصورة، يحاول شراء ذمم العمد والمشايخ فى القرى.. و... و... ولأن أخلاق عبد الناصر وصفاته أبعد ما تكون عن هذه الأشياء كلها فهو لا يصلح لأن يتولى هذا المنصب.

وفى نفس يوم صدور مجلة المصور اتصل بى جمال عبد الناصر تليفونياً وقال لى: مقالك كويس قوى يا حلمى.. عجبنى مضمونه، بس عنوانه مثير شويه، ما تنساش أن فيه ناس مش بتقرأ إلا العناوين»، واستطيع أن أؤكد لك أن جمال عبد الناصر كان حريصاً على قراءة كل ما ينشر عنه حتى لو أغضبه.

● قلت له وأنا أعيد على مسامعه سطوراً للكاتب الأستاذ مصطفى أمين جاءت فى كتابه الصادر عام ١٩٧٩ «لكل مقال أزمة»: كان جمال عبد الناصر فى أيام الثورة الأولى مؤمناً بحرية الصحافة مدافعاً عن حقها فى النقد وإبداء رأيها.. ولكنه كان يقول لى دائماً إنه يلقى معارضة شديدة من زملائه أعضاء مجلس الثورة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أنصاف آلهة وذات مقدسة لا تمس!

وكان المشير عبد الحكيم عامر يقول لى: إن حل مشكلة الصحافة فى مصر هو أن تقبض الثورة على جميع الصحفيين بغير استثناء، وأن تضعهم جميعاً فى السجن الحربى، وبذلك تستريح الثورة.. وتستريح مصر.

■ قال الأستاذ حلمى سلام: كان جمال عبد الناصر حريصاً على أن تكون الصحافة المصرية صحافة ثوية وليست صحافة ضعيفة، وعندما أعود بذاكرتى إلى ما قبل قيام الثورة بسنوات وكان عبد الناصر يقرأ ما كنت أكتبه فى المصور أو يكتبه غيرى فى جرائدهم ومجلاتهم كان سعيداً بوطنية الصحافة المصرية، وكنا جميعاً كصحفيين وكتاب نغلى بأفكار وطنية، وكان غليانى أنا وغليان إحسان عبد القدوس لحساب الجيش والقوات المسلحة كما سبق أن قلت لك.

ومنذ قيام الثورة لم ألمس ضيق جمال عبد الناصر مما كانت تنشره الصحافة بشكل عام أو ما كان ينشر فى المصور بشكل خاص، نعم كان عبد الناصر مؤمناً بحرية الصحافة وبخطورة دورها ومن هنا أنشأت الثورة صحفاً ومجلات تنطق باسمها.. أصدرت مجلة «التحرير» ثم جريدة «الجمهورية» وكان صاحب الامتياز هو عبد الناصر نفسه، وأصدرت كذلك «المساء» و«بناء الوطن».. الخ.

وأذكر حواراً جرى بينى وبين عبد الناصر فى بيتى عصر أحد أيام نهاية عام ١٩٥٢ وكنت مسئولاً عن باب فى مجلة «المصور» اسمه «بين المصور وقرائه» حيث كانت تأتينى رسائل القراء والقارئات متضمنة شكاواهم ومعاناتهم مع الأجهزة الحكومية وغير الحكومية.. وقال لى عبد الناصر يومها: عندما لا تصلك شكوى من قارئ لينشرها فى بابك يا حلمى.. يومها تكون الثورة قد نجحت بالفعل!

● عدت لأقول بإلحاح: هل كان أعضاء مجلس قيادة الثورة يعتبرون أنفسهم أنصاف آلهة وذات مقدسة لا تمس يا أستاذ حلمى؟ أعطنى إجابة تدعمها وثائق!

■ قال: معك حق، وتركنى لدقائق عاد بعدها يحمل ملفات عديدة وفتحها وأخذ يقول فى سبتمبر ١٩٥٣ نشرت مجلة «الاثنين» - وكانت تصدر عن دار الهلال أيضاً - تحقيقاً صحفياً طريفاً عن الهواية التى يحبها ويمارسها كل عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وقامت قيامة أحدهم وقال غاضباً: إن هؤلاء الرجال أكبر من أن تكون لهم هواية من أى نوع!

والحقيقة أن الغيظ ملأنى وكتبت فى المصور مقالاً أتساءل فيه: هل قادة الثورة آلهة؟!

وقلت فى هذا المقال: إن هذا السيد المتحمس يريد أن يقول للناس إن رجال الثورة ليسوا بشراً، ولذلك فلا يليق بهم أن يهووا شيئاً مما يهواه البشر، لا يليق بهم أن يهووا التنس، ولا السباحة، ولا الكرة ولا المشى ولا أى لون من ألوان الرياضة التى قالوا لنا عنها فى المدرسة إنها الطريق الوحيد إلى صحة العقل.

إننى استطيع أن أذكر للسيد الكبير إن قادة هذه الثورة لا يعتبرون أنفسهم فوق مستوى البشر.. لا يعتبرون أنفسهم «آلهة» ولو كانوا يعتبرون أنفسهم كذلك لما وقفوا جميعاً أمام الميكروفون ليقول أحدهم - البكباشى حسين الشافعى - إن أحب أغنية إليه هى أغنية «على بلدى المحبوب وديني» وليقول آخر وهو السادات أن أغانى «أسمهان» هى أحب الأغانى إليه وهى أغانٍ مملوءة - وقد لا يعلم ذلك السيد الكبير - بمعانى الحب والشوق والهيام والخصام. وما إلى ذلك من المعانى التى تعيش فى صدور البشر جميعاً، وتحسها قلوب البشر جميعاً، حتى من كانوا منهم أعضاء فى مجلس قيادة الثورة.

إن الذى يجب أن يكون مفهوماً أن الزعماء مهما كبرت أقدارهم ليسوا فى نهاية الأمر إلا بشراً!

● كان الأستاذ حلمى سلام قد فرغ من قراءة بعض سطور المقال الذى كتبه ثم عاد ليضحك بسعادة بالغة ابتسمت وسألته: لماذا تضحك؟

■ قال: فى عام ١٩٥٣ بعد إعلان تشكيل الوزارة التى رأسها اللواء محمد نجيب، كان صلاح سالم قد تولى وزارة الإرشاد وقتها، وعندما ذهب إلى مكتبه بالوزارة ذهب إليه زملاؤه الضباط يهنئونه بالمنصب وجلس معهم فى غرفة مكتبه، وبعد فترة أراد مغادرة مكتبه لأمر هام ومد يده وأمسك بكاب أحد الضباط الموجودين ولبسه فوق رأسه، واكتشف أنه لبس الكاب الخاص به فقال: أمال فين الكاب بتاعي؟! أخذ الجميع يبحثون عن كاب صلاح سالم فى الغرفة. وفجأة التفت ناحيتى وقال: خبيت الكاب بتاعي فين يا حلمى؟ فضحكت وقلت له: شوف نفسك كويس يا سعادة الوزير.. ونظر إلى نفسه وأخذ يضحك فقد كان يرتدى الملابس المدنية! وليس الزى العسكرى، والذى أذكره أننى نشرت هذه الحكاية الطريفة ولم يغضب!

● قلت له: دعنى أسألك سؤالاً ساذجاً: هل لاحظت مثلاً أن واحداً من ثوار يوليو حريص على قراءة باب الحظ والبخت فى الجرائد؟

■ ابتسم وقال: الحقيقة لا.. إطلاقاً، ولكن أذكر واقعة طريفة فى هذا الصدد كانت فى أوائل الثورة تعرفت على فلكية هاوية وهى آنسة اسمها «ببوجيليد» وقابلتها زميلة لنا فى المصور هى «إيزيس فهمى» وعرضت عليها أبراج أعضاء مجلس قيادة الثورة كى تتنبأ لكل منهم بالمستقبل وأعددنا موضوعاً طريفاً بالفعل، وقبل النشر عرضنا ما قالته الفلكية عن كل منهم فقال تعليقاً معيناً.. ونشر الموضوع فعلاً فى المصور عام ١٩٥٣.

قالت عن محمد نجيب: طريقه حافل بالعقبات والمصاعب ولكنه سيتغلب على كل شىء بالعمل وبالصبر ومغالبة الزمن.

وعلق نجيب قائلاً: يبدو أن أغلب ما تنبأت به هذه السيدة صحيح ولكن الشك داخلنى فى صحته وعندما وجدته خالياً من المساوىء.

وقالت عن البكباشى جمال عبد الناصر: حالته المالية عرضة دائماً للصعود والهبوط، رزقه كثير وإنفاقه كثير أيضاً.. لا يسمح لأحد بأن يخدعه.. سنة ١٩٥٣ سنة سعد وتوفيق بالنسبة له، سيكون موفقاً فى كل ميدان، والنجاح سيكون عسيراً عليه، من يناير ١٩٥٤ إلى يناير ١٩٥٦ فسيجد نفسه أمام عقبات جسام.. والكفاح سيكون أعنف.

وكان تعليق عبد الناصر: أنا لا أؤمن بالطالع.. ولا أهتم بمعرفته أبداً.

وقالت عن زكريا محيى الدين: يؤمن بالنتائج الواضحة الملموسة، عمله موضع الرضا دائماً ولكنه لا يجد نفسه دائماً فى الجو المناسب.

وعلق زكريا قائلاً: الطالع من الناحية العملية معقول، فقد لعب الحظ دوراً كبيراً وكان أهلى دائماً يؤكدون أننى «المحظوظ» بين إخوتى.

وقالت عن عبد اللطيف البغدادى: كثير من التوفيق ينتظره، وابتداء من سبتمبر عليه أن يوطن نفسه على كفاح أكبر وأشد، سيدوم ذلك سنتين ثم يسهل كل شىء ويبتسم الحظ من جديد.

وعلق البغدادى: على العموم.. كويس.

وقالت عن أنور السادات: صلب لا تفتر مقاومته أبداً.. قادر على التنظيم، موهوب فى الإدارة، لا ينثنى أمام عقبة، ويعرف كيف يتغلب على كل شىء بالدبلوماسية حيناً وبالعنف حيناً حسب الظروف، لا يؤمن إلا بكل ما هو عملى ممكن مفيد. اصدقاؤه كثيرون، وأعداؤه كثيرون أيضاً، له القدرة على النضال إلى النهاية.. لأنه يؤمن بها إيماناً تاماً.

وعلق السادات: الله أعلم.

● **قلت له: ولكن ماذا عن نقد تصرفاتهم كوزراء؟ ولا تنس أنهم كانوا شباناً قليلى الخبرة فى تلك الأيام؟!**

■ قال: فى نفس تلك الفترة والتى يقول فيها البعض إن ثوار يوليو كانوا أنصاف آلهة كتبت أقول إننى أشكو الوزراء لأنفسهم، أذكر أننى قلت: هل حاول وزراؤنا أن ينتزعوا من المصريين تقديرهم، وإعجابهم بالأعمال الباهرة التى

يقدمونها إليهم ويغرونهم بها، ويشعرونهم أن انقلاباً قد حدث، وأن لوناً من الحكم قد تغير، وأن دماً جديداً قد سرى في كل مكان. آسف إذ أراني مضطراً لأن أطاطيء رأسي حزيناً خجلاً، وأقول والأسى يملؤني: لا!!

ولم يغضب أحد من الوزراء، ولم يغضب عبد الناصر، بل إنه بعد أسبوع واحد أرسل أحد الوزراء رداً على مقالي نشر كاملاً عنوانه «وأنا أشكو الصحفيين لأنفسهم»!! وقال فيه: «واجب الصحفيين أن يحفزوا أفراد الشعب أن يتمسك بحقه، وأن يكون هو عين الدولة الساهرة فيرشدونها ويدلونها ويأخذون بيدها فلتضع الصحافة يدها في يدنا، ولتوجه الكلام إلى الشعب دائماً، لتهيب به أن يقوم بواجبه لتدعوه إلى اليقظة الروحية، ولترسم له إلى هذا السبيل الطرق العملية..»، وكان الرد من فتحي رضوان وزير شئون الدولة.

● عدت لأقول: أليس غريباً ويدعو للدهشة في نفس الوقت أنه بعد قيام الثورة ظلت عشرات الأقلام الصحفية الكبيرة تكتب وتنشر، وهي التي كانت من رموز العهد الملكي.. مثلاً مصطفى وعلي أمين، محمد التابعي، فكري أباظة، كامل الشناوي، وغيرهم؟

■ قال: معك حق في أن هذه الأسماء الصحفية كانت رموزاً لعهد مضى ولكن عبد الناصر حرص على أن يستبقيها لأنه كان يعتمد عليها في خدمتها للنظام. ولا تنس الثقل والوزن الصحفي لهذه الأسماء عند القارىء، مثلاً كانت كل كتابات محمد التابعي بعد الثورة تأييداً مطلقا للثورة وتمجيداً لعبد الناصر.

وفي نفس الوقت كان محمد نجيب وعبد الناصر يعلمان علم اليقين أن بعض هذه الأقلام لا يؤيد عن اقتناع كامل ولكن مجرد ركوب الموجة.

وأذكر أنني في عيد الثورة الأول أجريت حواراً مع الرئيس محمد نجيب ونشر في «المصور» في يونيو ١٩٥٣ وقال لي: لسنا نريد من الصحافة والصحفيين أن يتحولوا إلى فرقة من المطبلين تسير في موكبنا فليس في ذلك إرساء لقواعد هذا النظام ولا إعلاء لبنيانه، وإنما نريدهم أن يعينونا إذا رأونا على حق، وأن يسددونا إذا رأونا على باطل، وأن لا يكتبوا الكلمة إلا بعد أن يستفتوا ضميرهم الوطني فيها، ولا ينشروا المقالة إلا بعد أن يستأذنوا مصر - لا الرقيب ولا محمد

نجيب - فى نشرها.. ولا أحسب صحافة مصر إلا مقدرة لخطر رسالتها وخطر أثرها فى حياة الأمة.

عاد حلمى ليقول لى: أستطيع أن أؤكد لك أننى طوال اقترابى من جمال عبد الناصر لم ألمس منه ضيقاً بالصحافة، كان ضيقه فقط عندما يقرأ مقالاً أو تحقيقاً صحفياً يحس أن كاتبه لا يبتغى من ورائه وجه الله أو وجه الوطن.

● قلت له: ومع ذلك يا سيدى كان المرحوم صلاح سالم وزير الإرشاد وقتها دائم الهجوم على الصحافة والصحفيين فى كل مؤتمر كان يعقده؟

■ قال: فى الشهور الأولى للثورة تعرضت الثورة لهجوم مرير من بعض الأقلام الصحفية وكافة الأحزاب، وكتبت يومها معاتباً صلاح سالم قائلاً: من حق الوزير على الصحافة أن تثبت له أنها ليست أقل منه حرصاً على الأمانة وتقديراً للقيم العالية، وتقديساً للخلق القويم، وليس فى مبادرة صاحبة الجلالة إلى سحب ثقتها ممن ثبت أنهم لا يستحقون هذه الثقة أى عار عليها. فقد سبقها الجيش صاحب الثورة وطهر من البعض صفوفه، من حق الوزير على الصحافة أن يطلب منها أن تصون العهد وأن تحمى الثورة وأن تكون الدرع الذى يذود الضربات عنها.

هذا هو حق الوزير على الصحافة! فهل ليس للصحافة على الوزير حقوق؟! إن للصحافة على خطيب الثورة حقوقاً كثيرة، فمن حقوقها عليه أن يحميها بعدله من أولئك الذين قد يسيئون فهم بيانه الأخير عنها، ويتصورون أن ما يطلب إليهم هو تحطيم الأقلام كلها، وخنق الأنفاس كلها، من حق الصحافة على الوزير أن تطالبه بأن يبادر فيعلن على الملأ اسماء أولئك الذين ثبت لدى الثورة أنهم خانوا عهد المهنة، وعبثوا بشرفها، ومن حق الصحافة على الوزير أن يفهم الموظفون فى الدولة - كباراً وصغاراً - أن الصحافة حينما تقصدهم فى عون أو مساعدة، فإنها بهذا العمل لا تتسول ولا تستجدى، ولا تبحث عن غذاء، يصيبها الموت إذا لم تنله.. ومن حق الصحافة والصحفيين الوطنيين الصادقين أن يطالبوا الوزير بأن يعيد للقيم الخلقية اعتبارها، بأن يضع أولئك الصحفيين الذين قال عنهم - هو - أنهم كانوا يهللون ويكبرون وخلقوا منه - بإصرار وعناد وأباحية أيضاً -

إلههم المعبود، من حق الصحافة على الوزير أن تطالبه بأن تضع الثورة هؤلاء فى أماكنهم التى يستحقونها بما ارتكبت أقلامهم، وإلا فلا قيمة لخلق، ولا قيمة لاستقامة، ولا شيء أكثر مما هو حادث الآن.

سكت حلمى سلام ثم قال: هذا بعض ما كتبته عام ١٩٥٣ بالتحديد.

● **عدت لأقول : وبعد ذلك بشهور قليلة أذاع صلاح سالم كشفاً بأسماء صحفية لامعة كانت تتقاضى مصروفات سرية قبل الثورة ! وكان الغريب أن الكشف تضمن عشرات الأسماء اللامعة . ومجلات لعبت دوراً وطنياً لا أحد ينكره مثل روزاليوسف !**

■ قال: بالنسبة لروزاليوسف بالتحديد فلم تكن مصاريف سرية بالمعنى السيئ للكلمة ولكنها كانت فيما أعتقد تعويضات عن الأعداد التى كانت تصادر. وتحضرنى واقعة معينة جرت فى أواخر العصر الملكى عندما أصدرت دار الهلال كتاباً للمؤرخ العظيم عبد الرحمن الرافعى عن الزعيم «أحمد عربى»، وأجازت إدارة المطبوعات نشر الكتاب ثم عادت فصادرته بأمر من السراى نفسها! وبعد حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ تولى مرتضى باشا المراغى وزارة الداخلية والحربية، وكان أيضاً هو المسئول العام عن النشر، وكنت فى زيارة له وحدثته فى أمر هذا الكتاب الذى صودر بعد أن تمت الموافقة عليه بالفعل، وهذا يكبد الدار خسائر فادحة!

وقال لى المراغى باشا: إنه لن يستطيع أن يعيد طرح الكتاب فى السوق، ولكنه يمكن أن يعوض دار الهلال مالياً بأن يدفع تكاليفه، وفعلاً سدد المراغى التعويض وكان على ما أظن حوالى ألفى جنيه على أقساط شهرية، فيمة كل قسط حوالي ٥٠٠ جنيه.

ولذلك فإن روزاليوسف لم تتقاض مصاريف سرية، ولكنها كانت تعويضات مالية عن الأعداد التى صودرت فى عهود ما قبل الثورة.

● **قلت : وباقى الأسماء هل كانت الثورة متجنية عليها ؟ !**

■ قال: عندما كنت أعد كتابى «أيامه الأخيرة» كانت هناك واقعة خاصة بالأستاذ عبد الفتاح حسن، وكان بالفعل مسئولاً عن شئون الصحافة فى آخر

وزارة وفدية قبل حريق القاهرة، كانت الواقعة خاصة بالتصريح الذى حصلت عليه الراقصة «سامية جمال» كى تسافر إلى دوفيل لتلحق بالملك فاروق، وكيف أنه رفض الموافقة على إعطائها تصريح السفر.. وأذكر أننى عندما سألته عن الواقعة قال لى: خذ هذا الملف تجد فيه كل ما يتعلق بالواقعة.. وبالصدفة البحتة وجدت ضمن الملف كشفاً بأسماء بعض الصحفيين الذين كانوا يتقاضون مصاريف سرية من وزارة الداخلية، وأمام كل اسم مدون المبلغ الذى كان يتقاضاه. إذن لم يكن هناك تعليق من الثورة في قضية المصاريف السرية ولم تكن الثورة محتاجة إلى تلفيق مثل هذه الأمور، إنما خطأ الثورة وقتها أنها جمعت (الشامى على المغربى) ولم يكن أمامها وقتاً كى تفرق بين المصاريف السرية وبين التعويضات!

ابتسم حلمى سلام وقال: ذكرياتى أو تجربتى مع موفق الحموى - رحمه الله - لم تكن مشجعة، ورغم أننى كنت أعتبر نفسى جزءاً لا يتجزأ من ثورة ٢٣ يوليو بكتاباتى ومقالاتى إلا أننى لاحظت شيئاً غريباً جداً بعد قيام الثورة. فعندما كنت أرأس تحرير مجلة التحرير لاحظت أن الرقيب المقيم فى الدار يأخذ مقالاتى أنا بالذات ويدخل إحدى الحجرات ثم يقرأها عبر التليفون لموفق الحموى الرقيب العام وقتها.

وأذكر فى ذلك الصدد واقعة وحيدة معه جعلتنى أتخذ منه موقفاً حتى مات. كان ذلك بعد أن انتهى الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعاد بعده محمد نجيب إلى سلطاته وقبل أن يختفى نهائياً من الصورة فى مارس ١٩٥٤، المهم أننى اخترت صورة فوتوغرافية يتعانق فيها رئيس الجمهورية محمد نجيب، ورئيس الوزراء جمال عبد الناصر، وكانا واقفين فى شرفة هيئة التحرير بميدان عابدين يلوحان للجماهير المحتشدة ويعلنان لهم انتهاء الخلاف بينهما رافعان أيديهما!! وكانت هذه الصورة هى غلاف مجلة التحرير، وأذكر أننى كتبت تحتها عبارة: «الرئيسان يتعانقان».

واتصل بى بعدها مباشرة الرقيب العام «موفق الحموى» قائلاً رئيسين مين اللى بيتعانقوا ياأستاذ حلمى؟! فقلت له: رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء! فقال لى بسخرية: البلد ما فيهاش غير رئيس واحد هو جمال عبد الناصر.. أما التانى فابن كذا (!!!).

الحقيقة أننى صدمت واستنكرت ما قاله موفق الحموى وفى هذه اللحظة سقط الرجل من نظرى، ليس لأننى كنت أحب واحترم محمد نجيب، فقد كنت أيضاً احترم وأحب عبد الناصر، ولكن لأنه من غير المعقول أخلاقياً وسلوكياً أن يتفوه ضابط بهذا اللفظ على رئيس الجمهورية حتى لو كان بالفعل قد استقر الأمر على عزله.

ورغم كراهيتى لموفق الحموى فأنا أذكر أنه عندما أصيب بأزمة قلبية وتأخر الطبيب على حسن سرور.. أستاذ القلب فى إنقاذه كتبت مقالاً عنوانه «حاكموا هذا الطبيب» عن تقصيره الذى أدى إلى وفاة موفق الحموى!!

● قلت : فى ظل سنوات التوتر والقلق كيف كانت الرقابة ؟

■ قال: كانت الرقابة فى حالة «مد وجذر»، ارتفاع وهبوط، بشكل عام كانت الرقابة تتوقف على شخصية الرقيب العام. فإذا كان الرقيب العام على النشر واسع الأفق، مثقف، مستنير ومرن وحسن التفاهم مع رؤساء التحرير يكون ذلك في صالح الصحافة والنشر وتكون الأمور كلها سلسلة. أما إذا كان الرقيب ذا شخصية متسلطة غير مرنة ويتصور أن كل ما يكتب هو ضد الثورة أو طعن الثورة أو أن الصحفيين يريدون الانقضاض على الثورة والنظام هنا تبدأ المشاكل.

● قلت له : بعد قيام الثورة استمرت الصحف تؤيدها تأييداً كاملا.. ومع ذلك أنشأت الثورة صحفاً خاصة بها مثل «الجمهورية» و«التحرير» بل إنك أحد الذين تولوا مسئولية رئاسة تحرير إحدى مجلاتها وهى التحرير.. لماذا تركت المصور؟ وكيف أصبحت رئيس تحرير مجلة الثورة؟!

■ قال لى: سبق أن قلت لك إننى على صفحات المصور وطوال أربع سنوات كاملة (١٩٤٨ - ١٩٥٢) حولت المصور بالكامل إلى مقالات وتحقيقات عن بطولات حرب فلسطين ثم الأسلحة الفاسدة والقيادات الفاسدة.. بل نشرنا أسماء أبطال حرب فلسطين وكان من بينهم ثوار يوليو أنفسهم فيما بعد.

ولما قامت الثورة انفردنا بنشر قصة ثورة الجيش كاملة من المهد إلى المجد حتى طلب عبد الناصر شخصياً إيقافها.. المهم استمر نفس الحماس الملتهب للثورة فى كل ما كنت أكتبه.

بالطبع كنت أعرف أن أصحاب «دار الهلال» كانوا مرتبطين بصلات صداقة عميقة وحميمة مع أركان النظام السابق الذى غيرته يوليو.

وبدأ الخوف يدخل قلوب أصحاب «دار الهلال» فيما لو فشلت الثورة فماذا سيكون مستقبلهم.. وهم الذين حولوا المصور بالكامل - من خلالى - إلى التمهيد للثورة ثم عندما تحققت أيدناها بغير تحفظ!

وبعد حوالي سنة تقريباً من قيام الثورة أحسست بمناخ دار الهلال يتغير.. بدأ أميل زيدان يمنع لى مقالات بكاملها.. بدأ فكرى أباظة يشطب فقرات كاملة من مقالاتى وكل هذه المقالات عن الثورة وما كان يجرى، وبصفتى مدير تحرير، فقد كنت أنا الذى أختار موضوعات العدد وأكلف المحررين بأفكار الموضوعات، وكان فكرى أباظة يراها بروفات، وأميل زيدان يراها فوق ماكيت العدد نفسه، أى أننى كنت مسئولاً مسئولية كاملة عن المجلة.

فجأة ساد مناخ متحفظ، وطلب أميل زيدان أن يطلع على أفكار الموضوعات قبل تنفيذها، وأن يقرأ مقالاتى قبل نشرها و... و... بل إنه كان يطلب رؤية كل الصور الفوتوغرافية والكلمات التى تكتب مصاحبة لها، وفجأة صرت مجرد «مرسالة» بين المحررين وصاحب الدار، أحمل إليه مقالاتهم وموضوعاتهم ليختار منها مواد المجلة، باختصار شديد تغير خط دار الهلال تجاه الثورة عما كان قبلها.

● قلت: هل كان عبد الناصر على علم بهذه الأشياء؟!

■ قال: نعم، فقد كانت العلاقة مستمرة والصداقة تنمو يوماً بعد يوم، وفاتحته ذات يوم بأننى أفكر فى تقديم استقالتى من دار الهلال لأنى أكاد أختنق داخلها، ولم يعد لى دور فيها فى ظل هذه الفرملة أو التكتيف الذى يتبعه أصحابها معى.

كانت المفاجأة أن عبد الناصر قال لى: إنه لا يريدنى أن أترك المصور الآن، لماذا لا أدرى، المفاجأة الأخرى أن أصحاب دار الهلال علموا بأمر تفكيرى فى الاستقالة، أميل زيدان وفكرى أباظة رئيس التحرير والأستاذ «ألبير أنكونا» مدير

عام دار الهلال علموا بأمر تفكيرى فى الاستقالة، وحاولوا إثنائى عنها إلا أننى تشبعت وامتلأت بفكرة ترك دار الهلال.

● قلت مستفسراً: وماذا كان موقف عبد الناصر هذه المرة؟

■ قال حلمى سلام: أخبرنى وقتها بوجهة نظره فى عدم رغبته فى أن أترك دار الهلال الآن، لأنه لا يعلم على وجه اليقين من الرجل الذى سيتولى مكانى وهل هو شخص موالٍ ومؤيد للثورة أم معادٍ لها؟ فإذا تولى المصور رجل غير مؤيد للثورة فإن هذا قدْ يضطره لأن يضرب ضربته وهو غير مستعد بالمرة الآن لتوجيه ضربة إلى الصحافة.

قلت فجأة: كان ذلك قبل ضرب «المصرى» وإغلاقها إلى الأبد؟

■ قال: نعم قبلها بشهور تقريباً.. المهم أن عبد الناصر قال لى: على أى حال يا حلمى إذا كنت قد امتلأت تماماً من دار الهلال - وقالها بالإنجليزية «Fade Up» ففى هذه الحالة اذهب إلى دار التحرير امسك مجلة التحرير لتصدرها أسبوعية بدلاً من نصف شهرية ولكن اجلس مع نفسك وفكر بهدوء شديد فى الأمر!

وجلست مع نفسى وفكرت فى الأمر جيداً واتخذت القرار، لا مكان لى فى دار الهلال فى ظل خطها الجديد، وفى اليوم التالى أخبرت عبد الناصر بقرارى، وقال لى يومها: «اذهب غداً إلى أنور السادات وبلغه بما تحدثنا فيه ثم تعود ثانية وتبلغنى ماذا جرى بينكما».

كان السادات وقتها هو مدير عام دار التحرير!

● قلت: ماذا قلت لمدير عام الدار أنور السادات؟ وماذا قال لك؟

■ قال: ذهبت إلى السيد أنور السادات فى مكتبه بدار التحرير ورويت له اتفاق عبد الناصر معى بشأن تولى رئاسة تحرير مجلة التحرير وأن أتولى إصدارها أسبوعية، فوجئت بالسادات يبادرنى فى بداية الحديث بقوله: إن مرتبى الذى كنت أتقاضاه من المصور كبير وأن هذا سوف يسبب له Troubles متاعب مالية مع الآخرين وأذكر أننى قلت له: أنا لا أدرى أن مرتبى - وكان ١٧٥ جنيهاً فى الشهر - كبيراً بالدرجة التى تتصورها. ثم إننى وصلت إلى هذا المرتب

بجهدى وكفاءتى الصحفية فى دار الهلال، ولا تنس أن منطق صاحب رأس المال لن يعطينى هذا المبلغ إلا إذا كان جهدى يساوى أربعة أضعاف هذا المبلغ.

وعندما لاحظ المرحوم السادات نبرة غضب فى كلامى، قال محاولاً تخفيف حدة غضبى: على أى حال ياحلمى مش هنختلف حوالين الفلوس!

فى نفس اليوم وعقب مقابلتى للسادات ذهبت فى الحال إلى عبد الناصر ورويت له ما جرى بالكامل ولاحظت أن عبد الناصر غضب عندما رويت له عما قاله لى السادات بشأن مرتبى، ولا أنسى عبارة قالها: هو هيدفعلك حاجة من جيبه؟!

وبحكم معرفتى بطبيعة عبد الناصر، أدركت أنه لن يترك هذه المسألة تمر هكذا، وما حدث بعد ذلك أكد لى أن عبد الناصر تحدث مع السادات بشأن هذه المسألة، لسبب بسيط للغاية هو أن السادات تغير جداً من ناحيتى بعد ذلك، لأنه ربما تصور أننى ذهبت لأشكوه لعبد الناصر من تلقاء نفسى ولم يكن يعلم أن ذهابى كان بناء على طلب عبد الناصر نفسه لأخبره بما جرى مع السادات بشأن العمل لا بشأن المرتب! وحملها السادات فى نفسه.

● **عدت لأقول له: هل كان صراع الكواليس يظهر أحياناً على صفحات «التحرير» مجلة الثورة؟**

■ قال: بعد أن تسلمت العمل بالفعل فى مجلة «التحرير» حدثت أزمة طريفة، كان المرحوم صلاح سالم قد عاد من جولة فى لبنان وسوريا والعراق، كان وقتها يتولى منصب وزير الإرشاد، وكنت أسميه وزير دعاية صلاح سالم وليس وزير دعاية الثورة، المهم أن المرحوم صلاح سالم أرسل لى ٣٨ صورة فوتوغرافية له فى هذه الرحلة، وطلب نشرها بالكامل فى المجلة. تصورت فى البداية أن صلاح سالم يمزح، لأن المنطق السياسى والصحفى كان يرفض ذلك ببساطة، وأن نشر هذه الصور بالكامل فسيكون ذلك مثار سخرية الناس، لأن معناه أنه عدد خاص عن صلاح سلام ورحلته، كما أن القارىء نفسه لا يتحمل هذه الجرعة من الصور!

● **قلت مبتسماً: هل رفضت نشر الصور مثلاً؟**

■ قال: ما حدث أننى اخترت مجموعة من هذه الصور، أعتقد أنهم كانوا عشر صور منها، اخترت واحدة لتكون غلاف «التحرير» والباقى داخل المجلة فى حوالى أربع صفحات بالإضافة إلى مقال كتبته عن هذه الرحلة.

وصدرت المجلة بهذا الشكل، وفوجئت بالسماء تنطبق على الأرض، ففى مساء ذلك اليوم كان هناك اجتماع لمجلس قيادة الثورة برئاسة جمال عبد الناصر، وكان صلاح سالم أحد الحاضرين وفوجىء به أعضاء المجلس يقول بعنف ويغضب: أنا عندى موضوع واحد سوف أتكلم فيه! تكهرب الجو بالطبع وتصوروا أن هناك كارثة سياسية مثلاً.. وما لبث أن سأل عبد الناصر: موضوع إيه ياصلاح؟

وسأله عبد الناصر: ما الحكاية بالضبط، فأكد له صلاح سالم إننى أحاربه وسأله عبد الناصر كيف يحاربك حلمى سلام؟ فقال له: أرسلت له ٣٨ صورة فوتوغرافية عن رحلتى لينشرها لى فلم ينشر سوى عشر فقط، بماذا تسمى تصرفه هذا سوى أنه حرب تجاهى!

ابتسم عبد الناصر وجذب نفساً عميقاً من سيجارته وقال له: ياصلاح ده لو بيحاربك زى ما بتقول كان عمل فيك مقلب ونشرها كلها.

وفشل عبد الناصر فى تهدئة صلاح سالم الذى هدد عبد الناصر قائلا: إذا لم تفصل حلمى سلام من التحرير سأستقيل من مجلس قيادة الثورة الآن؟!

● قلت بدهشة: هل تجاهل عبد الناصر تهديد صلاح سالم أم رضخ له؟

■ قال حلمى سلام: فى ذلك الوقت بالضبط كان صلاح سالم يتمتع بشعبية كبيرة لهذا كله انحنى عبد الناصر لعاصفة صلاح سالم بعد أن فشل تماماً فى تهدئته. رغم أنه كان مقتنعاً بما فعلته صحفياً، ولكن هذه إحدى صفات عبد الناصر الانحناء للعاصفة إلى أن يختار هو الوقت المناسب ليضرب ضربته، وطلب منى أن أبقى فى اجازة مفتوحة حتى يهدأ صلاح سلام، وأن يتولي رئاسة التحرير بعدى «سامى داود».

وطلب جمال عبد الناصر من السادات أن يبلغنى بنفسه بقرار الأجازة المفتوحة حتى يخفف عنى وقعه ويشرح لى ملابسات القرار.. ولكن ما حدث كان

شيئاً مختلفاً، فلم يتكرم بإبلاغى هذا القرار كما طلب منه عبد الناصر، بل كلف سكرتيره اليوزباشى «حسن نايل» - صار سفيراً لنا فى لاهاى - بإبلاغى قرار الأجازة المفتوحة، إن حسن نايل - وهو مازال حياً ويملك الرد على هذه الواقعة - قال لى تليفونياً جناب البكباشى أنور السادات بيطلب منك آن تلزم بيتك فى أجازة مفتوحة لأن سامى داود حيتولى المجلة بدلاً منك!

● قلت لحلمى سلام: هل كنت تعرف أسباباً لذلك القرار المفاجىء؟!

■ قال: حتى تلك اللحظة التى أخبرنى فيها بالقرار لم أكن أعرف على وجه التحديد أسباب هذا القرار؟! فكان من الطبيعى أن أسأل لماذا؟ وأذكر أننى ذهبت لزيارة عبد الحكيم عامر ورويت له كيف أبلغنى حسن نايل بالقرار، وفجأة انتفض عبد الحكيم عامر وقال: سكرتير أنور السادات هو الذى أبلغك بالقرار وليس السادات؟! قلت: نعم ولكن لماذا؟ فقال: لقد كان اتفاق عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة أن يبلغك السادات بنفسه! وأثناء ذلك الحوار جاء السادات وحيانا، بادلته التحية، وسكت عبد الحكيم وانفجر فى السادات قائلاً: إزاى تسيب حسن نايل يبلغ حلمى.. ألم يكن اتفاقنا أن تبلغه أنت؟!

ابتسم السادات وقال لعبد الحكيم عامر أنت ثائر دلوقتى وهاسيبك لغاية ما تهدى! وكان من الطبيعى أيضاً أن يتصور السادات أننى شكوته لعبد الحكيم عامر مثلماً تصور أننى شكوته لعبد الناصر فحملها فى نفسه أيضاً!

● ومن أين هذا التصور للرئيس السادات؟

■ قال: كان السادات يعتبرنى - وهذا حقيقة - قريباً من عبد الناصر وعبد الحكيم بدرجة كبيرة جداً، سواء قبل الثورة أو بعدها، وتأكد له ذلك عندما كنت أجلس معهما ليرويا لى أسرار الثورة والتى نشرتها فى المصور، وعندما لم يكن يمر أسبوع دون أن يزورنى عبد الناصر أو عبد الحكيم فى بيتى، ومن هنا أحس السادات أن طريقى إليهما مفتوح دائماً، فتصور أننى شكوته لهما.

والغريب فى الأمر أن علاقتى بأنور السادات قبل الثورة كانت أفضل بكثير منها بعد الثورة.

وربما كان أكثر ما آلمنى من السادات، مثلاً أنه فى أوائل الثورة أجرت مجلة «الجيل الجديد» - وكانت تصدر عن دار أخبار اليوم - حديثاً معه قال فيه للمحررة خيرية خيرى: إنه عندما خرج من السجن وجد أن «القصر» هيأ له عملاً فى دار الهلال، أنا صدمت من هذا الكلام لأنه يعلم دورى فى تعيينه بمجلة المصور وقبلها اقتراحى عليه أن يكتب مذكراته لنشرها، وفعلاً نشرت.

● **قلت : ماذا فعلت خلال تلك الفترة؟ هل اتصلت بعبد الناصر؟ هل حاولت أن تعرف ماذا جرى بشأنك فى الكواليس؟**

■ قال: ظللت فى هذه الأجازة حوالى ١٤ شهراً، شغلت نفسى فيها بالقراءة، وأعددت المقالات التى سبق أن نشرتها قبل الثورة عن الجيش، وحرب فلسطين، وتحقيقات الأسلحة وصدرت فى كتاب اسمه «دقات الأجراس» كتب مقدمته الكاتب الكبير فتحى رضوان.

وذهبت إلى جمال عبد الناصر أزوره ومعى نسخة من كتابى لأهديها له، وأخذ عبد الناصر يقلب صفحات الكتاب وسألنى: ماذا تفعل هذه الأيام؟ فقلت له: قمت بتجميع المقالات التى كتبتها قبل الثورة وطبعتها فى هذا الكتاب.. وأقتل الوقت بالقراءة!

أعاد عبد الناصر تقليب صفحات الكتاب حتى وصل إلى مقال «فلنحنى رؤوسنا لجيش مصر إجلالاً» والذى ذكرت فيه اسمه لأول مرة بوصفه واحداً من أبطال حرب فلسطين، وتنهد تنهيدة عميقة وقال: كانت أيام ياعم حلمى!

ثم عاد ليقول لى ببشاشته المعهودة ما تتضايقش ياحلمى، الأيام بتحل حاجات كتير قوى! بتحل حتى محمد نجيب.

● **قلت : فى تلك الأيام كانت أزمة مارس ١٩٥٤ على الأبواب، وانتهت الأزمة بخروج محمد نجيب وبروز جمال عبد الناصر.. وكنت قريباً من عبد الناصر.. كيف بدأ التمهيد لإبعاد نجيب؟! وقد روى البغدادى فى مذكراته (ص ٨٠) أنه خلال صيف ١٩٥٣ كانت مظاهر الخلاف بين محمد نجيب**

وجمال عبد الناصر قد بدأت تظهر على السطح وذلك على أثر إبراز بعض الصحف المصرية لجمال عبد الناصر على أنه هو الرجل القوى فى مجلس قيادة الثورة وجمال نفسه كان يحاول إبراز هذه الصورة!!

كيف أحسست ببوادر التمهيد لإبعاد نجيب عن الثورة؟!

■ قال لى حلمى سلام: كان قد مر حوالى عام على قيام الثورة، وذات يوم دعانى المرحوم صلاح سالم إلى تناول طعام الغداء معه فى مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة، وبعد تناول الطعام قال لى صلاح سالم: أريد منك أن تقطع علاقتك بمحمد نجيب.

وشرحت له أن علاقتى بمحمد نجيب هى علاقة صداقة قوية وليست علاقة مع رجل يمتلك نفوذاً أو سلطة لأنى أعلم علم اليقين أن أعضاء مجلس قيادة الثورة يملكون من أمر محمد نجيب أكثر مما يملك هو من أمر نفسه، وأن الذى يحكم مصر ليس محمد نجيب ولكن جمال عبد الناصر.

وعدت لأقول له: لو أن محمد نجيب فى المركز الأقوى وطلب منى الابتعاد عنكم وقطع علاقتى بكم واستجبت فماذا سيكون حكمك علىّ وقتها؟!

ورد صلاح سالم غاضباً بعد أن خبط المائدة بقبضة يده: أنا ما أعرفش فى المثل العليا.. فقلت له: ولكنى أعرفها! فقال بغضب: خلاص اعتبر الموضوع منتهى!

بالطبع نقل صلاح سالم ما جرى لعبد الناصر، وربما كان عبد الناصر هو الذى كلفه بذلك، أما بالنسبة لى فقد كنت متلزماً الحياد بين الرجلين محمد نجيب قائد الثورة وعبد الناصر صانع الثورة الحقيقى ومنفذها.

● قلت لحلمى سلام: سبق أن قال هيكل: إن الأقرب لعبد الناصر كان أحمد أبو الفتح، إحسان عبد القدوس، حلمى سلام؟ لماذا ابتعدتم؟! وانفرد هو بالقمة؟

■ قال: لعلك تعرف أنه بعد الثورة بيومين فقط اعتقلت الثورة مصطفى وعلى أمين ووضعا فى الكلية الحربية مع رجال العهد البائد، وأذاعت القيادة العامة

للقوات المسلحة بياناً جاء فيه: إن الأستاذين مصطفى وعلى أمين على اتصال بأفراد يهدفون إلى هدم حركتنا الوطنية المباركة، ولم يسعنا فى هذه الظروف الدقيقة التى نجتازها سوى اعتقالهما، المهم أن مصطفى أمين وعلى أمين عرفا أين مكانهما من الثورة أو بدقة عرفا رأى الثورة فيهما، لكن كان لابد أن تكون هناك جسور بين أخبار اليوم وبين الثورة، بذكاء شديد وخارق دفع مصطفى أمين بهيكل إلى الصورة باعتباره صحفياً لا غبار عليه عند هؤلاء الثوار.

● **قلت: وقتها الأستاذ هيكل رئيسا لتحرير آخر ساعة؟**

■ قال: نعم، ومع ذلك أفرد مصطفى أمين لهيكل صفحات الأخبار اليومية ليكتب فيها، وكانت جريدة المصرى المنافسة للأخبار قد اختفت بعد محاكمة أسرة أبو الفتح، فتحول قراؤها بالكامل إلى الأخبار ويندفع هيكل بالكامل فى تأييد جمال عبد الناصر - أثناء أزمة مارس - ولا أحد يختلف حول ذكاء هيكل الوهاد. ومنذ اللحظة الأولى راهن هيكل أن الجواد الرابح فى أزمة مارس هو عبد الناصر، وكتب مؤيدا عبد الناصر. وهنا نقطة المفاضلة بينى وبين هيكل، فقد التزمت من جانبى الحياد فى أزمة مارس، بينما أيد هيكل عبد الناصر بغير حدود، ومن هنا كانت البذور الأولى لثقة عبد الناصر فى هيكل.

فى نفس الوقت اختلف موقف باقى الصحفيين والكتاب، قبل ذلك كان أحمد أبو الفتح على صفحات المصرى قبل إغلاقها قد كتب سلسلة مقالات «إلى أين؟» و«قوانين قوانين».. وقد حدد بهذه المقالات موقفه من الثورة، وللحقيقة فقد فوجىء عبد الناصر بمقالات أحمد أبو الفتح، وحددت الثورة موقفها منه بمحاكمة المصرى وإغلاقها ومصادرة أمواله.

أما إحسان عبد القدوس فكتب على صفحات روزاليوسف أخطر مقالاته «العصابة السرية التى تحكم مصر من تحت الأرض» كان ذلك المقال مؤشراً خطيراً لعبد الناصر باعتبار أن إحسان عبد القدوس له دور وطنى مشهود قبل الثورة.

وقيل إن عبد الناصر أعطى الصحافة حريتها فى تلك الفترة كى يتعرف على من معه ومن ضده من أصحاب الأقلام.

ومن هنا يمكن اعتبار أن أزمة مارس كانت نهاية عصر الصحافة الليبرالية، فقد اقتنع عبد الناصر بعدها وكذلك معه أعضاء مجلس قيادة الثورة أن المسألة لا ينبغى أن تمر هكذا.

● **قلت لحلمى سلام: بعد أزمة مارس مباشرة كان قد صدر كتاب «فلسفة الثورة» الذى كتبه عبد الناصر، والآن نعرف من كتابات هيكل أنه هو الذى كتبه؟ ماذا تقول؟!**

■ قال: كان عبد الناصر قارئاً ممتازاً وكان عقله وذهنه يموج بعشرات الأفكار التى تحتاج لمن يعيد صياغتها، ولا أحد يختلف على براعة هيكل وذكائه، وزادت أزمة مارس من اقترابه بعبد الناصر بينما ابتعد الآخرون وغابوا عن الصورة بشكل ما، واستطاع هيكل أن يحول هذه الأفكار والخواطر إلى كتاب هو «فلسفة الثورة».

● **قلت: وماذا عن مشوارك الصحفى بعد ذلك؟ ماذا بعد الاجازة الصحفية المفتوحة؟**

■ قال: فى منتصف عام ١٩٥٦، وكان قد مضى حوالى ١٤ شهراً على الأجازة المفتوحة التى منحها لى جمال عبد الناصر، عندما أصر المرحوم صلاح سالم على تنحيتى من رئاسة تحرير مجلة التحرير بعد أزمة نشر الصور الخاصة برحلته، اتصل بى السيد عبد اللطيف البغدادى، وهو صديق قديم ومن أوائل الضباط الأحرار الذين تعرفت عليهم فى عام ١٩٤٩، وعبر المكالمة التليفونية أبلغنى عبد اللطيف البغدادى أن صلاح سالم ينتظرنى غداً فى مكتبه بوزارة الإرشاد القومى.

علمت بعد ذلك أن البغدادى تدخل لإنهاء تلك الخلافات وسوء الفهم بين صلاح سالم وبينى والذى تصور بمقتضاه إننى أحاربه بإيعاز من عبد الناصر، وذهبت إلى صلاح سالم فى مكتبه، وفى لحظة واحدة رأيت الجانب الإنسانى والعاطفى فى صلاح سالم، أخذنى بالأحضان وعانقنى وبكى.. حاولت أن أفتح معه موضوع الخلاف القديم فقال بمودة ومحبة.. خلاص بقى مفيش داعى تحسسنى بالذنب بتاعى ناحيتك، هكذا كان صلاح سالم إنساناً عاطفياً لأبعد الحدود، وكان من

أبرز مشاعره أنه يتحول فى مشاعره من أقصى اليمين لأقصى اليسار، مثلاً يقابل أحد الموظفين فيشكو له كيف أن مرتبه بسيط ويعول ستة أولاد، فيأمر له بعلاوة خمسين جنيهاً، وفى اليوم التالى تجده رفت هذا الموظف وليس هناك منطق فى الحالتين: العلاوة المفاجئة أو الرفت المفاجىء!

المهم فاتحنى صلاح سالم فى هذا اليوم أن اتولى رئاسة تحرير مجلة «الإذاعة» التى كانت تتبع فى ملكيتها وزير الإرشاد وكان بدوره هو رئيس مجلس الإذاعة الأعلى، وقلت لصلاح سالم: اعطني مهلة أفكر فى هذه المسألة. كان هدفى الحقيقى هو الرجوع لجمال عبد الناصر.

فقد كانت العلاقات ممتدة والجسور التى بيننا لم تنسف بعد، ولكن صلاح سالم حسم العرض قائلاً: لا.. لا.. الحكاية مش عاوزة تفكير أنا عاوز أستفيد من توزيع المجلة الضخم - ١٦٠ ألف نسخة أسبوعياً - ونحولها إلى مجلة عامة لا تكون مقصورة فقط على نشر برامج الإذاعة، وأن تكون البرامج جزءاً من صفحات المجلة.

● **قلت: وكيف كان شكل مجلة «الإذاعة» فى تلك الفترة؟**

■ قال: كانت صفحاتها مقصورة على نشر برامج الإذاعة بالكامل والأخبار التى تدور فى كواليس الإذاعة فقط، وكان الجمهور يقبل عليها إقبالاً رهيباً لأن الجرائد اليومية مثل الأهرام والأخبار والجمهورية كانت لا تنشر هذه البرامج بحكم قانون يحظر نشرها إلا على هذه المجلة وبالتالى لم يكن أمام الجمهور فرصة لمعرفة البرامج والتمثيليات والأغانى إلا إذا اشتروا مجلة الإذاعة.. وطلبت منه إعطائى مهلة للتفكير ووافق الرجل، وقال: وأريد موافقتك فى أقرب وقت.

وبالفعل تحدثت مع عبد الناصر فى هذا الأمر وحكيت له كل ما جرى بين صلاح سالم وبينى وقال لى: على خيرة الله، ولما قلت له إننى متخوف من تجربة العمل مرة أخرى مع صلاح سالم، سألنى عن أسباب تخوفى، فقلت له: النهاردة صلاح سالم يأخذنى بالأحضان ويطلب منى أن أصبح رئيس تحرير مجلة، وبكره قد يطالبك بقطع رقبتى!

ضحك عبد الناصر وقال ببساطته الآسرة للقلب والعقل: شوف بقى ياحلمى أنت مفيش قدامك فرصة أنك ترفض عرض صلاح سلام، لأنك إذا رفضت سوف

يتصور على الفور إننى وراء هذا الرفض، ولا تنس أنه فى المعركة الأولى الخاصة بمجلة التحرير تصور أنك تحاربه لحسابى شخصياً، وإننى لو لم أكن أشجعك على هذه المواقف لما كنت تستطيع أن تتخذها، وبالفعل بدأت العمل معه!

● **قلت له : كم تقاضيت مرتباً ؟**

■ قال: بنفس مرتبى القديم وهو ١٧٥ جنيهاً وبعد شهور قليلة رفعه صلاح سالم إلى ٢٥٠ جنيهاً شهرياً.

● **قلت : هل زادت حدة الرقابة أم كان هناك شىء من التساهل، وخاصة أن مجلة الإذاعة كانت ذات طابع فنى خفيف ؟**

■ قال لى: فى تلك الفترة كان المسئول عن الرقابة هو «حسن صبرى الخولى» الذى صار فيما بعد الممثل الشخصى لجمال عبد الناصر، وكان - رحمه الله - رجلاً دمث الأخلاق، هادىء الطبع، واسع الأفق، على درجة عالية من الثقافة، وكان دائم التردد على رؤساء التحرير بشكل دورى، وكانت فترة وجوده فى هذا المنصب من أحسن الفترات رقابياً، أذكر اننى كتبت مقالاً عنوانه «ضاع قلمى» لنشره فى مجلة الإذاعة.. كان المقال يروى قصة حقيقية عن قلمى الذى فقدته فى أحد الأيام وكان قلماً عزيزاً وغالياً لأننى أحتفظ به منذ عشرين عاماً، المهم أن رقيب دار الهلال حيث كنا نطبع وقتها هناك قرأ المقال واعترض على نشره، وتصور اننى أنعى ضياع قلمى من الناحية المعنوية بسبب الكبت والرقابة وغياب الحرية.. و... و... وقررت عدم طبع المجلة بغير هذا المقال، وأحس الرقيب بمدى الورطة، وظل الوضع متوتر حتى الساعة ١٢ ظهراً إلى أن جاء حسن صبرى الخولى وكان قادماً من اجتماع مع عبد الناصر وعلم بالمشكلة فقال لى بهدوء شديد: أنا أثق فى صدقك.. فهل ضاع قلمك حقيقة أم تقصد شيئاً آخر؟

وقلت: بشرفى إن قلمى ضاع.. وما كتبته هو رثاء لهذا القلم الذى لم يفارقنى طيلة ٢٠ سنة.

قال حسنى صبرى الخولى للرقيب المقيم فى دار الهلال: ينشر المقال كاملا!

وكما سبق أن قلت إن شخصية الرقيب العام كنت تلعب دوراً كبيراً فى مدى تقديره للمساحة المتاحة من النشر أو عدمه.

● عدت لأقول: هل كان عبد الناصر حتى تلك الفترة مهتماً بما تكتبه الصحافة؟ هل كان يبدى ملاحظات على ما ينشر ويثير غضبه أو ينال إعجابه؟

■ قال: عندما كنت رئيساً لتحرير مجلة «الإذاعة» (١٩٥٦ - ١٩٦٢) كنت أكتب بها باباً أسبوعياً اسمه «ألوان» - صدرت مقالاته فى كتاب بنفس الاسم فيما بعد - كان شعار هذا الباب بضع كلمات تقول: «فى ميدان القلم لا تستطيع أن تكون إلا واحداً من اثنين.. فإما أن تقول الحق فيحترمك قلمك ويكرهك بعض الناس.. وإما أن تقول الباطل فيحتقرك قلمك ويكرهك كل الناس».

واستمر شعار الباب لفترة طويلة جداً، وذات يوم اتصل بى الدكتور عبد القادر حاتم وكان وقتها مدير مصلحة الاستعلامات وقال لى: سيادة الرئيس يطلب منك أن تشيل شعار باب «ألوان» أذكر اننى سألته مندهشاً: ليه يادكتور حاتم؟ وقال لى بهدوء شديد: أنت عارف إن سيادة الرئيس ما بيقولش ليه، إنما هو قال: كلم حلمى سلام.. وقول له يشيل هذا الكلام!

● قلت لحلمي سلام: وهل تتصور حدوث ذلك؟

■ قال بدهشة: أنا نفسى أتساءل.. هل جمال عبد الناصر طلب ذلك بالفعل؟ ربما!! هل قيل ذلك الكلام على لسانه دون أن تكون للرجل يد فيه؟ ممكن جداً فقد كانت هناك أشياء كثيرة تحدث دون علمه على الإطلاق!

● قلت: في اللحظة التاريخية التي أعلنت فيها الوحدة بين مصر وسوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨.. وكان ذلك في دمشق..

■ قال: في تلك الفترة وكنت أيضاً عضواً بمجلس نقابة الصحفيين.. قررنا عمل اجتماع لمجلس النقابة المنتخب (مصر وسوريا) فى دمشق تأكيداً لهذه الوحدة. كان النقيب وقتها حسين فهمى، وسافر معنا إلى سوريا السيدة أمينة السعيد والأستاذ عبد المنعم الصاوى.

● قلت: هل شاهدت أو حضرت جلسات المباحثات؟

■ قال: لا.. فقد كانت المباحثات مقصورة على القيادات السياسية بين البلدين، وأذكر أن مصطفى أمين بذكائه المعهود وقدراته الصحفية الكبيرة حاول أن يحضر هذه الاجتماعات دون أن تكون لديه دعوة حضور، وأخرجه عبد الناصر!

وأذكر أنني كتبت في مجلة الإذاعة بعض الانطباعات، وربما أكون قد نجحت في التلميح إلى ما هو موجود تحت الرماد.. ولكن توالت الأخطاء من الجانبين، وتوالت الأخطاء من جانب رجال عبد الحكيم عامر للأسف الشديد.

● قلت: حتى تلك الفترة كان عبد الناصر قد بدأ في اختيار بعض المقربين منه ليشغلوا منصب مديري مكتبه؟ كيف كانت العلاقة معهم؟

■ قال: كانوا يعرفون على الأقل طبيعة علاقتي بجمال عبد الناصر، فلم تحدث مضايقات أو احتكاكات مع أي منهم! وأنا لم أعاصر أو أتعامل بشكل مباشر إلا مع اثنين بالتحديد هما «أمين شاكر» و«على صبري» وكان هذا في الخمسينيات، وعلى صبري كان واحداً من الضباط الأحرار البارزين في القوات الجوية، وأذكر أنني سمعت باسمه لأول مرة في أوائل عام ١٩٥٢ حينما كنت أنشر في المصور سلسلة تحقيقات عن الفساد في الجيش وكان عبد اللطيف البغدادي أحد الذين يمدونني بمعلومات هذه التحقيقات. ولاحظت أن هناك عربة سوداء ترابط أمام منزلي وتراقبني مراقبة شديدة، وأبديت هذه الملحوظة لعبد اللطيف البغدادي فقال لي مفيش داعي للقلق، دي عربية تتبع على صبري قائد المخابرات في الطيران وهو واحد منا!

وعندما أصبح على صبري مديراً لمكتب عبد الناصر للشئون السياسية فإن عبد الناصر أصدر إليه ما يشبه التعليمات أن أي شيء أريد أن أطلع عليه يسمح به، وهو نفس الشيء الذي تم تطبيقه بالنسبة للأستاذ هيكل فيما بعد.

أما بالنسبة لأمين شاكر فكانت علاقتي به حميمة للغاية، وهو شاب ذكي وفي قمة الإخلاص لعبد الناصر، وكان عبد الناصر يحبه حباً شديداً.

وعندما كان أمين شاكر مديراً لمكتب عبد الناصر ونتيجة لهذه الثقة المطلقة فيه، فكر عبد الناصر في إنشاء مجلة أسبوعية على غرار مجلة «شاينا توداي» (الصين اليوم) ويتولي رئاسة تحريرها أمين شاكر، وهدف المجلة هو الدعاية لإنجازات الثورة بشكل صحفي.

كانت هذه المجلة هى «بناء الوطن» واستمرت تصدر لسنوات طويلة، وقد حشد لها كبار الأسماء الصحفية اللامعة، وكانت تطبع فى دار الهلال، وكانت تحقق خسائر كبيرة، وبسبب مشاكلها الكثيرة مع إدارة الهلال ولدت فكرة تأميم الصحافة!

■■

كان وضع الصحافة المصرية قبل صدور قرار تنظيم الصحافة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ كما يلى: أخبار اليوم يملكها الإخوان على ومصطفى أمين.. دار الهلال ويملكها آل زيدان.. روزاليوسف ويملكها إحسان عبد القدوس.. الأهرام ويملكها آل تقلا.. ورغم تأييد الصحافة لقرارات الثورة. كان لعبد الناصر رأى آخر فى وضع الصحافة والمجتمع يتجه نحو الاشتراكية.

على مقهى إحسان عبد القدوس الصحفى الكبير أتوقف وأجلس قليلاً أقرأ شهادته حول تأميم الصحافة.. فى مذكراته التى كتبتها الزميلة نعم الباز فى آخر ساعة.. قال:

«فى إبريل ١٩٥٨ ماتت أمي، وتصدعت كل أحلامي وأحسست تماماً بأنني منهار، وبدأت أفكر فى تأميم الصحافة كعملية إنقاذ لدار روزاليوسف، وخصوصاً أن هذا الحل كان لايمكن تنفيذه فى حياة أمى.. كان لايمكن أن تترك المجلة أبدا للحكومة. فقد كانت هى أسرتها وهى منزلها.. وكنت كلما كتبت قصة أبيعها وأضع ثمنها فى روز اليوسف، ثم أسست شركة بينى وبين أختى وزوجها كى نبنى داراً للطباعة.. وكل هذا ولا فائدة.. وكتبت مقالا قلت فيه: لماذا لا تؤمم الصحافة.. وقد أممنا كل شئ تقريبا! ولجأت إلى هذا بعد أن أرهقتنى الرقابة أيضا.

وقلت أيضا فى المقال: إن الصحافة حين تؤمم تصبح تابعة للحزب الحاكم وهو الاتحاد الاشتراكى.

وقرأ عبد الناصر المقال فى أبريل ١٩٦٠ وأخذ منه أربعة سطور بالنص وأصدر بها قانون تنظيم الصحافة فى مايو ١٩٦٠، واتصل بى عبد القادر حاتم فى ذلك الوقت وكان على علاقة صداقة بى لأنه كان يعمل قبل الثورة فى

روزاليوسف وقال: الرئيس أخذ من مقالك وأمم الصحافة وأنت حتكون رئيس إدارة روز اليوسف.

وكنت رئيس مجلس الإدارة الوحيد الذى عين من أصحاب الصحف التى دخلت فى قرار التأميم وأنا أعتبر أن روزاليوسف هى الوحيدة التى استفادت من تأميم الصحافة فى مصر كلها.. ولولا التأميم كانت روزاليوسف أفلست..»

وأصل إلى شاهد الشهود، محمد حسنين هيكل، وفى كتابه «بين الصحافة والسياسة» تقول شهادة هيكل فى فصل جعل عنوانه «تنظيم الصحافة.. وقصة» كانت بيننا مناقشات طويلة امتدت من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦٠ حول ملكية الصحافة فى مصر، لم يكن راضيا عن الملكية الفردية أو العائلية للصحف، وكنت أرى غير رأيه وأناقشه مطولا ومفصلا، وفى بعض الأحيان كنت أستطيع أن أفهمه ولكنى لم أكن أتصور فى نفس الوقت أن تتحول الصحف من ملكية الأفراد أو العائلات إلى ملكية الدولة، فقد بدت لى تلك كارثة الكوارث، ولم يكن هناك حل وسط .

وأعتقد بأمانة إننى وقفت فى الفترة مابين سنة ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ وحدى تقريبا فى محاولة الدفاع عن «الواقع الراهن فى الصحافة» حتى لو أدى الأمر إلى بقاء ملكية الأفراد والعائلات.. فقد بدا لى ذلك أهون الضررين وأخف الشرين. وكان للثورة وقائدها والتنظيم السياسى ورجاله رأى آخر.. ثم جاءت ظروف وتحولات.

دعانى جمال عبد الناصر إلى بيته وجلسنا معا لواحدة من أصعب مقابلاتنا. قال لى إنه مهما كانت آرائى فى موضوع الصحافة فهو الآن واصل إلى اقتناع كامل بأنه لايستطيع أن يترك الأمور كما هى. واستدرك يقول: لاتتصور أننى أريد أن أتخلص من أحد، لو أردت أن أتخلص من أحد فأنت تعرف أن لدى من الشجاعة ومن السلطة ما يسمح لى بأن أقول له أذهب إلى بيتك، ثم أنك ترى أن الكل يتسابق إلى التأييد أحيانا بأكثر مما أريد.. لكن القضية أكبر من ذلك.

ثم استطرد: إننا مقبلون على تحولات اجتماعية كبيرة، وقد بدأت هذه التحولات بتأميم البنك الأهلى وبنك مصر، إذا كنا نريد حقا تنفيذ خطة للتنمية وإذا كنا نريد إجراء تحولات اجتماعية عميقة فى مصر فلا بديل عن سيطرة

المجتمع على وسائل المال والإنتاج، ولاأستطيع عقلا ولاعدلا أن أفرض سيطرة المجتمع على الاقتصاد ثم أترك لمجموعة من الأفراد أن يسيطروا على الإعلام. إنهم لايسيطرون الآن عمليا لأن الثورة قوية وذلك مجرد خوف، وأنا لا أثق فى خائف خصوصا إذا تغيرت الظروف، ثم أن المرحلة الجديدة من التحول الاجتماعي تحتاج إلى تعبئة شاملة، وأعرف أن الموجودين الآن سوف يصفقون لأى قرار لكن المطلوب شئ أخر غير التصفيق!

● وقلت : إن خشيتى فى الواقع على المهنة !

■ وكان رده: فكر فى أية ضمانات تريدها للمهنة، ولنلتق هنا غداً فى الحادية عشرة صباحا، وسوف يكون معنا محمد فهمى السيد (المستشار القانونى للرئاسة وقتها). وفى اليوم التالي حاولت بكل ما أستطيع، وربحت بعض النقط وخسرت بعضها الأخر.

ربحت فيما أظن.. عندما استطعت أن أستبعد منطق التأميم بحدوده القاطعة ووصلنا إلى صيغة أخرى تسمح بمرونة وهكذا كان «تنظيم الصحافة» وليس «تأميمها».

وحاولت أن أجعل الملكية مشتركة بين التنظيم السياسى وبين جمعية العاملين في كل دار صحفية ٥٠٪ لكل فريق، ولم يقبل عبد الناصر وخرج باقتراح وسط، وهو انتقال الملكية إلى التنظيم السياسى وليس إلى الدولة واحتفاظ كل صحيفة بأرباحها داخلها ثم توزيع هذه الأرباح مناصفة: نصف للتجديد والإحلال في دور الصحف، ونصف لجمعية العاملين فى كل دار صحفية. واعترضت على المذكرة التفصيلية للقانون، وأشهد أن جمال عبد الناصر كان صبورا فقد قال لى:

«دعك من مذكرة فهمي واكتب أنت واحدة غيرها» .

وكتبت مذكرة كانت فى الواقع إعلانا بتأكيد حرية الصحافة أكثر منها مذكرة تفسيرية لنصوص القانون الذى صدر فعلا يوم ٢٤ مايو ١٩٦٠..»

وانتهت شهادة محمد حسنين هيكل.

■■

وتبقى شهادة الصحفى الكبير الأستاذ حلمى سلام .

● قلت: فى ذلك الوقت كنت تشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الإذاعة» ماقصة قرار التنظيم؟!

■ قال حلمى سلام: عندما صدر قرار تنظيم الصحافة فى ٢٤مايو ١٩٦٠ كنت فى ذلك الوقت رئيس تحرير مجلة الإذاعة، وأعترف أننى فوجئت بهذا القرار وعلمت به كأى مواطن عادى تماماً.

وفى ذلك الوقت قيلت أسباب كثيرة حول تنظيم الصحافة.

لكن أنا أتصور أن هناك حادثة وقعت قبل ذلك بفترة كانت وراء هذا القرار.. فى تلك الأيام كانت الثورة تصدر ضمن المجلات التى تصدرها مجلة «بناء الوطن» كان رئيس تحريرها أمين شاكر مدير مكتب جمال عبد الناصر فى نفس الوقت. كانت المجلة تطبع فى مؤسسة دار الهلال. وتراكمت عليها ديون الطبع لدى المؤسسة حتى وصلت إلى عشرة آلاف جنيه (بعملة هذه الأيام حوالى مائة ألف جنيه).

وفجأة أصدر الأستاذ المرحوم «أميل زيدان» أحد أصحاب دار الهلال أوامره إلى المطبعة بألاتتسلم أصول المواد والمقالات الخاصة بمجلة «بناء الوطن» إلا بعد أن تسدد المجلة ديونها وقدرها عشرة آلاف جنيه.

وبالفعل عندما حضر رئيس التحرير «أمين شاكر» ليسلم المطبعة مواد العدد الجديد، فوجئ بامتناع المطبعة عن تسلم هذه المواد تنفيذاً لقرارا أميل زيدان. وقيل له يومها: أوامر أميل بيه عدم طبع المجلة إلا بعد تسديد الديون!

عاد أمين شاكر وأخبر عبد الناصر بموقف أميل زيدان فطلب منه أن يحرر له شيكا بخمسة آلاف جنيه ويواصل طبع المجلة.

عاد أمين شاكر إلى مكتبه وحرر شيكا بخمسة آلاف جنيه وأرسله إلى أميل زيدان حتى لا تتعطل المجلة عن الصدور وأن يسدد باقى المبلغ (خمسة آلاف جنيه) فيما بعد! ورفض أميل زيدان قبول الشيك وصمم على أن يتسلم العشرة آلاف جنيه كاملة لاينقصها مليم واحد.

فى نفس اليوم روى أمين شاكر القصة كاملة لجمال عبد الناصر: غضب جمال عبد الناصر واعتبر أن تصرف دار الهلال مسألة تحد للنظام أو الثورة.. فالمجلة باختصار أصدرتها الثورة ويرأس تحريرها مدير مكتب عبد الناصر

شخصيا! المهم طلب عبد الناصر منه أن يجهز أمراً بالاستيلاء على دار الهلال! ويبدو أنه في ذلك الوقت كان بجواره من نصحه بأن ذلك العمل قد يساء تفسيره وفهمه، بأن يقال إن قرار استيلاء الدولة على دار الهلال المقصود به هذه الدار فقط لمجرد أن أصحابها لبنانيو الأصل.

وكان جواب عبد الناصر: إذن المؤسسات الصحفية كلها.

ومن ناحية أخرى كان جمال عبد الناصر مبهورا بتجربة «تيتو» زعيم يوغسلافيا ككل.. ومن بينها الصحافة طبعا.. وبما أن المجتمع وقتها كان يتحول نحو الاشتراكية فكان من الطبيعي أن تصبح الصحافة تحت يد الدولة. وهذا هو الهدف الحقيقي من وراء قراره.

● قلت له: وبعد خمسة أيام، وفي مساء الأحد ٢٩مايو ١٩٦٠ اجتمع عبد الناصر بأعضاء مجالس إدارات المؤسسات الصحفية ورؤساء تحرير الصحف والمجلات وكنت واحدا من الذين حضروا اللقاء، واستمعوا لحديث عبد الناصر؟ ماذا قال لكم؟ وماذا قلتم؟ وما لم ينشر في الصحف؟

كان حلمي سلام قد أحضر دوسيها يحوى أوراقا عديدة. مكتوبة بخط يده.. كانت النص الكامل لما دار في ذلك الاجتماع «الذى استغرق ساعتين ونصف الساعة».

قال حلمي سلام: حضر هذا اللقاء على صبرى وكمال الدين حسين وعبد القادر حاتم، وصلاح سالم وفكرى أباظة، ومحمد التابعي وإحسان عبد القدوس وفتحي غانم ويوسف السباعي وكامل الشناوى ومصطفى وعلى أمين ومحمد حسنين هيكل. الطريف أن المصورين الصحفيين بعد أن بدأوا فى ألتقاط الصور الصحفية طلب منهم عبد الناصر سرعة الانتهاء من التصوير حتى يبدأ حديثه. وبعد خروج المصورين بدأ حديث عبد الناصر إلينا .

قال عبد الناصر: «عاوز أتكلم بكل صراحة علشان تعرفوا وجهة نظرى وأريدكم أيضا أن تتكلموا بكل صراحة كي أعرف وجهة نظركم، وأنا باعتبر أن الصحافة يجب أن تكون رسالة أكثر منها سلعة أو تجارة لأنها إذا أصبحت سلعة أو تجارة ستسير فى الطريق الذى تسير فيه التجارة في أى مجتمع من

المجتمعات. هذا هو دور الصحافة الحقيقي» وقال أيضا: «إن الأمر المهم في رأيي أن نحدد طريقنا. نسأل أنفسنا؟ إيه هدفنا؟ ما المجتمع اللي عاوزين نعيش فيه؟.. المجتمع الذي نريد أن نبنيه؟ هذا المجتمع بالقطع مش مجتمع القاهرة ولا النادي الأهلي ولا نادي الزمالك ولا نادي الجزيرة ولا السهرات بتاع الليل! أبداً مش هو ده اللي إحنا عاوزينه».

إننا إذا أردنا أن تكون عندنا فعلا صحافة يجب أن تكون في خدمة مجتمعها الأصيل الطبيعي اللي إحنا جينا منه! واللي جاء منه كل واحد فينا، هو ده المجتمع الأصلي ومش الذي تكتبون عنه في سهرات الهيلتون، السهر بالليل يمكن لطيف، والحكايات وسيرة الناس مسلية، كل واحد حر في حياته العادية ولكن هل ده دور الصحافة»؟!

سكت حلمي سلام وعاد بعدها ليقول: ذكر عبد الناصر بالتحديد اسم المرحوم كامل الشناوي، وكنت أتصور وقتها بعد هذا الهجوم القاسي من عبد الناصر عليه أن كامل الشناوي سيختفي إلى الأبد من الساحة الصحفية، وكانت المفاجأة عندما ظهرت التشكيلات الصحفية بعد صدور قرار، وعين كامل الشناوي عضوا في مجلس إدارة التحرير التي تصدر جريدة الجمهورية جريدة عبد الناصر، وكانت المسألة تدعو للدهشة، ولكن تزول الدهشة إذا علمت أن «هيكل» كان يحب كامل الشناوي ويعطف عليه، ومن هنا أرى أن الطريقة المثلى لمداواة الجرح الذي أصابه، هو تعيينه في هذا المنصب، ومسألة إقناع هيكل لعبد الناصر بذلك لاتحتاج إلى مجهود.

● قلت لحلمي سلام: قرأت للأستاذ مصطفى أمين حكاية نشرها في كتابه «لكل مقال أزمة» تقول إنه كتب في سبتمبر ١٩٥٠ مقالا عنوانه «البحث عن قائد» وقال له جمال عبد الناصر عقب الثورة إن هذا المقال أثر فيه تأثيرا خطيرا وقرأه أكثر من عشر مرات.. وراح يعلم بالقلم الرصاص تحت فقرات منه.. وحدث أن عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعا عقب تأميم الصحافة لرؤساء تحرير الصحف والمجلات وقال لهم إن مقال «البحث عن قائد» أثر فيه كثيراً قبل قيام الثورة.

■ قال: أنا لا أتذكر هذا أبداً، ولا أذكر أن عبد الناصر قال شيئا كهذا للأستاذ مصطفى أمين ولك أن تسأل أحد الزملاء الذين كانوا حاضرين ومازالوا أحياء في هذه الواقعة! ربما يكون أحدهم قد سمع مالم أسمع.. أسأل إحسان عبد القدوس! أو فتحي غانم ! أو حتى «هيكل»!

أما الذى أذكره جيداً وخاصاً بالأستاذ مصطفى أمين، أن عبد الناصر قال يومها إنه سيرفع الرقابة عن الصحف، ووقف مصطفى أمين وطلب استمرار الرقابة على الصحف، وكانت وجهة نظره أن وجود الرقيب أدعى إلى الأمان! وأذكر أن عبد الناصر قال يومها: خلاص طالما أنتم عاوزين الرقابة.. يبقى تفضل!!

في حديث عبد الناصر إلينا أذكر قوله إنه أعطى تعليمات للرقيب الا يقرأ مقالات فكرى أباظة (رئيس تحرير المصور في ذلك الوقت) أو يشطب له حرفا واحداً منها إذا قرأها.. ثم توجه بالسؤال إلى فكرى أباظة قائلا: هل شطب الرقيب لك كلمة يافكرى؟!

في ظنى وتقديرى أن عبد الناصر كان يتوقع من فكرى أباظة أن يقول له : ياريس لم يشطب الرقيب لى أى شئ! وكان المفاجأة لنا جميعا أن فكرى أباظة رد على سؤال عبد الناصر بطريقته الساخرة: ياه.. كتير ياريس! دنا باكتب بدل المقال الواحد اثنين وثلاثة عشان السيد الرقيب يوافق على مقالة منها.. ده أنا زى ما أكون بياع لب!!

وتغير وجه عبد الناصر وامتقع لونه، وعبر كلمات فكرى أباظة سريعا.. ورغم أنه في بداية حديث عبد الناصر عندما قال: لقد عشنا في المجتمع اللى سبق أن كلكم عشتم فيه وعاصرتموه وعلق فكرى أباظة بصوت مسموع: لايأفندم أنا ملحقتوش.. كنت لسه صغير!! لحظتها ضحك الجميع وابتسم عبد الناصر ثم عاد ليقول بعدها وهو ينتقد سلبيات الصحافة: كل واحد انتقد ونرجع مثلا إلى عشرات السنين أو «خمسات السنين» علشان محدش يفتكر أنى بأكبر سنه!!

وربما كان موقف فكرى أباظة من الأشياء التى تسببت في إحداث فجوة بينه وبين عبد الناصر. فإن ما حدث من فكرى أباظة من الأشياء التى لاتروق لعبد

الناصر أن تحدث على مرأى ومسمع من الآخرين.. وأذكر أننى قلت ذلك لفكرى أباظة وقتها، ولكن عزله كان سببه سطراً كتبه فى مقال وقد فهم من هذا السطر أنه دعوة للاتفاق مع إسرائيل.. ولا أستطيع أن أصور لك حجم الغم الذى أصابنى به هذا القرار.. وأذكر أننى فى صباح اليوم الذى نشر فيه اعتذار فكرى أباظة عما وقع منه بالصفحة الأولى بجريدة الأهرام، كنت موجوداً بمحل أصواف بشارع قصر النيل، وتقدم منى صاحب المحل – وكانت لى به معرفة سابقة– وقد أمسك بالأهرام وأشار إلى اعتذار فكرى أباظة قائلا: هل معقول يا أستاذ حلمى أن يكون فكرى أباظة هو الذى كتب هذا الأعتذار؟ وسألته مندهشا. عاوز تقول إيه؟ وأجابنى الرجل بتلقائية شديدة: قصدى أنه مدسوس عليه!

وبعد ذلك بأيام وفى جلسة خاصة مع فكرى أباظة فى مكتبه نقلت إليه رأى الرجل فى اعتذاره الذى حملته الأهرام لمئات الألوف من القراء، فإذا بفكرى أباظة يتنهد من أعماقه قائلا: الله يسامحه هيكل لولا الضغوط التى مارسها على، لما كتبت حرفاً واحداً فى هذا الاعتذار الذى اعتبره كل أصدقائى سقطه ما كان لى أن أقع فيها.

واعتقادى الخاص أن معنويات فكرى أباظة، وإحساسه الكبير بكيانه المستمد من تاريخه الوطنى الطويل قد انهار تماماً منذ ذلك اليوم،

● **قلت: أقصد هل اشتكى عبد الناصر من أشياء منشورة بالفعل؟ هل طلب منكم ان تحدوا من الكتابة فى مجالات معينة وأن تكثروا من الكتابة فى مجالات أخرى؟!**

■ قال حلمى سلام: أكد عبد الناصر فى هذا الاجتماع «ان الصحافة من حقها بل من واجبها أن تنقده»، وقال بصراحة «إحنا مش عاوزين التسبيح. النظام كنظام ثابت وقائم ومدعم الأركان تدعيما كاملا، وعلى هذا الأساس فإن واجبكم إذا وجدتم أى وضع غير مستقيم أن تنقدوه، ويجب أن يشعر الناس أن فيه نقد وأن فيه عيون مفتوحة، وإلا كل واحد مسئول يبقى متصور نفسه متغطى ولا أحد يراه، امسكوا جميع قطاعات الدولة، إذا كانت فيه حتة خربانة قولوا إن الحتة دى خربانة، لكن متجيش مثلا تقول إن اسكندرية ميتة زى ما حصل فى جريدة من الجرايد، طيب إزاى نصحى إسكندرية اللى ماتت؟ طلع بعد كده أن

فيه ناس اجتمعوا وعملوا حفلة وطلعوا عشر ستات متصورين، والله إذا كان كده نحط في كل مديرية عشر بنات ونصحى البلد! هل إسكندرية هي الكام بيت اللي بيسهروا بالليل ويروحوا يرقصوا «الروك آندرول» و«تشاتشا شاه» والكلام ده، ولاهي الناس بيروحوا يشتغلوا ويشيلوا على أكتافهم! لازم نشوف مشاكلنا الحقيقية»!

وأشار عبد الناصر إلى الانتقاد البناء، وقال «فيه مواضيع كثيرة بناءة طلعت على الجمعيات التعاونية، وعلى أزمة المساكن، وعلى الوحدات المجمعة، وعلى الإصلاح الزراعي كلها أظهرت عيوباً وكانت بتعتبر كلها مواضيع بناءة، كمان حاجات كتير اتقالت على الإدارات الحكومية، وكانت نقد بناء».

ولم يترك عبد الناصر صغيرة ولا كبيرة في شئون الصحافة إلا وكان له عليها عتاب أو ملاحظة، فمثلا كان غاضبا على الموضوعات الصحفية التي تهاجم الفنانين بغير وجه حق.. وقال «الفنانين لهم رسالة زى الصحافة تمام، بالأغنية، باللحن، بالسينما، بالصورة، بالتمثال، نعتبرهم رأس مال كبير جدا ولهم أثر كبير، وقال كان فيه فكرة إنهم يمنعوا الأغاني والمغنين بتوعنا من التعامل مع محطة لندن ولكن كونك تفتح لندن وتسمع عبد الحليم حافظ وتسمع عبد الوهاب هوفي رأيي كسب عظيم..

ولابد أن ندعم طبقة الفنانين بحيث نمكنهم اكثر من أداء رسالتهم».

تركز غضب عبد الناصر حول الاهتمام المبالغ فيه بالجريمة والجنس والخيانة وقال يومها «المجتمع اللي عاوزين نبنيه مش هو مجتمع الجرائم يعني الست اللي طالبة الطلاق لأن قلب جوزها واجعه كلام لا يجوز، يعني إيه ده.. يعني أنا ما أتصورش أن واحدة تطلب الطلاق من جوزها حتى لو قلبه وقف، لكن لما الحكاية تبقى كده «بالوش المكشوف» أنا بعتبر أيضا أنها مش مجتمعنا لكن لا أتصور أن الجنس يبقى باستمرار موضوع مناقشة أمام الأولاد والبنات يبقى إيه الوضع؟ مستحيل. إيه الفلسفة اللي وراء هذا؟ والله إذا كانت عميقة يمكن لسه أمامنا مائة سنة عشان نوصل لها».

ابتسم حلمي سلام فجأة وقال: وفي هذا الاجتماع تحدث عن مجلة صباح الخير وعن الرسوم الكاريكاتورية بها، وأشار إلى غلاف كان قد رسمه الرسام

الكبير حجازى وقال «الصورة الكاريكاتوية اللى بتمثل الزوجة على أنها خاينة لأنها حطت تلاتة فى الدولاب! ده أيضا مش مجتمعنا أنا معرفش، أنا مش متصور أن فى مجتمعنا فيه زوجة بتحط تلات رجالة فى الدولاب وعشان كده بتحط لهم تكييف هواء».

ووجه كلامه ناحية الزميل فتحي غانم الذى كان حاضرا الاجتماع بصفته رئيس تحرير صباح الخير.

● قلت : هل تغيرت أوضاع الصحافة كثيرا بعد التأميم عما كانت قبله؟

■ قال: الغريب أن الصحافة استمرت بعد التأميم تخوض في نفس الأشياء التي أثارها عبد الناصر في لقائه بنا، وكتبت في مجلة الإذاعة وكنت مازلت رئيسا لتحريرها سلسلة مقالات عنوانها «صحافتنا بعد التنظيم» أقول فيها إن من يقرأ صحافتنا يجد فيها نفس الاهتمامات السابقة والتى كانت تستفز مشاعر الناس مثل أخبار الفساتين والموضة والسهرات والطلاق... و..

● قلت : حتى تلك الفترة كثرت زيارات عبد الناصر للخارج.. هل حدث وسافرت معه؟

■ قال: مرة واحدة فقط سافرت معه إلى الجزائر عام ١٩٦٢. سافر عبد الناصر على ظهر الباخرة الحرية ومعه هيكل. أما باقي الصحفيين فقد سافروا بالطائرة وهم مصطفى أمين، وإحسان عبد القدوس، أحمد بهاء الدين، لطفي الخولي، وأنا. وكان الملفت للنظر هو الاستقبال الخرافي من شعب الجزائر لعبد الناصر. هناك أحسسنا أن عبد الناصر هو الزعيم الحقيقي لثورة الجزائر وليس «بن بيللا» لدرجة أن عبد الناصر غير سيارته ثلاث مرات أثناء جولته فقد أعاقت الكتل البشرية سير سيارته.

● قلت : هل اجتمع عبد الناصر بكم هناك فى الجزائر؟

■ قال: عبد الناصر اجتمع بهيكل فقط! ولكن باقي الصحفيين اجتمعوا بزعيم الجزائر بن بيللا ونزل هيكل مع عبد الناصر في قصر الضيافة، وأقمنا نحن في أحد الفنادق.

● كيف ولماذا تركت رئاسة تحرير مجلة الإذاعة؟

■ قال لى الأستاذ حلمى سلام: فى تلك الأيام، لم تكن جسور التفاهم ممتدة بينى وبين د. عبد القادر حاتم الذى كان يشرف على الإذاعة والتليفزيون، وكانت مجلة الإذاعة تتبع كما سبق أن قلت لك وزارة الإرشاد القومى التى يرأسها د. حاتم، وأذكر حين أنشىء التليفزيون وبدأ إرساله فى يوليو عام ١٩٦٠ أن د. حاتم كان حساساً لكل ما ينشر من نقد عن التليفزيون، وفى أحد أعداد المجلة نشرنا مقالاً مترجماً لواحد من أساتذة أمريكا البارزين فى شئون التليفزيون عن مخاطر التليفزيون بالنسبة للأطفال عندما يجلسون ساعات طويلة أمام جهاز التليفزيون.. كان المقال علمياً.. وفوجئت بعد نشر المقال أن د. حاتم أمر بمصادرة المجلة بسبب هذا المقال، وكانت هناك أعداد من المجلة قد سافرت إلى خارج القاهرة تمهيداً لتوزيعها، وأمر بنزع صفحات المقال الذى يتناول مخاطر التليفزيون، للأسف فإن د. حاتم تصور أن المقال هجوم شخصى عليه! وكثر تدخل د. حاتم فى شئون مجلة الإذاعة.

وكتبت رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر شرحت له فيها أسباب اللا تفاهم بينى وبين د. حاتم بالنسبة لمجلة الإذاعة ورجوته فى نهاية رسالتى أن يعفينى من رئاسة التحرير، وأن يعيدنى إلى بيتى القديم دار الهلال وإلى مجلة المصور، وأن يعيننى عضواً فى مجلس الإدارة وكأحد رؤساء تحرير المصور كإشعار للقراءة والزملاء الصحفيين أننى لم أنقل من الإذاعة إلى المصور فى صورة المغضوب عليه، وللحق وللتاريخ فقد استجاب الرئيس عبد الناصر لهذين المطلبين، عدت إلى دار الهلال عضواً بمجلس الإدارة، ورئيس تحرير الأعداد الممتازة للمصور.

وعندما صدر قرار جمال عبد الناصر بهذا فوجىء د. حاتم به تماماً.

● ألم تكن هناك فرصة لمقابلة عبد الناصر وجهاً لوجه حتى ذلك الوقت؟

■ قال: نعم، قابلت عبد لناصر ولم تكن هناك فرصة للحوار فى مثل تلك الأمور، كان ذلك عام ١٩٦٢ عندما حصلت على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى وتسلمته من عبد الناصر فى عيد العلم العاشر.

● قلت : من أبلغك بخبر حصولك علي ذلك الوسام؟

■ قال: في البداية أبلغني السيد محمد أحمد السكرتير الخاص لعبد الناصر ثم المرحوم يوسف السباعي الذي كان يشغل السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وأبلغني تليفونياً بذلك قبل يوم واحد فقط من عيد العلم الذي تسلمت فيه الوسام.

الطريف - ياعم رشاد - أن جريدة الأهرام نشرت الأسماء التي حصلت على هذا الوسام وكذلك صورهم فيما عدا اسمي وصورتي. وكان الوسام قد منح إلى كل من إحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين والسيدة أمينة السعيد ثم حلمي سلام.

وفي يوم الاحتفال الذي جرى في جامعة القاهرة بقاعة الاحتفالات الكبرى صافحنا عبد الناصر واحداً واحداً ثم سلمنا الوسام، قال لي عبد الناصر: مبروك ياحلمي وقلت له.. شكراً يا ريس.

وكتب مصطفى أمين في ١٩٦٢/١٢/١٥ يقول: اليوم ستكرم الدولة الصحافة، فسوف يسلم الرئيس جمال عبد الناصر في الاحتال بعيد العلم أربعة أوسمة إلى أربعة من الصحفيين المعروفين البارزين تقديراً من الدولة لجهودهم في عالم الصحافة وهم الأساتذة إحسان عبد القدوس وحمد بهاء الدين وأمينة السعيد وحلمي سلام.

وعرفت حلمي سلام أيام كان يكتب في مجلة اللواء الجديد مقالات من نار عن الجيش في العهد الماضي، وعرفته في عدد من الصحف والمجلات صحفياً جريئاً مؤمناً بحق هذا الشعب في الحرية والحياة، ثم عرفته أكثر وهو يكتب في مجلة الإذاعة ويجاهد بكلمة الحق وهو يعلم أنها لن ترضي كل الناس، وقد تغضب كل الناس.

● كان معروفاً إنه في تلك الفترة أنشأ عبد الناصر التنظيم الطليعي.. هل انضممت إليه؟!

■ قال: لعلك تندهش إذا قلت لك إنني لم أكن عضواً في أي من التنظيمات السياسية التي ظهرت في عصر عبد الناصر مثل هيئة التحرير أو الاتحاد

القومى أو الاتحاد الاشتراكي ومع ذلك فوجئت بانتخابى أميناً عاماً للجنة الاتحاد الاشتراكى فى دار الهلال دون أن أكون عضواً! أما بالنسبة للتنظيم الطليعى فقد كنت عضواً فيه، فى الخلية التى كان يرأسها على صبرى وتضم مصطفى المستكاوى رئيس تحرير المساء ود. عب العزيز السيد وكيل وزارة التربية والتعليم، وفى ثانى جلسة استبعدت من عضوية التنظيم. وكان ذلك عام ١٩٦٢ والسبب ببساطة أننى استمعت لخطبة لعبد الناصر قال فيها: «إنه لم يكن للاتحاد السوفييتى أى دور فى إيقاف عدوان ١٩٥٦ وإنما أمريكا هى التى لعبت هذا الدور»، وعلق راديو لندن على الخطبة و أشار إلى تناقض وقع فيه عبد الناصر الذى سبق أن أشاد بموقف الاتحاد السوفييتى.

ورويت ذلك للمستكاوى وكان معى فى التنظيم، وسألته ماذا نقول للقواعد حول هذا التناقض؟ وكان رد المستكاوى غريباً جداً: إن راديو لندن لم يقل هذا!! وقلت له.. إننى سمعته بأذنى! فقال ولكنى لم أسمعه، واحتددت عليه قائلاً: ليس معنى أنك لم تسمع راديو لندن يبقى التعليق لم يذع! وعلا صوتى لأننى شعرت أن الرجل يكذبنى فى شىء سمعته بأذنى وأريد إيضاحاً لهذا التناقض، وبعد ذلك علمت أننى نقلت إلى خلية أخرى كان بها أحمد حمروش وسعد كامل، ولكنى لم أدع إلى أى اجتماع فيها على الإطلاق، وانقطعت صلتى بهذا التنظيم تماماً بعد جلستين على وجه التحديد.

● كيف وجدت بيتك - دار الهلال - وقتئذ؟!

■ قال: عندما عدت إلى دار الهلال فى عام ١٩٦٢ كان يرأس مجلس الإدارة المرحوم «على أمين» وكان أيضاً رئيساً لتحرير المصور يشاركه فى ذلك المنصب المرحوم فكرى أباظة بعد أن نشر على صفحات الأهرام فقال الاعتذار الشهير.

فى نفس تلك الفترة صدر قرار بتعيين الأستاذ أحمد بهاء الدين رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال، كان ذلك فى ابريل ١٩٦٤ وكان بهاء قبلها رئيساً لتحرير أخبار اليوم. الغريب أن قرار تعيين أحمد بهاء الدين برئاسة مجلس إدارة دار الهلال بدلاً من على أمين صدر بينما كان بهاء يزور الجزائر، فى ذلك الوقت كان بهاء كاتباً سياسياً مقروءاً ومحللاً سياسياً وله وزنه الكبير مصرياً وعربياً وكان توزيع

أخبار اليوم لا يقل عن ربع مليون نسخة كل يوم سبت.. بينما الأهرام الذى يكتب فيها هيكل مقاله الأسبوعى بصراحة لم يكن يصل إلى هذا الرقم أبداً.. وكان هذا يقلق بال هيكل.

● وماذا كان موقف الأستاذ أحمد بهاء الدين من ذلك القرار؟!

■ أجابني حلمي سلام: قرأت الاستياء على وجهه فقد كان القرار فى ظاهره الترقية وفى باطنه القتل المعنوى، لأن ما كان يهم الأستاذ بهاء وما يهم أى كاتب مقروء وله ثقل هو عدد قرائه.. وكان قراء بهاء حوالى المليون قارىء إذا افترضت أن متوسط قراء النسخة الواحدة من أخبار اليوم هو أربعة أفراد بينما كان توزيع مجلة المصور لا يزيد على ٢٠ ألف نسخة أسبوعياً فى ذلك الوقت.

وأذكر أن هيكل زار بهاء مرتين فى دار الهلال مواسياً ومعزياً بهاء. ورغم استياء بهاء إلا أنه أعطى المصور الكثير مما رفع شأنها وزاد من توزيعها ولكن لم يصل به إلى توزيع أخبار اليوم الراسخ.

إن أحمد بهاء الدين يتميز بالإخلاص الشديد فى عمله، ولهذا سرعان مانسى تلك الضربة وقفز بالمصور قفزات واسعة، ولكن بعدها بفترة عهد إليه رئاسة مجلس إدارة روزاليوسف بالإضافة لدار الهلال وكان القرار أيضاً فى ظاهرة الترقية لبهاء ولكن فى باطنه تبديد طاقاته وجهوده بين المؤسستين، بالقطع فإن ذلك لم يكن تفكير جمال عبد الناصر بصفته الذى يعين ويختار رؤساء مجالس إدارات ورؤساء تحرير الصحف. كان لدى عبد الناصر من الهموم والمهام ما يكفى وزيادة.. ومن هنا فإن معظم التغييرات الصحفية التى شهدتها المؤسسات الصحفية فى تلك الفترة كان هيكل وراءها!

● هل اكتفى عبد الناصر فى شارع الصحافة «بالأهرام» ومن الصحفيين «بهيكل»، وعلى الجانب الآخر كانت تنمو سلطة عبد الحكيم عامر ويتحول إلى ند يحسب عبد الناصر حسابه ويخشى بأسه. كان الطفل المدلل - حسب تعبير عبد الناصر لحسن إبراهيم - قد أصبحت له أنياب وأظافر. فإذا كان لعبد الناصر هيكل والأهرام، فليكن للمشير إذن حلمى سلام والجمهورية «والرواية مصدرها منير حافظ».

ولم يكن المشير عبد الحكيم عامر غائباً عن هذه التغييرات - يقصد الصحافة - كان قد فرض حلمي سلام رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير ورئيساً لتحرير جريدة الجمهورية في أغسطس ١٩٦٤ ومنحه دعماً مالياً قدره (٣٥٠ ألف جنيه) ورغم تعليمات عبد الناصر بعدم دفع أية إعانات للمؤسسات الصحفية «والرواية مصدرها الأستاذ أحمد حمروش».

وكان الأستاذ حلمي سلام يصغي لما أقول : وعدت لأقول باختصار.. أين الحقيقة؟!

■ قال: في أحد أيام شهر أبريل ١٩٦٤، اتصل بي تليفونياً د. عبد القادر حاتم، وطلب مني التوجه لزيارته في مكتبه، وفي نفس اليوم وكنت في مكتبه قال لي د. حاتم سيادة الريس عاوزك تروح تمسك دار التحرير؟!

تملكتني دهشة مفاجئة وقلت له بحسم: لو أمرني الريس أن أرمي نفسي في النار.. فلن أسأله عن سبب هذا الأمر، أما حينما يتعلق الأمر بدار التحرير فيمكنني أن أستأذن الريس في أن أقول إنني لا استطيع تنفيذ ذلك الأمر!

اندهش د. حاتم من أجابتي وقال لي: ياساتر أنت شايف أن دار التحرير أفظع من النار؟!

فقلت للدكتور حاتم: أنا لا أقول هذا من فراغ، لأنني لست غريباً عن دار التحرير، فقد كنت رئيس تحرير إحدى مجلاتها وهي «التحرير» كما أنني كنت عضواً بمجلس إدارتها عندما كان يرأسه المرحوم صلاح سالم، وكل ذلك يجعلني أعرف خبايا دار التحرير ونقاط الضعف والانهيار التي تعاني منها. ولهذا فأنا لا أستطيع أن أذهب إلى دار التحرير مهما كانت الظروف أو المغريات! يكفي أن صلاح سالم نفسه فشل في إنقاذها.

أذكر أن د. حاتم ضحك وقال لي: من الطبيعي أن يفشل صلاح سالم لأنه ليس صحفياً. ولكنك صحفي محترف مشهود لك بالكفاءة.

وشكرته على تحيته وقلت: أرجوك تبلغ سيادة الريس ردي بالحرف الواحد، وأنا سعيد في دار الهلال، بيتي الذي عدت إليه بعد غياب ست سنوات في مجال الإذاعة؟

وقبل مغادرتى مكتب د. حاتم فأجانى قائلاً: على أية حال أرجوك أن تنسى تماما كل ما دار بيننا فى هذا الشأن، وإذا اتصل بك أى شخص من طرف الريس وتحدث معك فى نفس الموضوع اعتبر كأنك تسمع هذا الكلام لأول مرة.

فى تلك اللحظة بالضبط تأكدت أن د. حاتم ليس مكلفا من قبل الريس بأن يدعونى لتولى مسئولية دار التحرير، ولكن يبدو أنه سمع هذه المعلومة، فأراد أن يبلغنى بها لأطير من الفرح أو هكذا تصور فيصبح هو صاحب فضل على! فقد كانت متعة د. حاتم أن يكون صاحب فضل على كل صحفى فى مصر.

توجهت عقب مقابلتى للدكتور حاتم إلى منزلى. وهناك وجدت إشارة من مكتب نائب رئيس الوزراء أن أتصل به تليفونيا فى هذه النمرة فورا، فى ذلك الوقت كان هناك أكثر من نائب رئيس وزراء. كان هناك عبد المحسن أبو النور.. عباس رضوان.. الخ.

أدرت قرص التليفون طالبا الرقم الذى أملوه على من فى المنزل، وقلت أنا فلان.. فقال لى: أنا مدير مكتب السيد عباس رضوان- وكان نائبا لرئيس الوزراء ووزير الحكم المحلى- وهو يريدك أن تأتى إليه.. عباس رضوان صديق قديم لى وإنسان ودود جداً وبسيط جداً، وكان لفترة مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر. المهم قال لى عباس رضوان: سيادة الريس اتصل بى منذ قليل من استراحة برج العرب حيث هو موجود وطلب منى الاتصال بك كى تتولى رئاسة دار التحرير، وإلى أن تتخذ قرارا فى هذه المسألة اعتبر ماقلته لك أمراً فى قمة السرية.

دهشت أيضا وقلت له يومها: مادام الأمر كذلك فأسمح لى بأن أقول لك إننى قادم منذ لحظات من عند د. حاتم وعرض على نفس الشئ.. وأنا أخبرك بهذا حتى تعلم، المسألة معروفة لدى غيرى.

أتذكر أن عباس رضوان سأل بدهشة: ومن الذى كلف حاتم حتى يتصل بك ويتحدث معك؟

وأجبته: هذه ليست مشكلتى.. وتستطيع أن تسأل د. حاتم عمن كلفه؟ ولكنى أرجوك فعلا أن تساعدنى للإفلات من هذا المأزق.

ووعدنى الصديق عباس رضوان.. وهو حى يرزق.. بأن ينقل اعتذارى للرئيس جمال عبد الناصر.. ومرت أيام.. ثم أسابيع وحمدت الله تماما أن المسألة نامت

وأن الريس صرف النظر عن أمر تعييني.. بعد شهرين بالضبط في يوليو فوجئت بمكالمة تليفونية من العقيد على شفيق السكرتير الخاص للمشير عامر يخبرني فيها بضرورة زيارة المشير في بيته بالحلمية. وذهبت إلى بيت عبد الحكيم عامر.. الذي استقبلني مزحبا وسألني ضاحكا: أنت لسه خايف من دار التحرير ياحلمي؟! وعاد ليقول لي: سيادة الريس كلفني أني أبلغك تروح تمسك دار التحرير؟!

وعدت أشرح للمشير عامر أسباب تخوفي من دار التحرير ورجوته أن يقنع سيادة الرئيس بالتفكير في أحد غيري.. وفي نهاية المناقشة قال لي: اطمئن ياحلمي، من ناحيتي سأحاول إقناع الريس، ولكن ما أضمنش إني ها أنجح في إقتناعه بوجهة نظرك! وأنت عارف أد إيه عنيد.. وأنا مسافر له دلوقتي اسكندرية، وبعد رجوعي كمان يومين سأتصل بك لأخبرك بقرار الريس!

وبعد يومين عاد عبد الحكيم عامر من الاسكندرية واتصل بي وقال:للإسف ياحلمي.. الريس لم يقبل عذرك!

لحظتها أحسست أن صاعقة وقعت على رأسي، ثم عاد المشير ليقول لي: للريس طلب محدد أن تتخفف الجمهورية من ٥٠٪ من حجم العمالة بها.. وبالنسبة للديون وهي ٣٦٠ ألف جنيه فهو سيعطيك ٣٥٠ ألف جنيه لتسدد بها ديونك وتتصرف من عندك في باقي الديون وهي عشرة آلاف جنيه، وتبدأ بداية سليمة مع دار التحرير والجمهورية، وبالنسبة للأسماء التي سوف ترى التخفف منها فإنهم سينقلون إلى المؤسسات الصحفية الأخرى، هكذا قال لي الريس.

وأتذكر أنني أبديت دهشتي للمشير وقلت له: إن التخفف من ٥٠٪ من حجم العمالة في الدار يعني حوالي ٣٠٠ شخص وأن هذه كارثة ولكن غاية ما يمكن هو إعداد كشف بأسماء ٣٠ أو٤٠ فقط!!

وطلب عبد الحكيم عامر مني إعداد الكشف بالأسماء المقترحة، لأنه لا يعرف أسماء الصحفيين وبالتالي لا يعرف من ينقل ومن لا ينقل! ومن أستطيع التعاون معه ومن لا أستطيع.

وفي نفس الوقت طلب مني ضرورة إغلاق جريدة المساء وهذا رأي عبد الناصر.. وكانت المساء قد بلغت خسائرها عن عام ١٩٦٣ وحده حوالي ١٦١ ألف

جنيه و٤٦٠جنيها، ورفضت بالطبع وقلت له إن مثل هذا القرار يعتبر كارثة، وكان رئيس تحريرها في ذلك الوقت مصطفى المستكاوى- وأضفت له: وإذا كان غلق المساء شرطا لذهابي إلى دار التحرير فأنا لن أذهب.. وقال لي يومها.. طيب سيب المساء دلوقتي ولتبدأ بإعداد كشف المنقولين!

قال حلمي سلام: أعددت مذكرة أو تقريرا يتضمن الأسماء الصحفية التي تنقل إلى المؤسسات الصحفية الأخرى وكذلك تصورى في شأن إعادة تنظيم مؤسسة دار التحرير والنهوض بجريدة الجمهورية وهذه نسخة التقرير الذى قلت فيه :

«سيدى المشير: قياما بالمسئولية الخطيرة التى حملتمونى سيادكم إياها.. واعتزازا بهذه الثقة الغالية التى أدعو الله أن يوفقنى لأن اثبت لكم أننى أهل لها.. وفى ضوء ذلك الاستعداد الثورى والقلبى الصادق الذى تفضلتم سيادتكم فابديتموه لتقديم كل أسباب التأييد والمعاونة، وهو الاستعداد الذى كان له الأثر الأول والآخر فى إقدامى على قبول هذه المسئولية التى كنت أراها - بغير ذلك التأييد القلبى الصادق الذى ابديتموه لى- أخطر من أن أستطيع قبولها.. وكى يعاد تنظيم العمل فى هذه المؤسسة الصحفية الكبيرة على أسس اقتصادية وصحفية سليمة وصحيحة.. تكفل لها النجاة من الأخطار التى تتهددها. ولا يكون بها مجال للشلل ولا للأحزاب ولا لذلك الصراع المدمر الذى لابد أن يتواجد فى أى مكان تتواجد فيه الشلل.

أرجو إصدار قراركم بتوزيع الصحفيين المذكورين بالكشف المرفق على المؤسسات الصحفية الموضحة به اعتبارا من أول أغسطس سنة ١٩٦٤.

إلى مؤسسة أخبار اليوم: ناصر الدين النشاشيبى، عبد الحميد سرايا، محمود عبد العزيز، وعبد المنعم السويفى. وإلى مؤسسة دار الهلال : سعد الدين وهبة، ومحسن محمد، وحورية جلال. وعبد الفتاح الفيشاوى. ومحمد دوارة، ونفيسة حرك. ونفيسة الصريطى. وإلى مؤسسة روز اليوسف: عبد السميع عبد الله، سامى داود، فاروق القاضى، عبد المنعم السباعى، محمود فهمى حسن، وعبد الرحمن شاكر. وإلى وكالة أ-ش-أ: الفريد عبد السيد ومحمود محمد سليم،

عبد السلام وفا، ايزيس فهمي، محمد عبد الحافظ فودة، عبد الوهاب غانم، ميشيل جرجس، أمين عبد المؤمن، الأميرالطوبجي، محمد على رفاعى، سعاد منسى، وخليل طاهر، أما الذين طلبت نقلهم إلى الدار القومية للطباعة والنشر وكان يصدر عنها مجلات: الإذاعة، بناء الوطن، القصة، الثقافة، الرسالة، الكتاب العربى، المسرح، فكانوا: إبراهيم الورداني، أحمد السعيد والى، عبد الرحمن الشرقاوى، عبد الرحمن الخميسي، سعد مكاوى، عبد العزيز قسطندى، أحمد عباس صالح، نعمان عاشور، رأفت الخياط، على الدالى، وعبد المنعم عبد العزيز.

وفي نفس الوقت فقد طلبت الاستعانة ببعض الصحفيين من اللمؤسسات الصحفية الأخرى ايضا اعتبارا من أول أغسطس ١٩٦٤ وهم محمود المراغى، عبد الله إمام، محمد زيدان، وممدوح رضا من روزاليوسف.. وأحمد زكى عبد الحليم من دار الهلال.. ومحمد مصطفى غنيم وكمال عبد الرءوف من أخبار اليوم.. وعبد الوهاب عبد ربة من مجلة الإذاعة. إننى أسست قائمة للصحفيين المطلوب نقلهم من دار الجمهورية إلى المؤسسات الصحفية الأخرى وهى كما ترون فى أضيق الحدود على أسس ثلاثة:

- أولا: صحفيون يتزعمون أحزابا وشللا.
- ثانيا: صحفيون لا يمكن لأسباب متعددة التعاون معهم.
- ثالثا: صحفيون لا حاجة بالجريدة إليهم، ويمثلون- بالنسبة لها عبئا ماليا باهظا.

● وماذا كان تعليق المشير عبد الحكيم عامر وقتها؟!

■ أجابنى حلمى سلام: قال المشير عامر أنا شخصيا موافق عليها، ولكن لابد أن أعرضها على الريس؛ فقد يكون له رأى غير رأيى ورأيك، وسأعرض القائمة عليه.. وفعلا بعد ثلاثة أيام تقريبا أو أربعةعادت إلى قائمة الأسماء.. ولكن ليس من مكتب عبد الحكيم عامر بل من مكتب عبد الناصر مباشرة، وافق عبد الناصر على جميع الأسماء التى اقترحتها فيما عدا اسمين فقط لم يوافق على نقلهما وهما المرحوم الأستاذ سامى داود وناصر الدين النشاشيبى. فقد كان الأول يعمل حينئذ رئيسا لتحرير مجلة «الاشتراكى» التى كانت تصدر عن الاتحاد الاشتراكى وقتها، والثانى كان فلسطينيا، ومن هنا جاء رفض عبد الناصر

لاقتراح نقلهما وبذلك أصبح العدد حوالى ٣٨ بدلامن ٤٠ صحفيا وليس ١٥٠ كما صور وادعى البعض .

ولقد رفض ناصر النشاشيبى التعاون معى بعد أن رفعت اسمه من ترويسة جريدة الجمهورية كواحد من رؤساء تحريرها .. إذ كان من بين مطالبى التى تقدمت بها للقيادة السياسية كى أقبل تلك المهمة الصعبة ألا يكون لجريدة الجمهورية أكثر من ريس واحد حتى لا تغرق المركب. وقد ظل النشاشيبى لأكثر من ثلاثة أشهر يتقاضى من الجمهورية مرتبه كاملا (٣٨٥ جنيها) دون أن يكتب لها حرفا واحداً، بعدها نجح هيكل بما له من نفوذ فى أن يعينه مندوبا متجولا للجامعة العربية فى أوربا على أن يكون مقره «جنيف» عاصمة سويسرا .

● ما الذى جرى بعد ذلك بالضبط !؟

■ أجابنى حلمى سلام: بعد ذلك أعطى عبد الناصر ذلك الكشف إلى د. حاتم لتنفيذ نقل الصحفيين إلى المؤسسات الصحفية. واجتمع د. حاتم برؤساء مجالس إدارات الصحف: هيكل عن الأهرام.. أحمد بهاء الدين عن دار الهلال.. وخالد محيى الدين عن أخبار اليوم.. وأحمد فؤاد عن روزاليوسف.. واعتذروا جميعهم عن قبول أى صحفى فى مؤسساتهم الصحفية لسببين.. الأول : أن مرتبات هؤلاء المنقولين كانت عالية وهذا سوف يسبب متاعب مالية لهذه المؤسسات وصدامات مع زملائهم بنفس المؤسسة.

المهم عاد الكشف مرة أخرى إلى عبد الناصر بهذه المبررات من الرفض !كان عبد الناصر مقتنعا فى تلك الفترة بأن العلاقات العامة فى مؤسسات القطاع العام فاشلة وبالتالى فإن الرأى العام والناس لاتعرف شيئا عن إنجازات القطاع العام. لأن المسئولين عن العلاقات العامة موظفون وليسوا صحفيين.. ومن هنا قال عبد الناصر: إذن ليذهب هؤلاء الصحفيون إلى العلاقات العامة بالمؤسسات.

ولكن ماحدث أن د. حاتم بعد أن أعطى كشف الأسماء إلى السيد على صبرى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت قام بتوزيع الصحفيين توزيعا عشوائيا ١٠٠٪ ولم يراع فيه خبرة ولا أى شئ.

باختصار نقل هؤلاء الزملاء إلى أماكن لاعلاقة لها مطلقا بالصحافة مثل باتا، والحقيقة أن عبد الناصر نفسه فوجئ بهذا التوزيع العشوائى للصحفيين وفوجئت

به أنا أيضا . فقد كان الاتفاق منذ البداية أن يذهبوا إلى مؤسسات صحفية وكان ذلك شرطى لتولى مهمة رئاسة دار التحرير. وأذكر أننى ذهبت إلى المشير محتجا على ذلك التوزيع العشوائى، فقال لى تعبيرا فى غاية الغرابة: ياحلمى أنت مش مغسل وضامن جنة!! أنت كتبت أمام كل صحفى اسم المؤسسة الصحفية التى يذهب إليها وهنا ينتهى دورك تماما، أين ذهب بعد ذلك هذا لايعنيك.

- **إذا كان المشير عبد الحكيم عامر قد أكد لك فى لقائك به أنه لن ينقل صحفيا واحداً إلى جهة غير صحفية ! كما سبق أن أكد له ذلك جمال عبد الناصر ! وجرى ماجرى وفوجئت بنقل هذه الأسماء الصحفية اللامعة إلى باتا ومؤسسة الدواجن ..و.. لماذا لم تحتج على هذه المذبحة التى التصقت باسمك ؟ لماذا لم تعلن فى مؤتمر صحفى حقيقة ماجرى بالضبط ثم تستقيل ؟!**

■ ابتسم الأستاذ حلمى سلام وقال لى : أولا أنا لست متهورا بطبعى! والإقدام على مثل هذه الأستقالة كان فى رأيى قمة التهور! فضلا عن أنه ليس من حقى أن أحتج على (صاحب الأمر) لأنه تصرف فى أمر يخصه تصرفا مخالفا لما اقترحته عليه ، أو لما كان قد وعدنى به ونقله لى المشير نفسه.

وحتى لو كنت قد خرجت عن طبيعتى وأقدمت على مثل هذا التصرف وهو الاحتجاج أو الاستقالة من منصبى فإنها لم تكن لتغير من الأمر شيئا . ولو كنت تعرف عبد الناصر كما أعرفه منذ عام ١٩٤٩ لعلمت أنه من رابع المستحيلات أن يقبل من أى كان أن يعامله بمثل الأسلوب حتى لو كان «هيكل» نفسه.

وعندما قدم الصحفى «أحمد حرك» وكان نائبا بمجلس الأمة وقتها سؤالا فى مجلس الأمة بشأن ما جرى للصحفيين. قال جمال عبد الناصر بالحرف الواحد وهذا ثابت وموجود فى مضبطه البرلمان.

«لم يكن أمامنا إلا أن نخفف «الجمهورية» من عدد من العاملين فيها أو أن نغلقها، ولست مستعدا لأن أغلقها لأنها جزء من كرامة الثورة. وحلمى سلام ليس مسئولا عن شئ مما حدث. وإنما أنا المسئول».

● وماذا كان موقف نقابة الصحفيين مما جرى ؟ وكان النقيب وقتها شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود؟

■ قال : لحسن الحظ فإننى مازلت احتفظ بمحضر الجمعية العمومية العادية للنقابة والذى انعقد فى يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٦٥، فى هذا المحضر قال النقيب : كان هذا النقل صدمة لا يكفى فيها الأسف ، بل أذهب إلى أبعد من هذا فأقول إن هذا الذى حدث بكل أسف يحتمل التكرار فضلا عن أن إحدى الصحف العزيزة علينا جميعا وهى جريدة المساء كادت تكون معرضة للتوقف.. لقد كانت صدمة علينا لابسبب الأجور فقط كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان وإنما كانت الصدمة هى صدمة التصرف. وقال خليل طاهر وهو أحد المنقولين : أيها الزملاء إن المسئول عن هذه المشكلة هو حلمى سلام.. إننى أطالبكم بتطبيق أحكام القانون ١٨٥ وبتطبيق الفقرة الأخيرة من المادة ٣ للقانون ٢١٦ لسنة ١٩٥٨ لنقابة الصحفين وتطبيق المادة ٤٢ من اللائحة الجديدة التى وضعها هذا المجلس بإحالة حلمى سلام إلى المحاكمة وشطب اسمه.

وتقدم الأستاذ سامى منصور بالاقتراحات الآتية : الأول شطب اسم حلمى سلام من جدول المشتغلين بنقابة الصحفيين التى يحمل شرف عضويتها ، الاقتراح الثانى مطالبة الاتحاد الاشتراكى بتنحية حلمى سلام عن مقعده فى أمانة الاتحاد باعتبارها سلطة شعبية لها دور قيادى وتخطيطى للعمل الصحفى بعد أن أثبت بتصرفاته ما يتعارض مع هذه المهنة.. والاقتراح الثالث المطالبة بإصدار قرار بتنحية حلمى من منصبه كرئيس مجلس إدارة مؤسسة دار التحرير. وقوبلت الاقتراحات الثلاثة بالموافقة.

أقول لك هنا. إن هذه الاقترحات الثلاثة التى قدمها د. سامى منصور أقرب محررى الأهرام إلى قلب هيكل كان وراءها الأستاذ هيكل والذين يعرفون كيف كانت تسير الأمور فى الأهرام فى عهد هيكل يدركون أنه فى مثل هذه المعارك مستحيل أن يزج واحد من أسرة تحرير الأهرام بنفسه فيها دون إيحاء من هيكل، أو على الأقل دون مباركته الكاملة لما سوف يقدم عليه .

ولقد تأكد هذا الدليل عندى عندما جاء هيكل إلى اجتماع أمانة الصحافة بالاتحاد الاشتراكى «وتتكون من خالد محيى الدين، هيكل، أحمد بهاء الدين،

أحمد فؤاد، وأنا» وقال هيكل : إن ما جرى بالأمس فى الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين بالنسبة للزميل حلمى سلام أمر لا يمكن تجاهله ، لأن مثل هذا التجاهل يضع أمانة الصحافة فى حرج شديد مع نقابة الصحفيين.

وهنا تساءل خالد محيى الدين - وكان وقتها رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم وأمينا للصحافة : وماذا بوسعنا أن نفعل لتفادى هذا الحرج ؟!

فأجابه هيكل قائلا: نرفع أمر ما جرى فى نقابة الصحفيين إلى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى لتقرر فى شأنه ما تراه مناسباً !

وعندئذ أمسك خالد بورقة وقلم وقال لهيكل : إذن فلتملينى صيغة الرسالة التى سنرسلها إلى اللجنة التنفيذية العليا!

وأخذ هيكل يملى صيغة الرسالة. وأرسلت فعلا.

● وماذا كان موقفك وقتها بالنسبة للجمهورية ؟ !

■ قال حلمى سلام: فى هدوء شديد كنت أواصل عملى فى دار التحرير وجريدة الجمهورية، وأنا صامت تماماً عما يجرى حولى! كأن ما يدور لا يخصنى، ويبدو أن هيكل رسم خطته بذكاء على أساس أننى حين أسمع كلامه عن الحرج الذى تواجهه أمانة الصحافة بصفتى عضوا بها، سوف أبادر إنقاذا لها من هذا الحرج بتقديم استقالتى منها، لكنى قررت ألا أستقيل، وعندئذ لم يكن أمامه إلا اقتراحه برفع الأمر إلى اللجنة التنفيذية العليا التى كان يرأسها جمال عبد الناصر.. والباقى بعد ذلك سهل جدا عليه.. لأنه لن يخرج عن كونه مجرد همسة من همساته فى أذن عبد الناصر الذى كان قد منحه ثقته بغير حدود.. المفاجأة ياسيدى أن الرسالة التى رفعتها أمانة الصحافة إلى عبد الناصر لم يحدث لها أى رد فعل بالنسبة لى، على أساس أن ما جرى بالكامل فى الجمهورية - جريدة عبد الناصر- تم بعلمه وبموافقته الكاملة ودليلى على ذلك أنه رفض نقل اسمين من الأسماء التى قدمتها ، وأيضا ما قاله فى مجلس الأمة رداً على الصحفى النائب أحمد حرك.

● وماذا جرى بالنسبة لاقتراحات د. سامى منصور والتى وافقت عليها الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين؟.

■ قال : بعد الموافقة على هذه الاقتراحات تم رفعها إلى مستشار الرأى بوزارة الإعلام بمجلس الدولة وقتها، حسبما يقضى قانون إنشاء نقابة الصحفيين، وهنا كانت المفاجأة. إذ أن المستشار رفض الاقتراحات جميعها، وأقام رفضه على أساس أنه ليس من الجائز - قانوناً - شطب الصحفى من جدول الصحفيين إلا فى حالة من اثنتين : أن يكون قد ارتكب من الأعمال ما يخل بشرف المهنة أو أن يكون قد وقع فى جريمة خيانة الوطن.. وما هو منسوب لحلمى سلام لايدخل تحت أى بند من البندين المذكورين ، وعلى ذلك يكون القرار الأول بأطلا «أى شطب اسمى من جدول المشتغلين بنقابة الصحفيين» وما ترتب على الباطل فهو باطل.

وبناء عليه بقيت حتى هذه اللحظة عضوا بنقابة الصحفيين بقوة القانون، ومن المؤكد أن الأكثرية الساحقة من أعضاء الجمعية العمومية التى قد وافقت على تلك القرارات لا تعلم حتى الآن ان هذه القرارات قد تم رفضها ! أو ربما يكون عبد الناصر نفسه قد مات وهو معتقد أننى مشطوب من نقابة الصحفيين وخاصة أنه كان بجواره من يهمه بشكل مباشر إخفاء قرار مستشار الرأى عنه!

● ولكن يبقى من أنك اشتركت بالصمت فى أكبر مذبحة صحفية ؟!

■ قال: غير صحيح أنها كانت أكبر مذبحة صحفية كما تقول أو يقول البعض. ولماذا لم يطلق هذا الوصف عندما قام الأستاذ عبد الرءوف نافع العضو المنتدب لدار التحرير أيام صلاح سالم الذى كان رئيسا لمجلس إدارتها بفصل ١٥٠ صحفيا منها ولم يتكلم أحد .. وكان عبد الرءوف نافع رجلا شريفا ونزيها ومن خيرة الضباط الأحرار.. وحدث أن فوجىء الرجل بأن صلاح سالم يريد ترشيح نفسه لمنصب نقيب الصحفيين، فاستأذن من عبد الناصر فى إعادة هؤلاء الصحفيين المفصولين ووافق عبد الناصر.. فقد كان حريصاً على أن تظل النقابة تحت سيطرة الثورة، وأحس عبد الرءوف نافع أن المسألة بهذا الشكل أنه رجل غاوى خراب بيوت لأنه فصل الصحفيين لأن دار التحرير غير قادرة على صرف مرتباتهم.. وأن صلاح سالم أعادهم بكافة المزايا التى كانوا يتمتعون بها، وقرر

الرجل تقديم استقالته من منصبه احتجاجاً على هذا الوضع ولزم بيته دون أن ينتظر حتى موافقة عبد الناصر.

كانت تلك الواقعة قبل ذهابى إلى دار التحرير ولم يتكلم أحد، وعندما تولى هيكل رئاسة مؤسسة أخبار اليوم إلى جانب الأهرام أوقف حوالى ٢٠ صحفياً ومنعهم من دخول مبنى المؤسسة، وقد روى الأستاذ أحمد حمروش تفاصيل ذلك فى أحدث كتبه «خريف عبد الناصر» وقال بالحرف الواحد: «دعيت إلى مكتب سامى شرف حيث وجدت هناك الزميل حسن فؤاد، وعرض علينا سامى قراراً أصدره هيكل بإبعاد عدد من الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم، وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ وآخرون جملتهم ٢٠ صحفياً.. ولما طلب سامى الرأى رفضنا مجرد فكرة قبول إبعاد الصحفيين عن العمل الصحفى، واستجاب سامى لذلك واتصل بعبد الناصر الذى أوقف قرار هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم إلى الشرق الأقصى والهند...».

وبعد هيكل اصدر الرئيس السادات قراراً بنقل أكثر من ١٠٠ صحفى وكاتب من مختلف المؤسسات الصحفية إلى هيئة الاستعلامات فى عام ١٩٧٣، وكان ذلك قبل الحرب ولم يتكلم أحد، وكان على رأس المنقولين أسماء لامعة مثل أحمد بهاء الدين، لويس عوض، ونجيب محفوظ، ولم تهتز شعرة واحدة فى رأس نقابة الصحفيين التى عملت «ودن من طين وأخرى من عجين»، وكأن شيئاً لم يحدث..

حتى هيكل نفسه.. وكان العلاقة مع السادات وقتها مثل السمن على العسل، لم يصنع شيئاً لهؤلاء الذين أبعدوا.

● لماذا صار هيكل هكذا؟ وابتعد الآخرون؟

■ قال: دعنى أذكرك بما رواه لك الأستاذ صلاح حافظ فى مذكراته التى نشرتها صباح الخير منذ فترة عندما قال له هيكل: «أنا مبدئى أن المنافسة بين الأهرام والأخبار منافسة تصل لحد قطع الرقبة أو منافسة حتى الموت». إن هيكل على ذكائه وعلى قدراته التى لا يصح أن يختلف عليها أثنان يعتنق مبدأ لا يقبل «الفصال» ولعله مستعد لأن يقاتل حتى الموت دفاعاً عنه.. هذا المبدأ هو أن القمة لا يمكن أن تتسع إلا له وحده.

ويذكر الصحفيون فى أخبار اليوم فى الفترة التى رأس مجلس إدارتها هيكل إلى جانب الأهرام أنه كان يحجب الأخبار الهامة عن صحف أخبار اليوم لتنفرد بها الأهرام، وعندما ناقشوه فى ذلك الأمر قال لهم:

«إن الموقع الذى احتله الآن كان متاحاً ذات يوم لأحمد أبو الفتح، ولإحسان عبد القدوس، ولمصطفى أمين، ولحلمى سلام، ثم انتهى إلىّ أخيراً، وأنا غير مستعد أن يشاركنى فيه أحد إلا على جثتى».

أحس هيكل مع بداية ذهابى إلى دار التحرير أننى سوف أستعيد جزءاً كبيراً من الأرض التى فقدتها طوال سنوات.. فى البداية عندما وقفت على الحياد فى أزمة مارس ١٩٥٤ بين نجيب وعبد الناصر، والتى اندفع فيها هيكل يؤيد عبد الناصر بغير حدود... و...

كان هيكل يكتب مقاله الأسبوعى «بصراحة» يوم الجمعة.. وكنت أكتب مقالى الأسبوعى فى الجمهورية يوم الخميس وعنوانه «حصاد الأسبوع».

أذكر أن الرئيس الأمريكى الأسبق جونسون كان قد أرسل مبعوثاً شخصياً لمقابلة عبد الناصر فى عام ١٩٦٥ كان اسمه «فيليب تالبوت» وقبل أن يجتمع بعبد الناصر تقابل مع المرحوم حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى لعبد الناصر، ودار بينهما حديث طويل بشأن القضية الفلسطينية، فقد كان صبرى الخولى مدير مكتب شئون فلسطين وقتها، وقابلت حسن صبرى الخولى، وكان صديقاً حميماً لى منذ كان يعمل مديراً لمكتب الرقابة وحكى لى تفاصيل ما دار من حوار. وكتبت مقالاً فى الجمهورية ضمنته الكثير مما قاله حسن صبرى الخولى بعنوان «رسالة إلى جونسون».. وظهر المقال صباح الخميس.. وكان الخولى قد أعد تقريراً عن مقابلته مع مبعوث جونسون رفعه إلى عبد الناصر، وظهر الخميس اتصل بى الخولى وسألنى: شخص ما سألنى السابعة صباح اليوم إذا كنت قد أعطيتك نسخة من التقرير الذى رفعته إلى عبد الناصر. ونفيت له ذلك فعاد يقول لى: ولكن ما كتبه حلمى سلام فى الجمهورية يكاد يكون نسخة من التقرير الذى رفعته إلى عبد لناصر وجاءتنى نسخة منه.. وقلت لهذا الشخص: إن ما جرى هو دردشة مع حلمى سلام لا أكثر ولا أقل.

ابتسم حلمي سلام وقال: بالطبع لم أكن محتاجاً أن أعرف أن هذا الشخص هو هيكل.. وأيضاً كان ذلك مما ضايق هيكل.

وحدث أيضاً أن وصلني ذات يوم تقرير خطير عن سير المعارك في اليمن من مكتب المشير عامر ولأني صديق قديم له فقد أرسله لي.. كانت الصحفة الأولى من التقرير مكتوب عليها عبارة «نسخة ثانية» النسخة الأولى أرسلت للرئيس عبد الناصر بالطبع كانت هذه النسخة الأولى أمام هيكل وظهرت مقالتي صباح الخميس وهي تتضمن الكثير من هذا التقرير الذي أعدته المخابرات.

كان معنى ذلك أن أصبح شريكاً لهيكل في نشر كل التقارير والدراسات التي تصل إلي مكتب عبد الناصر حيث كانت نسخة أخرى توجد دائماً على مكتب المشير. إذن المسألة بالنسبة لهيكل لم تعد تحتمل أكثر.

● ألا يؤكد ذلك الانفراد الصحفي بأنك كنت رجل المشير في دنيا الصحافة؟ ومن ثم كانت كل الأسرار والمعلومات بين متناول أصابعك؟

■ قال: لقد سبق أن قال منير حافظ في روزاليوسف: «إذا كانت لعبد الناصر هيكل والأهرام فليكن للمشير حلمي سلام والجمهورية»، هذا غير حقيقي لسبب بسيط جداً أن المشير عامر يوم استدعاني كي يقول لي إن عبد الناصر عايزك تمسك دار التحرير كان في استطاعته أن ينسب هذا الفضل إلي نفسه لا إلى عبد الناصر.. إنما وهو النائب الأول لرئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة.. و.. لم يجد أدنى غضاضة أن يقول لي: الريس عاوزك تروح تمسك دار التحرير وهذا نفس ماقاله لي.. حاتم ثم عباس رضوان من بعده.

أيضاً عندما أعددت كشفاً بأسماء الصحفيين المنقولين وقدمته إلى المشير قال لي: أنا موافق على هذه الأسماء ولكن لابد من عرضها على الرئيس فربما كان له رأي آخر، وفعلاً اعترض عبد الناصر على نقل سامي داود وناصر النشاشيبي.

والأهم من ذلك أنني أعددت مذكرة تتضمن أربعة مطالب لرفع مستوى دار التحرير واتصلت به لتسليمه هذه المذكرة. وعندما قابلته وقرأ المذكرة قال لي: اتركها لي وسوف أرسلها لك بعد أيام.. كانت المذكرة تتضمن أربعة مطالب هي:

حل مجلس إدارة المؤسسة ومنحى جميع سلطاته. المطلب الثانى حل وحدات الاتحاد الاشتراكى الأربع الموجودة فى المؤسسة ودمجها فى وحدة واحدة. المطلب الثالث استعارة عدد من العاملين فى دار الهلال للعمل فى الجمهورية فى مرحلة إنقاذها. المطلب الرابع نقل بعض الضباط الذين كانوا يعملون بالمؤسسة إلى مؤسسات إنتاجية أخرى.

الغريب فى الأمر أنه بعد أيام عادت لى صورة فوتوغرافية من هذه المذكرة ولكن من مكتب عبد الناصر. وأمام كل مطلب كتب عبد الناصر بخط يده ملاحظته، أمام المطلب الأول كتب: أوافق، وأمام المطلب الثانى كتب: مستحيل.. وأمام المطلب الثالث كتب: يتفاهم حلمى مع أحمد بهاء الدين فى هذا الموضوع. وخاصة أن بهاء يشكو من الأوضاع فى دار الهلال. بالنسبة للمطلب الرابع كتب: أوافق.

معنى هذا باختصار أن عبد الناصر كانت له الكلمة الأولى والأخيرة فى عالم الصحافة. أما المشير فلم يكن له أدنى اهتمام بالصحافة أو الصحفيين. أكثر من هذا أنه طوال فترة وجودى فى دار التحرير لم يتصل بى المشير طالباً نشر خبر عنه أو أننى أجريت حديثاً معه. بالعكس أذكر أن مكتب الصحافة فى الاتحاد الاشتراكى وكان يرأسه البكباشى عبد الفتاح أبو الفضل كتب ينتقد فى أحد التقارير اليومية أن الجمهورية لم تنشر خبراً عن المشير أنه عمل كذا أو كذا.. بينما الخبر كان منشوراً.. يعنى هناك نقد من بعض الجهات أننى أتجاهل نشر أخبار المشير عامر.

● وما حكاية المباحث الجنائية والعسكرية والشرطة العسكرية التى طلبتها كى ترابط فى دار التحرير ليل نهار؟

■ قال: لعل البعض لا يذكر أن نشاط المباحث الجنائية والعسكرية فى مجال الحياة العامة بدأ منذ عام ١٩٦٢ حينما قال عبد الناصر فى أحد خطاباته أنه سيوجه المباحث إلى المجمعات الاستهلاكية ثم تدخلت فى مؤسسات القطاع العام مثل المطاحن. ثم أشرفت على مرفق النقل فى عام ١٩٦٤.

لدرجة أن بعض أعضاء مجلس الأمة اعترض على تدخل الجيش فى الأعمال

المدنية بحجة إصلاح الفساد فى مؤسسات الدولة.

بالنسبة لما حدث فى الجمهورية فقد كانت بها أخطاء كثيرة واختلاسات و... و... فكتبت للمشير مذكرة بكل هذه الأشياء. فقام بتحويلها إلى عبد الناصر، لم يكن المشير يستطيع أن يأمر بتحريك الشرطة العسكرية أو المباحث إلا بعد موافقة عبد الناصر نفسه.. لأن عبد الناصر أصدر قانون الضبطية القضائية الذى بموجبه تباشر الشرطة العسكرية عملها فى المؤسسات المدنية. وهل نسى البعض أن عبد الناصر نفسه هو اذى أنعم على الشرطة العسكرية الجنائية بوسام الجمهورية تكريماً لدورها فى ضبط الاختلاسات والفساد فى بعض المؤسسات.

● قلت : وهل قرر عبد الناصر فصلك بعد أن نشرت محضراً لجلسة سرية عقدها فى مجلس الأمة ودعا إليها عدداً محدوداً من قادة القوات المسلحة والمحافظين ورؤساء تحرير الصحف يوم ١٧ مايو ١٩٦٥ ودخل ذلك فى دائرة الصراع الخفى بين الرئيس والمشير.. (حسبما تقول رواية أحمد حمروش فى كتابه مجتمع عبد الناصر).. أم لأنك نشرت نص ما جرى فى تلك الجلسة لأن التوجيهات كانت تأتى إليك من مكان آخر غير رئاسة الدولة.. بل من الرئاسة الثانية مكتب المشير عامر، وهذا ما جعل عبد الناصر يقول: «قريت الكلام.. لقيته ناقل محضر الجلسة بالكامل وفيه أخطاء كثيرة فى النقل، والجرايد التانية مافيهاش حاجة.. لسه طبعاً مستنية التعليمات.. رفعت السماعة وطلبت حاتم، وقلت له: قول لحلمى سلام يقعد فى بيته». حسبما تقول رواية منير حافظ الرجل الثانى بعد سامى شرف فى مكتب معلومات عبد الناصر؟

■ قال لى حلمى سلام: كان ذلك يوم الأحد ١٦ مايو عام ١٩٦٥، وكان أنور السادات هو رئيس مجلس الأمة وقتها وقد دعا ضمن الذين دعاهم لحضور هذه الجلسة السرية لمجلس الأمة القيادات الصحفية فى ذلك الوقت وهم: هيكل «الأهرام» خالد محيى الدين «أخبار اليوم» أحمد بهاء الدين «دار الهلال» أحمد

فؤاد «روزاليوسف» وحلمى سلام «دار التحرير».

كان المفروض أن يتحدث عبد الناصر ساعتين، فتحدث حوالى خمس ساعات كاملة، كان متعباً وحزينا، فمصر على أبواب أزمة اقتصادية، أمريكا تحاول الضغط على مصر و... و... وقواتنا فى اليمن تواجه موقفاً صعباً.

قال لنا عبد الناصر: «لقد دعوتكم إلى هذه الجلسة التى أردتها سرية لتكونوا على بينة بما يجرى حولنا من أمور، ولتكونوا أيضاً على معرفة بحقيقة المؤامرات التى تدبر لنا، وبحقيقة الأرض التى نقف عليها وما سوف أقوله فى هذه الجلسة ليس كله للنشر، لكن ما ينشر منه متروك لتقديركم الخاص - كان عبد الناصر لحظتها ينظر ناحية القيادات الصحفية - وواجب الجميع هنا أن يوصلوا ما سوف أقوله إلى قواعدهم».

هذا ما قاله عبد الناصر فى بداية الجلسة السرية.. ثم قال عبد الناصر أشياء خطيرة بالفعل.. عقب انتهاء الاجتماع توجهت إلى الجريدة وكتبت تقريراً - فى إطار تقديرى الشخصى لما ينشر من حديث الريس - وأشرت إلى أشياء كان تقديرى أنه يجب على القواعد - أى القراء أن يحاطوا علماً بها.. واستبعدت أشياء.

فى اليوم التالى ١٧ مايو عقد اجتماع آخر كان مخصصاً للإجابة عن اسئلة أعضاء مجلس الأمة. ولم أحضر تلك الجلسة - للأسف الشديد - ففى نهايتها عاد عبد الناصر وقرر بألا ينشر شىء عما دار فى الجلستين إلا ما سوف يذيعه رئيس مجلس الأمة وهو أنور السادات، وأصدر مكتب الصحافة تعليمات إلى كل الصحف بحظر نشر ما دار فى الجلستين.. هذه التعليمات أخفيت عنى تماماً فى الجمهورية، ولم أعلم بصدورها، وبالتالى اعتبرت أن قرار عبد لناصر هو النشر فى حدود التقدير الشخصى.

كان هناك هاجس يسيطر على أن شيئاً ما حدث فى تلك الجلسة الثانية.. اتصلت بمكتب المشير عامر فقيل لى غير موجود، اتصلت بمنزله فقالوا لى إنه بمنزل عبد الناصر.. اتصلت بمحمود فهيم سكرتير عبد الناصر وأبلغته بضرورة الاتصال بالمشير فقال لى: مستحيل الآن لأنه فى اجتماع مع الرئيس فأبلغت

الرجل بأن يبلغ المشير أننى أريده فى أمر هام لا يحتمل التأجيل.

وظللت منتظراً بمكتبى حتى الساعة الواحدة صباحاً.. ووصلت إلى ساعة الصفر. إما أن نطبع الجريدة الآن حتى تصدر فى موعدها أو لا تصدر فى الغد بالمرة.. وتوكلت على الله وأمرت بالطبع، وكان التقرير الذى كتبته عما دار فى جلسة أمس الأول يغطى مساحة خمسة صفحات وكانت عناوينه الرئيسية تقول:

«عبد الناصر ماذا قال لمجلس الأمة؟».

«الرئيس يستعرض فى صراحة كل التحديات التى تواجهنا فى الداخل والخارج».

«أمريكا تضغط علينا عن طريق القمح ولكننا سنستغنى عن القمح الأمريكى ونعتمد على أنفسنا».

«الثورات والانفجارات فى ليبيا وعدن والبحرين تحركها العناصر الثورية فى هذه البلاد».

«العمل السياسى وحده هو القادر على حل جميع المتناقضات. تناول عبد الناصر أيضاً - وكان من بين ما نشرته - الجوانب الإيجابية والسلبية فى تجربتنا الثورية، والقطاع العام، وطرح الرئيس فكرة للبحث تقول: هل تتكون مجموعة للمعارضة داخل مجلس الأمة.. وقال إن العمل السياسى وحده هو الذى يحل جميع المتناقضات».

فى حوالى الثامنة والنصف صباحاً.. وبينما أن مستعد للتوجه إلى الجريدة رن جرس التليفون.. كان المتحدث هو د. حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام، وقال لى بالحرف الواحد: سيادة الرئيس بيطلب منك أن تعتبر نفسك فى أجازة مفتوحة ابتداء من اليوم.. وسوف يتولى رئاسة مؤسسة دار التحرير بدلاً منك الأستاذ مصطفى بهجت بدوى.

صعقت وسألته: لماذا يا دكتور حاتم؟

جملة واحدة حاسمة كانت رده.. أنت عارف أن سيادة الرئيس مش بيقول عادة ليه!

أعدت تقليب صفحات الجمهورية لعلنى أجد سبباً واحداً يفسر لى ذلك القرار فلم أجد.. اتصلت بالمشير عامر فى منزله.. كان لا يزال نائماً وكنت أعرف أن من

عاداته أنه لا يستيقظ إلا مع الظهر، اتصلت بمكتبه ورد على شمس بدران مدير مكتبه، ورويت له تليفون حاتم وطلبت منه إبلاغ ذلك للمشير، ثم يقول لى أسباب قرار عبد الناصر.. وقال لى شمس بدران: هل حضرت الجلسة السرية الثانية التى عقدها الرئيس؟ فقلت: لا. فقال: فى هذه الجلسة عاد عبد الناصر وألغى موافقة النشر على كل ما قاله.. وأن هناك تعليمات صدرت للصحف بذلك فعلاً.. ألم تصلك هذه التعليمات؟

قلت له: لم تصلنى أية تعليمات.. وأتحدى أى مسئول فى الدولة أن يثبت أنه كلمنى بشأن عدم النشر..

وقال الرجل: إذن اكتب مذكرة توضح فيها موقفك.. وأرسلها لى وسأتوجه بها «لمقابلة الريس» ليزول سو الفهم الذى حدث، لاحظ أنه قال الريس ولم يقل المشير عبد الحكيم عامر.

كتبت مذكرة فعلاً وتسلمها شمس بدران.. وبعد حوالى ساعتين اتصل بى قائلاً: شوف ياعم حلمى هناك شخص أيقظ عبد الناصر فى حوالى الخامسة فجراً وأخبره أنك نشرت تفاصيل الجلسة بالكامل.. وأن وكالات الأنباء ترسل بتلك المعلومات إلى صحفها فى الخارج.. فهل نصادر الجمهورية أم ماذا نفعل؟ وقال عبد الناصر للشخص: نسيب كل حاجة ماشية وبلغوا حلمى سلام إنه يقعد فى البيت!

ما الآن فالريس قد قرأ مذكرتك وفهم كل شيء وبيقول لك: هاردلك.. وكل شيء بيتصلح.. ثم نصحنى شمس بدران بأن أظل فى بيتى حتى لا أدع لأحد الفرصة أن يقول على لسانى كلاماً يزيد من غضب الرئيس.

ولعله مما يضع أمامك ألف علامة استفهام وتعجب أن تعلم أن «هيكل» اتصل بى تليفونياً فى نفس اليوم مواسياً ومشجعاً، فإذا علمت أنه على مدى عشرين سنة كاملة من الزمالة مع هيكل حدثت لى خلالها أحداث كثيرة مفرحة ومحزنة دون أن يفكر مرة فى الاتصال بى مهنئاً أو معزياً.. إذا علمت ذلك كان لك أن تتوقف وتسأل: ماذا كان يقصد هيكل من وراء هذا الاتصال؟ وماذا كان يريد أن يقول.. كان يريد أن يقول أنا هنا!

وأنا الآن أتساءل: هل كان الشخص الذى أيقظ عبد الناصر فى الساعة

الخامسة فجراً وأبلغه بما نشر هو د. حاتم أم كان «هيكل»؟ أنا شخصياً استبعد تماماً أن يكون حاتم لأنه لا يستطيع إيقاظ عبد الناصر فى مثل تلك الساعة.. أما هيكل فقد كان يستطيع أن يكلمه فى أى وقت يشاء وأن يقابله حتى دون موعد مسبق..

وفى تلك الأيام كان هناك صراع على القمة بين الرجلين، وفى الحقيقة أن الصراع كان بين رجال الصف الثانى: سامى شرف.. محمد فوزى.. على صبرى وآخرين.. وأحسست أننى دخلت شوارع الصراع خطأ وغضب عنى، فالتزمت الصمت، وكان بجوار عبد الناصر من يحاول إقناعه دائماً بأن المشير ورجاله تحولوا إلى مركز قوة ضخم.. وإننى رجل المشير فى الصحافة.. وهكذا.

● قلت: ألم يحدث وقابلت عبد الناصر أبداً بعد ذلك؟

■ قال: لا.. ولكن بعد ذلك بأربع سنوات - فى عام ١٩٦٩ - مرضت ابنتى نادية وكانت طالبة بكلية الاقتصاد مرضاً خطيراً، صرفت عليها كل ما أملك، وصار لدى المستشفى ديوناً علىّ قدرها ثلاثة آلاف جنيه، ولم أكن أملك منها مليماً واحداً. وكان من المستحيل خروج ابنتى من المستشفى قبل تسديد هذا الدين، فجأة خطر ببالى أن أكتب خطاباً لعبد الناصر أشرح له عذابى وحيرتى.. وكتبت الخطاب وسلمته إلى سامى شرف مدير مكتبه، ورويت له ما بداخله وضرورة أن يطلع عليه الرئيس بسرعة. وعدت إلى منزلى.. وعند الظهر تقريباً اتصل بى تليفونياً سامى شرف، وقال: الريس قرأ جوابك ويتمنى لنادية الشفاء.. وأنه أمر بأن تتحمل رئاسة الجمهورية كل نفقات العلاج والإقامة فى المستشفى وأن قراراً بهذا صدر وتم إرساله فعلاً إلى مدير المستشفى.

ردود على حلمى سـلام

على مدى ثمانية أسابيع نشرت ذكريات «حلمى سلام» فى مجلة «صباح الخير» خريف عام ١٩٨٥ ثم تلقت المجلة ردوداً وإيضاحات فى غاية الأهمية.

لم يتوان الأستاذ الكبير «لويس جريس» رئيس التحرير فى نشرها كاملة. وأفرد لها صفحات وصفحات.

وفيما يلى جميع الردود والتعليقات التى أثارتها ذكريات حلمى سلام..

١ ممدوح رضا : أبلغنى المشير عامر بقرار تعيينى !

كتب ممدوح رضا رئيس مجلس ادارة دار التعاون:

الأخ الزميل لويس جريس..

اطلعت فى لعدد الماضى من صباح الخير على ذكريات للأستاذ حلمى سلام، تضمنت معلومات، لى عليها تعليقات وتحفظات كثيرة.

كذلك، فقد تضمنت هذه الذكريات، واقعة عرفتها من «صباح الخير» لأول مرة، وهى: أنه رشحنى للعمل فى الجمهورية مع غيرى من الزملاء، فى نفس المذكرة التى رشح فيها زملاء آخرين من الكتاب والصحفيين للنقل من الجمهورية إلى مؤسسات أخرى.

وأود أن أوضح تعليقاً على ما ذكره الأستاذ سلام، أنه عندما تقرر تعيينى فى الجمهورية - قبل ما يزيد على العشرين عاماً - كنت أتولى رئاسة الشئون السياسية بروزاليوسف بالإضافة إلى عضويتى بمجلس إدارة المؤسسة - كما كنت عضواً بلجنة الاتحاد الاشتراكى لمنطقة قصر النيل ومسئولاً عن المنطقة فى لجنة محافظة القاهرة.

وبسبب هذه المسئوليات، لم يكن فى استطاعتى أو فى استطاعة الأستاذ سلام المطالبة بنقلى من روزاليوسف وبالتالى من منطقة قصر النيل، للعمل فى الجمهورية أو أى جريدة أخرى!

وقد تم تعيينى فى الجمهورية، مديراً لتحريرها، ثم رئيساً لتحرير العدد الاسبوعى - فى نفس العام - بقرار من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، أبلغنى به المغفور له المشير عبد الحكيم عامر - وذلك بسبب الفراغ الضخم الذى أحدثه نقل مجموعة من أكبر وأهم كتاب وصحفيى الجمهورية فى ذلك الوقت، إلى مؤسسات غير صحفية.

ويشهد بصحة ذلك ملف عملى، وكل من السيد الدكتور عبد القادر حاتم والمهندس حسن عامر.

والأمر الآخر الذى أود أن أوضحه أننى لم أعرف الأستاذ سلام عن قرب، وبالتالى لم أعمل معه، إلا عند تعيينى فى الجمهورية، وقد انتهت علاقاتنا بإنهاء عمل سيادته بالجمهورية.

رجاء نشر هذا الإيضاح، إلى أن تسمح ظروف العمل.. بالرد على بعض ما تضمنته هذه الذكريات.

٢ حلمى سلام: أنا الذى رشحت ممدوح رضا للجمهورية

وكتب حلمى سلام يرد على ممدوح رضا يقول:

قرأت ما كتبه الأستاذ ممدوح رضا، فى العدد الماضى من «صباح الخير» تعليقاً على وجود اسمه بين اسماء الزملاء الصحفيين الذين كنت قد رشحتهم للعمل معى فى جريدة «الجمهورية» نقلاً من المؤسسات الصحفية الأخرى، ولى على ذلك التعليق الملاحظات التالية التى أرجو أن تأذن بنشرها:

■ أولاً: ثابت من «الوثيقة الرسمية» التى نشرت «صباح الخير» بضعة من سطورها، إننى أنا الذى رشحت الأستاذ رضا للنقل إلى «الجمهورية».. وقد تم نقله إليها بدءاً من هذا الترشيح . ولم يتم – تأكيداً – بناء على (قرار فوقى) . وقد رشحت الأستاذ رضا للنقل إلى «الجمهورية» ليكون «مخبراً سياسياً» لها. إذ كان هذا (العنصر الصحفى) واحداً من العناصر التى كانت الجريدة تفتقدها.

■ ثانياً: لم أعلم، قبل اليوم، أن تعيين مديرى لتحرير فى الصحف والمجلات.. وكذلك رؤساء تحرير الأعداد الأسبوعية من الصحف اليومية، كان يتم بقرارات يصدرها عبد الناصر. فلقد كان هذا – وأعتقد أنه ما يزال – أمراً من اختصاص وسلطات رؤساء مجالس إدارات الصحف وحدهم.. وإذا كان الأستاذ رضا قد صدر له – استثناء من كل الصحفيين.. فى كل المؤسسات الصحفية – قرار من عبد الناصر بأن يكون مديراً لتحرير (الجمهورية) اليومية، وقرار آخر بأن يكون رئيسا لتحرير العدد الأسبوعى منها، فإننى سوف أكون أسعد الناس بأن أرى صورة من أى من هذين القرارين الذين لابد أن يكون محتفظاً بهما، منشورة على صفحات «صباح الخير». فذلك يتيح لى أن أعلم شيئاً لم يتح لى من قبل أن أعلمه.

■ ثالثاً: عن نفسى – كرئيس لمجلس إدارة المؤسسة – فإننى لم أصدر قراراً بتعيينه مديراً لتحرير (الجمهورية) اليومية. فلقد كان لها مدير تحريرها الذى احتفظت به من بين زملاء أربعة كانوا يشغلون هذه الوظيفة، قبل أن أتولى رئاسة المؤسسة، وهو الأستاذ عبد

العزيز عبد الله الذى ظل يقوم بمسئولية هذا العمل، منذ اللحظة التى ذهبت فيها إلى «الجمهورية».. حتى اللحظة التى تركتها فيها.

■ رابعاً: استطيع أن أؤكد إننى - بوصفى رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة - لم أصدر قراراً بتعيينه رئيساً لتحرير العدد الأسبوعى من «الجمهورية»، فلم يكن مما أسيغه من نفسى، ولا مما يسيغه منى انضباط العمل نفسه.. أن اصدر قراراً كهذا فى وجود كتاب وصحفيين أكفاء مثل: يوسف إدريس، ومحمد عودة، ومحمد محبوب، وفيليب جلاب، وسامى داود، ومحمد العزبى، وابراهيم نوار الذى كان أحد رؤساء تحرير العدد اليومى الذين أعفوا من مسئولياتهم كرؤساء التحرير بمقتضى صدور قرار عبد الناصر بتعيينى رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة، ورئيساً لتحرير الجمهورية، هذا فضلاً عن أننى كنت محتفظاً لنفسى - وبالكامل - بكل مسئوليات رئيس التحرير للعددين اليومى والأسبوعى. وما كان ممكنا - فى ظل تلك الظروف غير الطبيعية التى كانت تحيط بى فى الجمهورية.. والتى بسببها طلبت من الرئيس عبد الناصر، بعد فترة من العمل، حل مجلس إدارة المؤسسة ومنحى جميع سلطاته، وقد أجابنى الرئيس الراحل إلى طلبى - أقول إنه ما كان ممكناً، فى ظل تلك الظروف، أن أتنازل عن شيء من مسئولياتى لأحد مهما بلغت درجة معرفتى به، فما بالك بالأستاذ رضا الذى بدا حريصاً فى تعليقه الذى بعث به إليكم، على أن يؤكد أنه لم تكن له معرفة بى قبل أن يأتى إلى «الجمهورية»، وأنه لم تعد له معرفة بى بعد أن تركها.. وهذه حقيقة: فعلاً لم أكن أعرفه قبل «الجمهورية». ولم أعد أعرفه بعدها.

٣ ميشيل جرجس: أسرار مذبحة الصحفيين

انتشرت الشائعات داخل دار التحرير وخارجها عن بعض الأسماء المرشحة لمنصب رئيس مجلس الإدارة إلى أن وصل ذكر حلمى سلام بين المرشحين.

وفى جلسة مع بعض الزملاء فى الجريدة ذكر اسم حلمى سلام عدة مرات. فطلب أحد الزملاء منى الاتصال تليفونياً للتأكد من الخبر.. وفعلاً اتصلت به تليفونياً وكانت المكالمة على النحو الآتى:

● قلت: فيه خبر أنك ستتعين رئيس مجلس الإدارة.

■ حلمى سلام: هذا المنصب يطاردنى من عام.

● قلت: أنا سمعته الآن فقط.

■ حلمى سلام: ما رأيك؟

● قلت: المنصب كبير عليك.

فأنهى حلمى المكالمة.

وبعد أيام صدر قرار من الرئيس جمال عبد الناصر بتعيين حلمى سلام رئيس مجلس إدارة دار التحرير. وكان في ذاك الوقت في المصيف ببورسعيد، وذات مساء اتصلت بى السكرتيرة وطلبت منى الحضور لمقابلة حلمى سلام فاعتذرت على أن تكون المقابلة صباح اليوم التالى، وفى اليوم التالى توجهت إلى مكتبه فوجدته واضعاً صورة المشير عامر فوق رأسه والرئيس الراحل على الحائط المقابل لمكتبه فاندهشت إلا أننى تذكرت كلمة أحد الزملاء عندما صدر قرار تعيينه بأن قال: لى إن حلمى سلام يريد أن تكون الجمهورية خاصة بالجيش.

وفى هذه المقابلة، قال حلمى سلم: أنا عايزك تكتب لى تقريراً عن كل صحفى فى المؤسسة باعتبارك أمين اللجنة الآن.

● قلت: أسف لم أكتب تقارير لأحد فى حياتى.

■ قال: إذن أنت غير متجاوب.

● قلت: إذا كان الامتناع عن كتابة التقارير فى نظرك يعنى عدم تجاوب فأنا أرحب بذلك وانصرفت من مكتبه.

وبعد أيام بدأت الشائعات حول نقل بعض الصحفيين والكتاب من الجمهورية إلى أعمال غير صحفية.. وخلال هذه الأيام كانت الاتصالات مستمرة بين حلمى سلام ومحمد على بشير لترشيح هذه الأسماء للتخلص من العناصر الجريئة التى تقاوم الفساد فى المؤسسة.

وهنا برزت المصالح المشتركة.. حلمى سلام يريد التخلص من هذه العناصر عن طريق قرارات من رئيس الوزراء على صبرى، ومحمد على بشير على اتصال برئيس الوزراء ويريد أن يحصل على منصب، وفعلاً صدر قرار من حلمى سلام بتعيين محمد بشير مديراً للمؤسسة بعد أن كان مديراً عاماً لشركة الإعلانات المصرية التابعة للمؤسسة.. وخاصة بعد إعلان عن انتخابات لمجلس إدارة المؤسسة.

ومن هذا الموقع.. طلب محمد على بشير مقابلتى مقابلة خاصة، وفى هذه المقابلة طلب منى باعتبارى أميناً للجنة إبلاغ المرشحين لمجلس الإدارة أن المجلس الجديد سيعين ولن تجرى انتخابات إلا داخل الشركات التابعة للمؤسسة، وأنه سيعمل على تعيينى عضواً فى مجلس الإدارة الجديد لدار الجمهورية للصحافة بشرط إعلان انسحابى من الانتخابات فرفضت.

وبعد أيام قليلة صدر قرار من حلمى سلام بتعيين محمد على بشير عضواً منتدباً للمؤسسة تمهيداً لتنفيذ المذبحة. وقد جاء على لسان حلمى سلام فى حديثه بأنه كتب قائمة بأسماء الصحفيين المطلوب نقلهم من دار الجمهورية إلى المؤسسات الصحفية الأخرى فى أضيق الحدود على أسس ثلاثة هى:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● أولاً: صحفيون يتزعمون أحزاباً وشللاً.

● ثانياً: صحفيون لا يمكن لأسباب متعددة التعاون معهم.

● ثالثاً: صحفيون لا حاجة للجريدة إليهم ويمثلون بالنسبة لها عبئاً مالياً باهظاً.

والحقيقة تخالف هذه المعلومات، فهو رشح هذه الأسماء لأنه يخشى كفاءة البعض، وعدم التعاون مع اسماء معينة تعمل على مقاومة الفساد، كما أن أغلب هؤلاء الصحفيين عينوا فى دار الجمهورية بعد إغلاق صحف القاهرة والشعب والمصرى، ولا ذنب لهم فى هذه التصرفات، أما الأعباء المالية فقد كانت بسبب التغييرات المستمرة لرؤساء مجالس الإدارات وكل رئيس يعين شلة خاصة به.

وكان اهتمام حلمى سلام بعد تعيينه ينحصر فى نقاط مهمة هى: صورة المشير فى حجرته وسيارة من المؤسسة تسير خلف سيارته من منزله إلى المؤسسة حتى داخل الفناء المقابل للمصعد، وجرس خاص لنزول المصعد بمجرد وصوله وتعيين بعض الصحفيين من الإذاعة، ومنهم عبد الوهاب عبد ربه، ورشيد الليثى المدرس الذى كان يعطى أولاده الدروس الخصوصية، والأهم من هذا كله شطب أسماء رؤساء التحرير من الترويسة ووضع اسمه وحده على الجريدة ونقل الصحفيين خارج الجمهورية.

والمعروف أن الجريمة تتم على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى التفكير، والثانية التدبير، والثالثة التنفيذ. فالتفكير فى ذهن حلمى سلام والتدبير كان بالمشاركة مع محمد على بشير لترشيح الأسماء المطلوب نقلها، والتنفيذ كان بواسطة محمد على بشير العضو المنتدب بقرارات من رئيس الوزراء على صبرى.

فقد بدأت الفكرة بعقد عدة اجتماعات فى مكتب شمس بدران لاستعراض الموقف فى جريدة الجمهورية حول العناصر التى لا يستطيع حلمى سلام التعاون معها. وخلال هذه الاجتماعات أعلن حلمى سلام صراحة أنه يطلب إبعاد بعض الصحفيين والكتاب من جريدة الجمهورية بأى ثمن، فبحث الموضوع على أساس توزيعهم على المؤسسات االصحفية الأخرى فاعتذر رؤساء مجالس إدارات الصحف، ثم عرض الموضوع على رئيس الوزراء على صبرى فاقترح تعيينهم كمديرين للعلاقات العامة بالمؤسسات والشركات التابعة لهم، وتمت المذبحة الأولى فى سبتمبر ١٩٦٤ بخطابات إلى الصحفيين والكتاب موقعاً عليها من محمد على بشير باعتباره عضواً منتدباً للمؤسسة وبالاتفاق مع حلمى سلام الذى خشى التوقيع على هذه الخطابات!

وبعد عدة أشهر تمت المذبحة الثانية فى مارس ١٩٦٥ باستبعاد العناصر التى كانت تنتقد هذا الاسلوب، وخشية أن يواجه حلمى سلام بمتاعب أخرى، فقد استخدم أسلوب الإرهاب بأن طلب بعض وحدات الشرطة العسكرية من البوليس الحربى بملابسهم الرسمية داخل المؤسسة للإرهاب، وقد تمت عمليات إرهاب واعتقالات لبعض الزملاء!

وخلال هذه العمليات، قمنا بنشاط مكثف ضد حلمى سلام مع المسئولين فى الدولة ولجأنا إلى القضاء، إلى أن اكتشف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ضعف حلمى سلام فى المؤسسة من جميع النواحى وخاصة العمل الصحفى لأنه لم يسبق له العمل فى الصحف اليومية على الإطلاق وكل خبرته الكتابة فى مجلة المصور ومجلة الإذاعة، وعلى أثر ذلك بدأ التفكير فى دعم الناحية الفنية الصحفية لعلاج هذه المشكلة فى جريدة الجمهورية، وقد رؤى الاستعانة بالأخ ممدوح رضا من مؤسسة روزاليوسف كمدير لتحرير الجمهورية، غير أن هذا التعيين صادف عقبة وهى أن الزميل ممدوح رضا كان عضواً فى مجلس إدارة مؤسسة روزاليوسف فى ذاك الوقت ويتطلب الأمر من القيادة السياسية صدور قرار بنقله إلى الجمهورية وفعلاً صدر هذا القرار.

وكان حلمى سلام لا يحضر إلى مكتبه فى المؤسسة سوى ساعة واحدة فقط فى النهار، وفى المساء يتصل تليفونياً من منزله لمعرفة المانشيت قبل الطبع!

ولجأت إلى القضاء.. بعد أن امتنع مكتب العمل عن إرسال التحقيق إلى القضاء لنظر الدعوى – وكان وزير العمل فى ذلك الوقت قد طلب التحقيق واحتفظ به فى مكتبه إلا أن القضاء فى أول جلسة للقضية أمر بضم هذا التحقيق إلى القضية وفعلاً نفذ قرار المحكمة بإرسال التحقيق من مكتب الوزير للمحكمة.

ومع الأسف الشديد.. توجه الزملاء إلى عملهم الجديد فى المؤسسات والشركات ما عدا خمسة كنت واحداً منهم وقد فصلت من العمل الجديد بعد ١٥ يوماً، وصممت على الاستمرار فى الدعوى ضد العدوان على القانون وتنظيم الصحافة وفى الوقت نفسه قمنا بجمع توقيعات من الصحفيين فى جميع المؤسسات الصحفية لعقد جمعية عمومية غير عادية لمناقشة هذه المذبحة، وقد اجتمعت الجمعية العمومية فى أول اجتماع بعدد كبير لم يسبق له مثيل وبعد المناقشة قررت فصل حلمى سلام من عضوية النقابة وأبلغ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بهذا القرار فى أسوان.

وقصة إغلاق جريدة المساء.. هى فى الحقيقة أنه حدث أن وقع حلمى سلام منشوراً تم توزيعه داخل المؤسسة يفيد أن الدكتور محمد عبد القادر حاتم قرر إغلاق جريدة المساء، وعلى أثر هذا أرسل عدد كبير من الصحفيين العاملين بجريدة المساء برقيات إلى الدكتور حاتم احتجاجاً على هذا القرار.

وبعد أيام من هذه الواقعة، أعلن عن انعقاد هيئة برلمانية برئاسة الراحل جمال عبد الناصر، وقبل انعقاد الهيئة بأيام قدم بعض النواب عدة اسئلة للرئيس الراحل للإجابة عنها، وكان بين هؤلاء النواب الزميل أحمد حرك الصحفى بالجمهورية، ويتلخص السؤال عن أسباب نقل الصحفيين، وإغلاق جريدة المساء.

وقد تحدث الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أمام الهيئة البرلمانية عن هاتين المشكلتين فقال: «إذا كان هناك خطأ فى تنفيذ النقل فأنا غير مسئول، لأن النقل كان باتفاق على أساس أعمال صحفية، وبالنسبة لموضوع جريدة المساء، فقد قررنا إعادة النظر فى هذا الموضوع، والحقيقة أن حلمى سلام قال إن جريدة المساء بتخسر ولا حل لها إلا الإغلاق فأنا وافقت على طلبه ولما طلبت من الدكتور حاتم تنفيذ القرار زارنى فى منزلى وطلب منى استمرار الجريدة فى الصدور على مسئوليته وإزاء هذا الرجاء وافقت على طلب الدكتور حاتم.

وعلى أثر تصريحات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر توجه الزميل أحمد حرك عضو مجلس الأمة السابق إلى الزملاء فى جريدة المساء وسرد لهم ما حدث من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وتوجهوا جميعاً إلى الدكتور حاتم معتذرين عن سوء الفهم وشاكرين لمجهوداته لاستمرار الجريدة فى الصدور.

وبعد عدة أيام، طلب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عقد اجتماع لرؤساء تحرير الصحف لشرح مشكلة القمح مع أمريكا. وطلب منهم الكتابة فى هذا الموضوع، وكتب الجميع ما يقصده الرئيس الراحل عبد الناصر ما عدا حلمى سلام الذى كتب كلاماً مخالفاً تماماً بل وضع اسمه على الموضوع. وعلى أثر صدور الجريدة اتصل الرئيس عبد الناصر بالدكتور حاتم فى السادسة صباحاً وطلب منه الاتصال بحلمى سلام لإبلاغه بفصله من مؤسسة دار التحرير، ولما كان حلمى سلام محبوباً من الصحفيين والعمال بالمؤسسة فقد ذهبوا بالموسيقى إلى منزله للتهنئة.

٤ أحمد حرك: لولا د. حاتم لأغلق عبد الناصر «المساء»!

وكتب أحمد حرك «رئيس تحرير جريدة العمال»:

تابعت مع قراء المجلة ذكريات الأستاذ حلمى سلام وكنت أتمنى أن يقف بهذه الذكريات حتى يوم تعيينه فى دار التحرير ولا يروى شيئاً عن مذبحة الصحفيين وذلك إشفاقاً على الرجل فى شيخوخته ولكنه روى فى مذكراته وخاصة العددين الآخرين بعض الوقائع التى لابد من التصدى لها وتصحيحها لأنها تاريخ.. والأمانة الصحفية تقتضى أن تصحح هذه الوقائع بخاصة أن أغلب شهودها والحمد لله أحياء حتى الآن.

قال الأستاذ حلمى سلام: إننى بوضعى عضواً فى مجلس الأمة قدمت سؤالاً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر بشأن ما جرى للصحفيين، وقال سيادته إن الرئيس عبد الناصر قال لى إنه هو المسئول وأن حلمى سلام ليس مسئولاً.

وأحب ن أذكر الوقائع كاملة.. إنه قد أعلن قبل هذه الجلسة بشهر عن لقاء الرئيس عبد الناصر بأعضاء مجلس الأمة فى جلسة للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى وهى جلسة لا يحضرها سوى الأعضاء والمسئولين ومن يوجه لهم دعوة خاصة ولا يحضرها مندوبو الصحف فى البرلمان.. وعدد قليل من موظفى المجلس وطلب الرئيس أنور السادات وكان رئيساً للمجلس أن من يرغب فى توجيه أسئلة للرئيس عبد الناصر يكتبها ويقدمها لرئاسة المجلس.

وقدمت سؤالين أحدهما: عن سبب نقل الصحفيين من جريدة الجمهورية إلى مؤسسات غير صحفية. والثانى: عن قرار إغلاق جريدة المساء.

وكان الأستاذ حلمى سلام قد أصدر منشوراً فى المؤسسة بأن الدكتور عبد القادر حاتم أمر بإغلاق جريدة المساء وحدد لذلك فترة زمنية كى يتم نقل محرريها أسوة بما اتبع مع الزملاء الصحفيين من جريدة الجمهورية، وثار محررو المساء وكتبوا برقيات شديدة اللهجة للدكتور حاتم على قراره.

ورفعت الاسئلة من رئاسة مجلس الأمة إلى الرئيس عبد الناصر الذى حدد موعداً لاجتماع الهيئة البرلمانية.

وقبل هذا الاجتماع عقدت جلسة سرية فى المجلس شهدها المرحوم المشير عبد الحكيم عامر لشرح حرب اليمن، وبعد الجلسة السرية قابلته ومعه المرحوم الرئيس السادات وناقشته فى الموضوعين اللذين كتبت سؤالين بشأنهما للرئيس عبد الناصر ويشهد على هذا اللقاء المثير الزميل الصحفى المصور طاهر حفنى رئيس قسم التصوير بالجمهورية وقد سجله بعدسته وسمع كل الحديث وقال المشير عامر رحمه الله هذه القضية ورطنى فيها حلمى سلام وهو الذى اقترح الأسماء واشترط عدم قبوله رئاسة المؤسسة إلا بنقل هؤلاء.. ولقد وضحت الصورة الآن لى وأعطنى فرصة من الوقت لأصحح هذا الخطأ، وقد بشرت زملائى الذين نقلوا بهذا الحديث وهذا الوعد من المشير الذى قطعه على نفسه أمام عدد من المسئولين بعد نقاش طويل وحاد.. وبعدها بعدة أيام عقدت جلسة الهيئة البرلمانية، وبدأ الرئيس جمال عبد الناصر يتلو السؤال ويجاوب:

وعندما وصل إلى اسئلتى كان غاضباً جداً وأيضاً المشير كان غاضباً لأنه اتفق معى على حل القضية ولماذا أسأل فيها الرئيس عبد الناصر، والحقيقة أننى قدمت الاسئلة قبل لقاء المشير عامر. وأما ما أغضب الرئيس فهو تقرير شعرت أنه من المباحث الجنائية العسكرية والتى استخدمها حلمى سلام فى دار التحرير وقامت بالاعتداء على الأربعة المصورين وعلى الأستاذ إسماعيل شوقى مدير عام المطابع وهو رجل فاضل وعلى طبيب المؤسسة والمرضين وأشاعت الرعب فى المؤسسة. فقد كتبت تقريراً للرئيس عبد الناصر إننى فى اجتماع الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين قد هاجمت الرئيس والمشير. وأوضحت للرئيس أن هذا لم يحدث

إطلاقاً ولهذا استشهد بتقرير المباحث العامة، وقال الرئيس عبد الناصر إننى لم أتطوع بنقل الصحفيين ولكن الأستاذ حلمى سلام اشترط لرئاسة المؤسسة نقل هؤلاء وأنه لا يوجد بين الرئيس وبين أى صحفى أى موقف ولكنه طلب أن ينقلوا بنفس مرتباتهم فى وظائف العلاقات العامة وأن حلمى سلام كتب أن هذا هو الحل الوحيد لإنقاذ الجمهورية من الإغلاق وهى جريدة الثورة، وليس هذا مجالاً لنشر الحديث بالكامل بينى وبين عبد الناصر ولكن فى النهاية بعد أن قدمت للرئيس تقريراً عن حالة الجريدة بعد إبعاد هذه الصفوة الممتازة من كبار الصحفيين والمفكرين فى مصر. فقد وصل توزيعها إلى ٣٨ ألف نسخة وأن حلمى سلام قد عين صحفيين آخرين وبمرتبات أعلى من زملائهم بالمؤسسة وأن سياسته قد حرمت الجريدة من إعلانات كثيرة وهى مورد أساسى وأنه برغم نقل الصحفيين فإن الأحوال الاقتصادية فى المؤسسة اصبحت سيئة للغاية لسوء تصرفاته، وقال الرئيس إن البيانات عندى من حلمى سلام تقول عكس ذلك وقال فليحكم بينى وبينك الدكتور حاتم يراجع كل التقارير ويقيم الوضع فى المؤسسة ويقول رأيه، وقبلت ذلك وللحقيقة فإن الزميل رشاد الشبراخومى رحمه الله قد دخل فى الحديث وأثار عبد الناصر حينما قال له إن الصحفيين نقلوا ليبيعوا «بيض وفراخ».

وفى أثناء شرحه الذى ستمر طويلاً تلقى الرئيس من وزير الداخلية تقريراً اعتقدت أنه عما دار فى الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين ثبت به كذب تقرير المباحث الجنائية.. فلقد شعرت بأنه استراح فى الحديث بعد ذلك.. ثم قال عن سؤال جريدة «المساء».. قال الرئيس بالحرف الواحد: إن حلمى سلام كتب يطلب إغلاق جريدة المساء لأنه لا أمل فيها، وأن الرئيس أمر الدكتور حاتم بإغلاق المساء ولكن الدكتور حاتم ذهب للرئيس ورجاه أن يرجع فى هذا القرار وأنه (أى حاتم) مسئول عن استمرار صدورها وتمويلها ولا يمكن أن تغلق المساء.

وقال الرئيس عبد الناصر: لولا الدكتور حاتم لأغلقت المساء، وعلشان خاطره أعطيت له فرصة.. وعقب الجلسة اجتمعت بالزملاء المحررين بالمساء ونقلت لهم الحديث وأن منشور حلمى سلام كاذب وأننا ظلمنا الدكتور حاتم وذهبت مع عدد منهم إلى الدكتور حاتم فى مكتبه نعتذر له عما بدر من بعضنا فى حقه لأننا صدقنا منشور حلمى سلام ضده، ولكن بعد حديث عبد الناصر أننا نشكره على هذا الموقف.. وسجلت له هذا الموقف فى أكثر من مقال.

وحرصاً على مساحة المجلة ووقت القراء وتخفيفاً على الرجل فى شيخوخته لن استرسل فى موقف حلمى سلام ودوره فى مذبحة الصحفيين.

والدكتور حاتم حينما أبلغه الرئيس عبد الناصر بإبعاد حلمى سلام وترشيح مصطفى بهجت بدوى رئيساً لمجلس الإدارة ابلغنى الدكتور حاتم فى السابعة صباحاً بالقرار تليفونياً وقال: إن الرئيس عبد الناصر أبلغه أن يبلغنى بذلك قبل أن يذاع الخبر وذلك حينما تبين له صدق كل ما قلناه وما قدمناه من مستندات. وللحقيقة والتاريخ فإننى كنت أنسق جهودى مع

أستاذنا وشيخ الصحافة الأستاذ حافظ محمود نقيب الصحفيين - فى ذلك الوقت - وأن الدكتور حاتم كان متعاطفاً جداً مع الصحفيين وهذه شهادة للتاريخ.

٥ د. سامى منصور: جريمة فى حق النقابة !

كلمة عتاب بعد سنوات طويلة لم نختلف فيها يوماً أو حتى نتعاتب. وعتابى شخصى بصفتكم المهنية وعام باعتباركم واحداً من أبناء روزاليوسف التى كانت رغم صغر عدد الأبناء قلعة متقدمة تدافع عن المهنة والصحفيين فإذا بها اليوم تفتح صفحات فى «صباح الخير» للذين ارتكبوا أكبر الجرائم فى حق المهنة لتبرير جريمتهم. وهو أمر لا يمكن أن يكون حرية صحافة ولا هو حرية رأى. فالقضية يا عزيزى ليست خلافاً على رأى ولكن حول أن رئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية ينقل أو يصمت على نقل ٦٤ من ألمع كتاب وصحفيى مصر إلى باتا للأحذية وبسكو وغيرهما فى سنة ١٩٦٤ من جريدة الجمهورية.

وقد ظلت النقابة بجهد متواصل لسنوات تزيد على الخمس تعالج آثار هذا القرار البشع. وقد وضع واحد من الرعيل الأول لأفضل مصورى الصحف الأستاذ عبده خليل مع عدد من المصورين الصحفيين فى السجن الحربى.

هذه الجريمة ياأستاذ لويس فى نظر حلمى سلام لا تكفى لثورة الدم فى عروق أى صحفى بل لابد أن يكون الأستاذ هيكل وراء رد الفعل. وهو لفرط الغباء اتخذ قراره قبل عقد الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين بثلاثة أيام فقط ثم يتصور أن تمر أكبر جريمة فى حق النقابة دون ثورة إلا بموافقة الأستاذ هيكل.

ويبدو أن الأيام ودروس الزمن لم تعلم الأستاذ حلمى سلام الدرس فهو إذا كان قد اتخذ قراراً ليس له مثيل بنقل ألمع صحفيى وكتاب مصر إلى شركة باتا للأحذية فقد طبق عليه القرار بإرادة إلهية - ونقل إلى مؤسسة الأسماك ولكن أحداً لا يتعظ.

الوقائع، هى أننى وكنت شاباً أحسست بإهانة حرمتنى النوم يومها وظللت أحاول عملاً مضاداً يعبر عن ثورتى، واستقر فكرى على استغلال اجتماع الجمعية العمومية واستغلال أننى لم أكن معروفاً بالنشاط النقابى مما يتيح لى تجاوز عدم وجود اسمى على قائمة المتحدثين وخاصة أنه كانت لى مكانة بين الزملاء تتسم بالاحترام، وأخفيت المذكرة عن كل الزملاء حتى قبيل انعقاد الجمعية وفاجأت الكل بطلبى.

وصدر القرار بالإجماع، وبعد ساعة جاء من يبلغنى أن الأهرام يطلبنى وعرفت أن الأستاذ هيكل يريدنى فوراً.. وقبل أن أقابله عرفت أن الأستاذ حلمى سلام أبلغ المشير أننى هتفت فى النقابة «يسقط حلمى سلام وحامى حلمى سلام» أى المشير.

وأبلغ المشير ذلك لعبد الناصر، وسألنى الأستاذ هيكل بعد ثورة غضب على قيامى بنشاط نقابى وخصوصاً أنه كان يتصور انشغالى بالبحث العلمى والكتابة. وشاء حسن حظى أنه فى

ثورة غضبه حضر الاستاذ على حمدى الجمال رحمة الله عليه وكان حاضراً جلسة الجمعية العمومية وشاهدنى لحظة تقديم طلبى. وأخبر الأستاذ هيكل بالوقائع وأننى لم أهتف إطلاقاً.

وبقيت مشكلة إثارتى للمتاعب وحسمها إحساساً بما كنت مع زملاء لى نشعر به من مرارة وثورة غضب.

هذه هى القصة ولم يكن الأستاذ هيكل يعرف عنها شيئاً حتى وافقت الجمعية العمومية وأبلغه عبد الناصر تليفونياً بها وتبقى رواية الأستاذ حلمى سلام وعليها عدة ملاحظات هى:

١- كيف يستقيم أنه مرتكب هذه الجريمة الكبرى ويقول «لست مقهوراً وليس من حقى أنه احتج على صاحب الأمر لأنه تصرف فى أمر يخصه تصرفاً مخالفاً لما اقترحته.

هل هذا القول لا يستحق عقد لجنة التأديب فى النقابة لمحاسبة رئيس مجلس إدارة سابق يرى أن فصل الصحفيين مسألة تخص فرداً مهماً كانت مكانته على رأس الدولة.

ثم هو يرفض الدفاع ولو بالاستقالة ويعتبر ذلك تهوراً، أى مهانة هذه هى التى وصلت إليها قيادات احتلت مراكز صحفية هامة.

والأهم أنه يقول إنه قدم اقتراحات أخرى ولكن النظام أخذ بغيرها، فهو لجأ إلى السلطة للتخفيف عن الجمهورية بإبقاء صغار الصحفيين وفصل ألمع كتاب الدار بدلاً من الصحفيين أن يعمل على زيادة التوزيع لتعويض الخسارة.

٢- كيف يستقيم أن يكون عبد الناصر صاحب القرار وحواره كله كان مع المشير، ثم والأهم إذا كان عبد الناصر صاحب القرار فهل من المعقول أن يتحدى الأستاذ هيكل القرار بعد صدوره وعن طريق شاب بالجريدة؟!

٦ حلمى سلام: سهل أن تكذب.. صعب أن تقول الحقيقة!

الأخ العزيز الأستاذ لويس جريس..

قرأت فى العدد قبل الماضى من «صباح الخير» الرسائل الثلاث التى بعث بها إليكم السادة ميشيل جرجس وأحمد حرك والدكتور سامى منصور.. تعقيباً على بعض ما جاء فى ذكرياتى التى نشرتها «صباح الخير» على مدى شهرين كاملين.

ولى على ما جاء فى تلك الرسائل، عدة ردود أرى من واجبى نحو الحقيقة، ونحو «صباح الخير» وقرائها.. أن أثبتها فيما يلى:

وأبدأ برسالة السيد ميشيل جرجس التى شحنها صاحبها بقصص وحكايات من اختراعه تشهد بأن له على تلفيق الحكايات قدرة لا تدانيها قدرة بعض كتاب القصص الخيالية التى تسخر من عقول الناس، وتستخف بها.. ولو أن صاحب هذه الرسالة وجه نشاطه إلى هذه الناحية، لأفاد نفسه، ولأفاد الصحافة التى ينتسب إليها، فائدة لا يحلم بها كلاهما.

■ فمن هذه الحكايات التى جاد بها خياله، والتى جاءت كلها - للأسف الشديد - مقززة للغاية.. قوله:

«فى جلسة مع بعض الزملاء فى الجريدة، ذكر اسم حلمى سلام عدة مرات كمرشح لرئاسة مجلس إدارة دار التحرير: فطلب منى أحد الزملاء الاتصال به تليفونياً للتأكد من الخبر، وفعلاً اتصلت به وادرت المكالمة على النحو الآتى:

■ قلت: فيه خبر أنك ستعين رئيس مجلس الإدارة؟

● حلمى سلام: هذا المنصب يطاردنى منذ عام.

■ قلت: أنا سمعته الآن فقط.

● حلمى سلام: ما رأيك..؟ قلت: المنصب كبير عليك.

فأنهى حلمى سلام المكالمة. (ولا أدرى لماذا لم يقل إننى قلت له: أنا شايف كده برضه)!

ودعنى أقول لك إنه لم تكن لى - قبل ذهابى إلى دار التحرير رئيساً لمجلس إدارتها - أدنى صلة من صداقة، أو زمالة، أو حتى معرفة بصاحب هذه «الحدوتة» فهل مما يدخل فى عقل عاقل - أو حتى مجنون - أننى يمكن أن آخذ رأى شخص لا تربطنى به أدنى صلة من صداقة، أو زمالة، أو حتى معرفة.. فى عمل كبير كذلك العمل الذى كنت مرشحاً له؟ إن الوحيد الذى استأنست برأيه فى هذه المهمة التى كانت مرشحاً لها.. وهل أقبلها أم أصر على رفضها.. كان أخى وصديقى المناضل الوطنى الكبير فتحى رضوان، فعقب آخر مرة قابلت فيها المشير عامر - وهى المرة التى أبلغنى فيها بتصميم عبد الناصر على ذهابى إلى دار التحرير - خرجت من عنده متوجهاً، مباشرة، إلى منزل فتحى رضوان لأسأله النصيحة، فقال لى بالحرف: «إن عبد الناصر لن يتقبل منك أن ترفض له تكليفاً كهذا، وتأكد أنك إذا أصررت على الرفض، فلن تبقى طويلاً فى «المصور» فهاتها بجميلة منك واذهب غداً إلى المشير عامر وأبلغه أنك قبلت هذا التكليف». وهو ما فعلته.. والرجل - أمد الله فى عمره - لايزال موجوداً بيننا.. وهو معروف بأنه ليس ممن يكتمون قولة الحق.. ولو كلفه قولها عمره.

■ أيضاً: من الحكايات المقززة التى شحن بها ميشيل جرجس رسالته.. قوله: « ... وذات مساء اتصلت بى السكرتيرة وطلبت منى الحضور لمقابلة حلمى سلم. فاعتذرت على أن تكون المقابلة فى اليوم التالى، وفى اليوم التالى توجهت إلى مكتبه فوجدته واضعاً صورة المشير عامر فوق رأسه.. وصورة الرئيس الراحل على الحائط المواجه لمكتبه.. فاندهشت».

ولا أدرى.. لماذا لم يسألنى الرجل الذى رغم أنه كان لديه من الشجاعة ما جعله يقول لى فى وجهى: «إن المنصب كبير عليّ» عن السبب الذى جعلنى أضع الصورتين هكذا؟! ألم يكن هذا أسهل من ذلك القول الذى زعم أنه قاله، وجاء خالياً من ألف باء الذوق.. والأدب؟ هذا فضلاً عن أنه كان أحد الذين نقلوا من المؤسسة، ولم يكن هناك سبب واحد يجعلنى استدعيه إلى مكتبى.

وأحسبنى لست محتاجاً إلى القول بأننى لم أكن ساذجاً.. ولا أبله.. حتى أفعل شيئاً كهذا الذى نسب لى إننى فعلته، ثم.. ما السبب المباشر، أو غير المباشر، الذى يجعلنى أضع صورة المشير عامر فوق رأسى، هل لأنه كان وسيطاً فى أمر التكليف الذى اعتبرته - ومنذ اللحظة الأولى - مصيبة حلت بى؟!

لقد كان يتردد على مكتبى فى تلك الفترة التى زعم أنه رأى فيها صورة المشير عامر معلقة فوق رأسى، كتاب وصحفيون أشراف كثيرون.. أذكر منهم الزملاء: محمد عودة، وفيليب جلاب، وحسين عبد الرازق، وفؤاد دوارة، ومحمد العزبى، وبهيج نصار، ووحيد غازى، وغيرهم، وغيرهم. فإذا قال واحد من كل هؤلاء الصحفيين الأشراف إنه رأى - فى أى جانب من جوانب مكتبى - صورة للمشير عامر، فساعتها سوف أسلم بأننى كنت أضع هذه الصورة فوق رأسى.

■ أيضاً: من الأشياء المقززة التى اخترعها خياله.. قوله: «وفى هذه المقابلة نفسها، قال لى حلمى سلام: أنا عايزك تكتب لى تقريراً عن كل صحفى فى المؤسسة».

لقد شاء ميشيل جرجس أن ينسى تماماً.. تماماً.. أنه كان أحد المنقولين من المؤسسة.. فكيف بالله عليك أطلب من أحد المنقولين منها تقارير عن الباقين فيها؟ وحتى لو كان ممن بقوا فى المؤسسة، فقد كان مستحيلاً أن يصدر منى مثل هذا الطلب، لسبب بسيط جداً، وهو أننى كنت، وما أزال، ولسوف أظل، أحمل داخل نفسى كل مشاعر الاحتقار لكتاب التقارير، ولن يغير من احتقارى لشأنهم أن يكون أحدهم.. أو بعضهم، قد وصلوا من خلال تقاريرهم ضد زملائهم وأساتذتهم، وأصحاب الفضل عليهم، إلى مناصب لم تكن لتحدثهم بها أحلامهم.

ولو أننى كنت أحمل فى نفسى ذرة من (التقبل) - ولا أقول (الاحترام) - لهذا الصنف من البشر، لما أمرت، فى أول أيام رئاستى لدار التحرير، بنقل وخصم خمسة أيام من مرتب أحد موظفى التليفونات بجريدة الجمهورية لأنه قدم لى تقريراً ضمنه أن المحرر الرياضى للجريدة طلب منه مكالمة عاجلة مع أحد محافظى الوجه البحرى. لكنه - أى موظف التليفونات - اكتشف، من خلال تسمعه للمكالمة، أنها دارت مع حرم المحافظ وليس مع المحافظ نفسه، وكانت حول مسائل عائلية لا علاقة لها بعمل المحرر.

إن الأخلاق لا تتجزأ، فإذا كنت - من منطلق أخلاقى محض - قد رفضت تصرف موظف التليفونات وأمرت بمجازاته وبنقله بعيداً عن دار الجمهورية، فكيف يتأتى - وأنا هذا الرجل نفسه - أن أطلب من آخر، حتى لو لم يكن ممن نقلوا من المؤسسة، أن يكتب لى تقريراً عن كل واحد من زملائه!

■ أيضاً: من الأشياء المقززة التى قالها: «اكتشف الرئيس الراحل ضعف حلمى سلام من جميع النواحى، وخاصة العمل الصحفى، لأنه لم يكن قد سبق له العمل فى الصحف اليومية على الإطلاق، وكل خبرته كانت الكتابة فى مجلة «المصور» ومجلة «الإذاعة».

وكأن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يجب أن ينتظر ١٥ عاماً كاملة، من سنة ١٩٤٩، تاريخ تعرفه بى، إلى سنة ١٩٦٤، تاريخ تعيينه لى رئيساً لدار التحرير، كى يكتشف نقاط الضعف والقوة فى شخصي، وكأنه حين أمر، بحل مجلس إدارة المؤسسة، ومنحى جميع سلطاته، لم يكن يعرف عنى شيئاً. وكأنه حين أمر قبل ذلك بسنوات عشر، بتعيينى رئيساً لتحرير مجلة «التحرير».. أيضاً لم يكن يعرفني، وكأن أصحاب «دار الهلال» الذين تدرجت فى سلم العمل الصحفى لديهم من محرر بالقطعة، إلى سكرتير التحرير، إلى مدير لتحرير أكبر مجلة مصورة فى الشرق العربي.. فى ظرف سبع سنوات فقط، كانوا يفتقرون إلى القدرة على اكتشاف نقاط القوة والضعف فى أشخاص من يعهدون إليهم بأدق مسئوليات العمل الصحفى، وكأن لجنة مسابقة فاروق الأول للصحافة الشرقية التى كان يرأسها شيخ الصحفيين (فكرى أباظة) والتى منحتنى جائزتها الأولى مرتين على التوالى فى عامى ١٩٤٩ و١٩٥٠ - وهو ما لم يتحقق لأحد غيرى من أبناء جيلى - أقول كأن هذه اللجنة كانت فاقدة الوعي، فلم تفطن، حين منحتنى الجائزة الأولى، مرتين على التوالي، إلى نقاط الضعف فى إنتاجى الصحفى.

ولو أن ميشيل جرجس كان قد فرغ نفسه، ولو قليلاً، لتأمل مسار نجوم الصحافة، لما كتب حرفاً واحداً من ذلك الذى كتبه، ولعرف أننى لم أكن أول صحفى بدأ حياته العملية فى الصحافة الأسبوعية ثم انتقل منها إلى الصحافة اليومية، فلقد سبقنى إلى ذلك الزميل محمد حسنين هيكل الذى أمضى الحقبة الأولى من عمره الصحفى محرراً بمجلة آخر ساعة. ثم رئيساً لتحريرها قبل أن ينتقل منها إلى رئاسة تحرير «الأهرام»، وأيضاً الزميل أحمد بهاء الدين الذى أمضى، هو الآخر، الحقبة الأولى من عمره الصحفى محرراً بروزاليوسف، ثم رئيساً لتحرير «صباح الخير»، قبل أن يعين رئيساً لتحرير عدة صحف يومية هى «الشعب» و«أخبار اليوم» و«الأهرام»، وأيضاً الزميل إحسان عبد القدوس الذى أمضى شبابه الصحفى كله محرراً بروزاليوسف ثم رئيساً لتحريرها، قبل أن يصبح رئيساً لتحرير «أخبار اليوم» و«الأهرام».

وأحسب أنها ليست صدفة أننى أحمل الوسام الذى يحمله هؤلاء الزملاء الثلاثة، وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى الذى جاء فى براءته المذيلة بتوقيع «جمال عبد الناصر» - الرجل الذى اكتشف ضعفى فى جميع النواحى - إننا منحناه «من أجل الخدمات الجليلة التى قدمها كل منا للصحافة».

■ أيضاً: من الأشياء المقززة التى احتشدت بها رسالته.. قوله: «... وكان حلمى سلام لا يحضر إلى مكتبه فى المؤسسة سوى ساعة واحدة فقط فى النهار، وفى المساء كان يتصل بالتليفون من منزله ليعرف المانشيت قبل الطبع».

وأظن أننى لو كنت عفريتاً من الجن، لما استطعت، فى ظرف ساعة واحدة من النهار، أن أنجز جزءاً من مائة من مسئوليات مؤسسة بها أربع شركات كبرى هي: شركة الإعلانات المصرية، وشركة الإعلانات الشرقية، ودار الجمهورية للصحافة، وشركة الجمهورية للتوزيع.

ولو سألت أيا من أولئك الزملاء الإشراف الذين ذكرتهم فيما سبق من سطور - ومعظمهم يعمل معك فى روزاليوسف - وإننى لواثق من أنهم جميعاً سوف يقولون لك الحقيقة.. والحقيقة هنا هى أننى كنت أذهب إلى مكتبى فى المؤسسة مرتين فى اليوم. المرة الأولى من الساعة التاسعة صباحاً لأبقى به حتى الثالثة بعد الشهر، والمرة الثانية من السابعة مساء وحتى منتصف الليل، ولو أننى كنت ممن يرتضون من أنفسهم بأن لا يبقوا فى مكاتبهم سوى ساعة من نهار، لكانت أعمدة جريدة «الجمهورية» قد حملت لى - على مدى الشهور العشرة التى أمضيتها رئيساً لتحريرها - بدل الكارثة الواحدة عشرات الكوارث التى كان المجردون من كل خلق، ومن كل ضمير، قادرين على دسها فى تلك الأعمدة.

■ أيضاً: من الأشياء المقززة التى احتوتها رسالة ميشيل جرجس.. قوله: «... وحدث أن وقع حلمى سلام منشوراً تم توزيعه فى المؤسسة يفيد بأن الدكتور عبد القادر حاتم قرر إغلاق جريدة المساء وعلى أثر هذا، أرسل عدد كبير من العاملين فى جريدة المساء برقيات احتجاج للدكتور حاتم على هذا القرار». وقد كرر السيد أحمد حرك.. للأسف الشديد، هذه الفرية نفسها فى رسالته إليكم!

كيف.. كيف يمكن أن أصدر منشوراً يقول إن الدكتور حاتم قرر إغلاق جريدة المساء، بينما أنا أعلم، علم اليقين، أنه لا يملك، ولا يستطيع، أن يصدر قراراً بإغلاق الجريدة، سواء كانت هذه الجريدة هى المساء أو أى جريدة أخرى غيرها.

إن حقيقة هذه القصة، كما وقعت.. هى كالتالى:

فى المساء المتأخر من أحد أيام الخميس؛ اتصل بى واحد من ابنائى المحررين فى مجلة «الإذاعة» وأبلغنى أن بالمجلة - فى عددها الذى سوف يصدر صباح يوم السبت - خبراً مؤداه: إن المسئولين عن مؤسسة دار التحرير قرروا إغلاق جريدة المساء وتوزيع محرريها على المؤسسات العامة. فطلبت منه أن يقرأ لى نص الخبر. فلما قرأه، أحسست بأن المراد منه أن يكون بمثابة (قنبلة) تنفجر تحت قدمىّ. فلم يكن فى دار التحرير، وقتها مسئول غيري.. بعد أن كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد أمر - بناء على طلبى - بحل مجلس إدارة المؤسسة، ومنحى جميع سلطاته، ولم أكن، بوصفى المسئول الوحيد عن المؤسسة، قد قررت شيئاً من هذا، ولا فكرت فيه، وكى أبطل مفعول هذا الخبر (القنبلة) توجهت فى الصباح الباكر من يوم الجمعة، وكتبت برقية إلى الدكتور حاتم باعتباره الوزير الذى تتبعه مجلة «الإذاعة»، وباعتبار أن الاستاذ سعيد عثمان رئيس تحرير المجلة، وقتئذ، كان - فى ذات الوقت - أحد مديرى مكتبه. هذا نصها:

«السيد الدكتور عبد القادر حاتم.. وزير الإرشاد القومي.

تنشر مجلة «الإذاعة» في عددها الذي يصدر غداً - السبت - خبراً مؤداه أن المسئولين عن دار التحرير قرروا إغلاق جريدة المساء وتوزيع محرريها على المؤسسات العامة، ولما كنت، باعتباري المسئول الوحيد عن دار التحرير الآن، لم أقرر شيئاً كهذا، بل لم أفكر فيه مجرد تفكير، فإنني أرجو توجيه نظر المسئولين عن تحرير المجلة إلى تحري الأمانة والدقة والصدق فيما ينشرونه من أخبار، بخاصة إذا كانت هذه الأخبار تمس مصائر طائفة من الناس».

ثم أمرت - في نفس اليوم - بوضع صورة من هذه البرقية في لوحة المنشورات الإدارية الموجودة بمدخل المؤسسة، حتى يقرأها كل العاملين في جريدة المساء، قبل أن يأتي صباح السبت وتصدر مجلة «الإذاعة» حاملة إليهم ذلك الخبر المسموم الذي أريد له أن يكون (قنبلة) تنفجر تحت قدمي!

لقد تحولت هذه البرقية، بقدرة قادر، فأصبحت في خيال ميشيل جرجس وأحمد حرك (منشوراً مزعوماً) أصدرته، وذيلته بتوقيعي، وضمنته القول بأن الدكتور حاتم - بسلطة لا يملكها - قرر إغلاق جريدة المساء!

أي كذب هذا؟ وأي افتئات على الحقيقة، وعلى الأمانة والشرف؟!! ثم.. أين هو هذا المنشور؟! إنني أتمنى أن يطلعك أحدهما على صورة منه، هذا عما جاء في رسالة ميشيل جرجش التي حشدها كاتبها بسيل من الاكاذيب التي لا وجود لها إلا في خياله، ولكن.. وعلى الرغم من كل هذه الاكاذيب، فقد استطاع الحق - بقوته التي لا يقدر قاهر أن يقهرها - أن يطل علينا من بين سطورها، فاعترف كاتبها بأن دار التحرير كان بها فساد، وأنها كانت ترزح تحت أعباء مالية باهظة، وأنها كانت مثقلة (بقوة عمل) تمثل ثلاث صحف كانت قد أغلقت، من قبل، أبوابها هي «المصري» و«القاهرة»، و«الشعب»، تضم محرريها جميعاً إلى دار التحرير. كل هذا - باعترافه كتابة - كان موجوداً ومعششاً بدار التحرير، فلما أن تصديت بمحاولة مخلصة لإنقاذها من بعضه، على الأقل، أصبحت في نظر الفاسدين، والمخربين، والمشائين بالأكاذيب.. ديكتاتوراً، ومدمراً، بل مجرماً أيضاً.

■ أما ما جاء في رسالة السيد أحمد حرك، فلم أجد فيه سطراً واحداً يستحق التوقف عنده، أو الرد عليه، وكيف انزلق إلى الرد على شخص أمضى في العمل الصحفي ما يقرب من ثلاثين سنة، ومع ذلك يبلغ به الجهل بشخصية عبد الناصر حدا يجعله يزعم أنه قال له في مجلس الأمة، إنني أمليت عليه شروطي، إذ قال بالحرف: «وقال الرئيس عبد الناصر إنني لم أتطوع بنقل الصحفيين، ولكن حلمي سلام اشترط - لرئاسة المؤسسة - نقل هؤلاء».

عبد الناصر بقوته.. وبشخصيته، وجبروته، يقول: «حلمي سلام اشترط»، أي قوة جبارة هذه التي كانت أملكها، وحملت عبد الناصر على أن يحني لها رأسه؟! أكانت مصر، أيامها، قد عقمت، ولم يعد فيها غير صحفي وحيد يستطيع إنقاذ دار التحرير من أمراضها هو حلمي سلام الذي استغل فرصة أنه لا يوجد في الكون سواه، ففرض شروطه عليّ.. على من؟!

على عبد الناصر!!!

هل يستحق صاحب مثل هذا القول الغريب.. العجيب.. أن يتوقف مثلى عند أى شيء آخر قاله.. أو زعمه.. أو ردده؟!

■ أما رد الدكتور سامي منصور.. فبغض النظر عن الشتائم وعبارات التجريح التى تضمنها ذلك الرد، والتى أعتب عليك يا أخي لويس - وأنت الرجل العف القلم واللسان - أنك سمحت لها بأن تمر، من خلالك، إلى قراء «صباح الخير» - أقول بغض النظر عن هذه الشتائم ، وذلك التجريح، فقد تضمن الرد ثلاثة أشياء، يهمنى - من أجل الحقيقة.. والحقيقة وحدها - أن أثبت ردى عليها:

● الشيء الأول هو قوله: «ويبدو أن الأيام ودروس الزمن لم تعلم الأستاذ حلمى سلام الدرس، فهو إذا كان قد اتخذ قراراً ليس له مثيل بنقل ألمع صحفيي وكتاب مصر إلى شركة باتا للأحذية، فقد طبق عليه القرار بإرادة إلهية، ونقل إلى مؤسسة الأسماك، ولكن أحداً لا يتعظ».

فضلاً عن أننى لم أصدر قراراً - لا أملكه - بل لم اقترح، مجرد اقتراح، بنقل أى زميل صحفى إلى أى مؤسسة غير صحفية، وهذا أمر ثابت وثائقياً، وإن كان الثلاثي: جرجس وحرك ومنصور يصممون على تجاهله، فإنه لم يصدر فى شأنى قرار بنقلى إلى مؤسسة الأسماك ولا إلى غيرها من المؤسسات، وإنما كان القرار الوحيد الذى صدر فى شأنى من الرئيس الراحل هو: «إحالتى إلى المعاش.. ومنحى معاشاً استثنائياً يعادل أقصى معاش فى الدولة»، وقد أبلغ الدكتور حاتم هذا القرار إلى الزميل الصديق الأستاذ مصطفى بهجت بدوى الذى تولى رئاسة المؤسسة بدلاً منى، وقد أثبته، بما عرف عنه من صدق وأمانة، وبنصه الذى أبلغ به، وفى ملف خدمتى، والرجل موجود، والقرار موجود والحقيقة أيضاً موجودة، ولن يلغى وجودها أن تكون بعض البصائر.. أو بعض الأبصار، قد عميت عن رؤيتها!

● الشيء الثانى فى رسالة سامي منصور هو قوله: «كيف يستقيم أنه مرتكب هذه الجريمة الكبرى، ويقول: «لست متهوراً.. وليس من حقى أن احتج على صاحب الأمر لأنه تصرف فى أمر يخصه تصرفاً مخالفاً لما اقترحته».. هل هذا القول لا يستحق عقد لجنة التأديب فى النقابة لمحاسبة رئيس مجلس إدارة سابق يرى أن فصل الصحفيين يخص فرداً واحداً مهما علت مكانته فى الدولة.

وأقول للدكتور منصور، أولاً: إن عبد الناصر لم يفصل صحفياً واحداً فى هذه القضية، وثانياً: أنها - أى هذه القضية - لم تكن تخص عبد الناصر بوصفه رئيساً للدولة، وإنما كانت تخصه بوصفه رئيساً للاتحاد الاشتراكى الذى كان قد امتلك كل المؤسسات الصحفية بمقتضى قانون تنظيم الصحافة.. ومن هذا الموقع - موقع رئيس الاتحاد الاشتراكى.. صاحب الصحف - تصرف عبد الناصر فى أمور الصحافة، وفى أمور الصحفيين، كما شاء،

كيفما شاء، فعزل، فى وقت ما، شيخ الصحفيين (فكرى أباظة) من جميع مناصبه الصحفية، وأوقف، فى وقت آخر، الزملاء موسى صبرى وأنيس منصور وإبراهيم نوار عن ممارسة العمل الصحفى، ونقل مصطفى أمين، وعلى أمين، وإحسان عبد القدوس، وأحمد بهاء الدين من هذه المؤسسة إلى تلك، ومن تلك إلى غيرها، دون أن يجرؤ مخلوق فى النقابة أو فى غير النقابة. على أن يرفع صوته ضد إجراءاته. لا بالاستقالة، ولا بالاحتجاج، ولا بالاعتراض!

هل نسيت هذا كله يا دكتور؟ وهل نسيت أيضاً أنه فى أعقاب إعادة تنظيم نقابة الصحفيين، كان مطلوباً من كل صحفى مقيد بالنقابة أن يأخذ «ترخيصاً» بممارسة المهنة من الاتحاد القومى الذى هو نفسه الاتحاد الاشتراكى؟! إذا كنت قد نسيت، فحاول أن تنشط ذاكرتك، فإن رأس مال الصحفى – بعد الصدق.. وبعد الأمانة والشرف – هو ذاكرته.

ثم يضيف الدكتور منصور: «والأهم أنه يقول إنه قدم اقتراحات أخرى، ولكن النظام أخذ بغيرها، فهو لجأ إلى السلطة للتخفيف عن الجمهورية بفصل الصحفيين بدلاً من أن يعمل على زيادة التوزيع لتعويض الخسائر»!

هل سمعت ياأخى لويس، أو علمت – وقد كنت عضواً منتدباً لمؤسسة رزاليوسف – أن زيادة التوزيع، مهما بلغت الأوج، يمكن أن تعوض خسائر صحيفة ما؟!

إن الذى يعوض الخسائر فى أية صحيفة، ويحقق التوازن بين إيراداتها ومصروفاتها، إنما هو حجم الإعلانات يا دكتور، وبغير حجم إعلانات ضخم كالموجود حالياً بالأهرام وبالأخبار مثلاً، فإن زيادة التوزيع لا تعنى شيئاً سوى زيادة الخسائر.

وغريبة جداً يادكتور أن تكون قد أمضيت فى ساحة العمل الصحفى كل هذه السنين، ومازلت، برغم هذا، تجهل مثل هذه الحقيقة الأولية من حقائق عالم الصحافة!

● أما الشيء الثالث والأخير فى رسالة سامى منصور، فهو قوله: «كيف يستقيم أن يكون عبد الناصر هو صاحب القرار، بينما حوار حلمى سلام كله كان مع المشير عامر؟».

وأقول له مؤكداً: نعم.. كان عبد الناصر هو صاحب القرار، فهو الذى قرر تعيينى رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة، وهو الذى قرر حل مجلس الإدارة ومنحى جميع سلطاته، وهو الذى قرر نقل عدد من الضباط الذين كانت ظروف مختلفة قد فرضتهم على دار التحرير، وهو الذى قرر نقل الزملاء الصحفيين إلى المؤسسات العامة كبديل للمؤسسات الصحفية التى كنت قد اقترحت نقلهم إليها، وأعتذر رؤساؤها عن قبولهم بها. وهو – أخيراً – الذى قرر عزلى من منصبى، دون أن يكون عند المشير عامر أى علم مسبق بهذا القرار، أما أن حوارى كله كان مع المشير عامر، فهذا صحيح مائة بالمائة، ويرجع ذلك إلى أن الرئيس الراحل كان قد عهد إليه بالإشراف المباشر على دار التحرير فى المرحلة التى بدأت بذهابى إليها، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يعهد فيها الرئيس الراحل إلى المشر عامر بالإشراف على مؤسسات وأعمال عامة لا تدخل فى دائرة اختصاصه كقائد عام للقوات المسلحة، فقد عهد إليه برئاسة لجنة تصفية الإقطاع.

نعم يادكتور منصور.. كان (الحوار) كله مع المشير عامر، ولكن (القرار) كله، فى نهاية الأمر، كان بيد صاحب القرار.. كان بيد عبد الناصر.

ولم يبق عندى ما يمكن أن أضيفه إلى هذا الرد على ما جاء فى تلك الرسائل الثلاث، سوى دعاء إلى الله بأن يحمى الصحافة - وهى التى يفترض فيها أنها حامية الحق.. والحقيقة - من بعض المنتسبين إليها.. والمحسوبين عليها.

٧ جمال سليم: مذبحة الصحفيين والثورة المضادة!!

ليس على المستوى المهنى وحساب الأرباح والخسائر ينبغى أن تجرى مناقشة مذبحة الصحفيين التى تمت على يد حلمى سلام باعتباره من رجال المشير عامر عامى ٦٤ - ١٩٦٥. بل المستوى الصحيح للمناقشة هو المستوى السياسى، فمن خلال هذا المستوى سوف يتضح لنا أن عناصر الثورة المضادة كانت تعمل فى كل مكان وتضرب فى كل اتجاه، وليس غريباً أن يمسك حلمى سلام سيف المشير ودرعه ويعصف بالصحفيين والكتاب، وكى يكون الأمر مفهوماً ينبغى عدم خلط الأوراق، والدوران فى الحلقة المفرغة: لماذا كانت المذبحة؟ وهل كانت بسبب العمالة الزائدة.. أم الديون المتراكمة.. إن هذا تبسيط غير مقبول للأمور، وخاصة أنه يجرى فى وسط كله مثقفون وكتاب يقودون الرأى العام ويوجهون خطاه.

على مدى عدة أسابيع انفرد حلمى سلام بمجلة صباح الخير ليقول على صفحاتها ذكرياته بإثارة متعمدة من الصحفى اللامع رشاد كامل الذى كان يريد أن يرسم صورة شبه حقيقية لشكل من أشكال الصراع بين السلطة والصحافة فى الستينيات.

والواقع أن الزميل الكبير محمد حسنين هيكل سبق وقدم صورة أخرى فى كتابه الذى نشر بالخارج ثم ترجمه إلى العربية، وكان بين يدى القراء فى شهر يوليو ١٩٨٤ بعنوان «بين الصحافة والسياسة».

فالصحافة وإن كانت مهنة مثل سائر المهن تمتاز بأنها مهنة الحكم.. يرقبها الحاكم بحذره المعهود، وينظر إليها المحكوم بأمله الذى بلا حدود، والحاكم يريدها لنفسها، تنطق باسمه، وتنشر رسمه، والمحكوم يريدها سيفاً يحميه ويدافع به عن نفسه، وبين الحاكم والمحكوم يقف الصحفى ويسير على حبل مشدود.

ومن هنا، فأى إخلال بالتوازن ينقل الصحفى إلى حضن السلطة أو إلى قلب الجماهير، والإخلال بالتوازن لا يأتى نتيجة فشل الصحفى فى السير على الحبل المشدود، إنما نتيجة الجذب المتواصل بين السلطة والجماهير، وأيضاً نتيجة جرثومة مرض عضال تصيب القلب والضمير والبصر والبصيرة. ولذا فلا يمكن النظر إلى مذبحة الصحفيين بجريدة الجمهورية التى تمت خلال عامى ٦٤ - ١٩٦٥ على عدة دفعات، وكان السيد حلمى سلام أداة لها، لا

يمكن النظر إليها بمعزل عن الثورة المضادة التى كانت تعمل داخل الثورة نفسها، والتى كان بعض زملاء عبد الناصر أنفسهم أدوات فيها، ولهم أدوات وأدوات، بوعى أو بغير وعى، وكان المشير عامر نفسه، بتركيبه القبلى، وشلته، مركزاً من مراكز الثورة المضادة التى تمكن عبد الناصر من ضربها نهائياً، ولكن بثمن فادح، هزيمة يونيو.

النظر إلى هذه المذبحة على مستوى المهنة الصحفية وديون الجمهورية والعمالة فيها، والظروف المهنية تسطيح وتبسيط أراده حلمى سلام أن يقر فى الأذهان ليبرئ ساحته بعد أكثر من عشرين عاماً. فالمستوى الوحيد الذى يجب عرض قضية الصحفيين ومذبحتهم من خلاله هو المستوى السياسى وهو بالتحديد مستوى الثورة والثورة المضادة.

ومن طبيعة الثورة المضادة ألا تعمل خارج الثورة، إنما تعمل من داخلها، تستخدم أسلحتها، ولغتها، وهى لا تنشئ تياراً خاصاً بها إنما تركب بسفينتها نفس التيار ونفس الموجة الثورية إلى أن تقوى ويشتد عودها وعندئذ تندفع لتغرف أسوار المدينة.

وقد كنت قريباً من المذبحة بدرجة تسمح لى بالمشاهدة، وكنت واحداً من الذين عصف بهم حلمى سلام فى الموجة الأخيرة من المذبحة (مايو ١٩٦٥)، وكنت من المشاركين فى التحضير لأول مؤتمر للصحفيين المصريين يعقد بنقابة الصحفيين، وكان البند الأول فى جدول أعماله ضمانات الصحفى ضد النقل والتجميد والفصل المقنع، كما كنت من المشاركين - أيضاً - فى التحضير النشط لعقد الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين العادية وغير العادية لإدانة المذبحة، وكل هذا أتاح لى رؤية هذا الشكل من الصراع بين السلطة والصحافة، خاصة أن عناصر السلطة فى هذا الصراع كانت تبدو متفقة وهى فى واقع الأمر مختلفة، وأعنى بها الرئيس عبد الناصر والمشير عامر، وكانت جذور هذا الخلاف بدأت فى أعقاب انهيار الوحدة مع سوريا ثم اتسعت هوة الخلاف بين الرجلين عند إنشاء مجلس الرئاسة وعرض فيه عبد الناصر اقتراحاً بأن تكون له سلطة التوقيع على الترقى فى الجيش بعد رتبة العقيد.. وأحس المشير أن هذا انتقاصاً من سلطاته، إلخ، ثم عندما بدأ الاتحاد الاشتراكي يقام على أساس من مبادئ الميثاق الوطنى، وبناء التنظيم الطليعى، أحس المشير أن عبد الناصر يسحب كل التنظيمات السياسية ويبقيها تحت سيطرته، فعدل عن القفز على مؤسسات مدنية حساسة ليستخدمها فى ضرب الثورة أو الحد من نفوذ عبد الناصر وفكره المتمثل فى الميثاق الوطنى وكان من هذه المؤسسات مؤسسة النقل العام، ومؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، التى كانت تصدر جريدتى الجمهورية والمساء بالإضافة إلى جريدتين واحدة انجليزية الإجيبشيان والثانية فرنسية هى البروجرية.

كانت الحياة السياسية فى مصر تعج بالحركة والنشاط. ففى الاسكندرية يجرى التحضير لمؤتمر القمة العربى لبحث تحويل نهر الأردن، وفى القاهرة والمحافظات تتجمع القوى الوطنية والاشتراكية لترجمة ما جاء فى الميثاق الوطنى إلى حقائق. فتجرى انتخابات الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكي وينشأ أول معهد عال للدراسات الاشتراكية، ويصل مجموع

أعضاء منظمة الشباب الذين قضوا فترة التدريب الأولى والثانية فى خمسة معاهد إلى حوالى ١٠٠ ألف شاب وشابة، وتصدر مجلة «الاشتركى» أول جريدة تنطق وتعبر عن التيار الاشتراكى داخل منظمات الاتحاد الاشتراكى وتشكيلاته المختلفة، وتقترب الخطة الخمسية الأولى من اكتمالها، وهى أول خطة للتنمية فى مصر، ويشعر المشير وبطانته أن المجتمع يتحرك نحو آفاق لا يستطيعها ولا يقدر عليها، فيبدأ بالقفز على مرفق النقل االعام، ثم يشعر أنه لابد أن يخضع صحيفة ما، ولتكن الجمهورية التى كان توزيعها قد فاق توزيع كثير من الصحف المصرية، وتضم أشد العناصر وأصلبها فى الكفاح الوطنى، وتخوض المعارك الواحدة تلو الأخرى، وتخرج منتصرة، ولا شك أن الزملاء العاملين فى الصحف المصرية والقراء بصفة عامة يذكرون تلك الحملة التى قادتها الجمهورية لإعادة كتابة التاريخ المصرى وتنقيته وبلورته.. وركزت على أبطال مصر، ووضعت تلك الحملة ثورتى عرابى و١٩ فى مكانها الصحيح.. الخ، وكان التنظيم الطليعى داخل الجمهورية له كيان ووجود. واستطعنا ضرب التيار الإخبارى الذى كان يهتم بالإثارة ويرى فى عض الرجل لكلب خبراً مثيراً. وبدأنا فى الجمهورية مناقشة قضايا الجماهير ومشاكلها بصراحة ووضوح، ورفعنا شعار النقد والنقد الذاتى الذى جاء فى الميثاق الوطنى واستخدمناه لصالح بناء تنظيم ديمقراطى اشتراكى قوى وقادر، وكان هذا ما يقلق قوى الثورة المضادة، فانقضت على الجمهورية بليل ووضعت على رأسها رجلاً من رجالاتها يتمتع بثقة المشير وحبه وعطفه، ولم يكن المشير - فى الواقع - يريد أصدقاء.. ولا زعماء.. ولا رجال ثورة.. إنما كان يريد اتباعاً يسيرون. وكان حلمى سلام أصلح الناس للقيام بهذا الدور، دور التابع، ومن هنا أصبح بوعى أو لا وعى أداة من أدوات الثورة المضادة.

● لقد ذكر حلمى سلام أنه فى الفترة من ٤٨ - ١٩٥٢ حول المصور بالكامل إلى مقالات وتحقيقات عن بطولات حرب فلسطين، وهو قول ينقصه دليل، ودليلنا المناقض هو صفحات المصور نفسه عن هذه الفترة!

● يذكر - أيضاً - أنه لما قدمت الثورة «انفردنا بنشر قصة الثورة كاملة من المهد إلى المجد حتى طلب عبد الناصر إيقافها» (صباح الخير ص ٢٠ العدد ١٤٩٣) فلماذا طلب عبد الناصر إيقافها؟ هل طلب عبد الناصر إيقافها لأنها عظيمة جداً (!) وأنها تعبر بحق وصدق عن الثورة؟ أم طلب إيقافها بإيعاز من هيكل لينفرد وحده بهذا المجد؟

● وكعادة الذين يقومون بأدوار مرسومة لهم سلفاً يؤكدون - دائماً - على ذواتهم، وعلى الشكل والمظهر.. رغم أن هذه الأدوار تتفق وملكاتهم ومواهبهم المصابة بالعجز والجدب، لذا نرى السيد حلمى سلام عندما خرج من مجلة التحرير التى ذهب إليها بناء على طلب عبد الناصر - كما يدعى - ثم تخلصوا منه بأن طلبوا أن يلزم بيته فى أجازة مفتوحة (!) برغبته (!!) لكن حلمى سلام لا يهتم بعملية الخلاص - ولا بالمذلة والإهانة، فهذا مقرر ومرسوم

ومكتوب على أى تابع أو ممثل لدور معين - إنما يهتم بالشكل والمظهرية فيبحث عن الذى أبلغه القرار. وهل المبلغ يرقى إلى المركز الذى يتيح له أن يصدر أمراً لحلمى سلام أم لا، فيجد أن اليوزباشى حسن نايل سكرتير السادات - السادات كان مديراً عاماً لدار التحرير للطبع والنشر عندئذ - هو الذى أبلغه، فذهب إلى المشير وروى له كيف أبلغنى حسن نايل بالقرار، وفجأة انتفض عبد الحكيم عامر وقال سكرتير السادات هو الذى أبلغك وليس السادات (ص ٢٣ صباح الخير العدد ١٤٩٣).

وتسيطر على حلمى سلام الشكليات - لأنه لا يوجد لديه شىء آخر - إلى درجة الهوس، فما يكاد يذهب رئيساً لتحرير مجلة الإذاعة حتى يعمل بالوقيعة بين د. حاتم وعبد الناصر، فيكون الجزاء النقل إلى دار الهلال فلا يحتج على النقل فى ذاته إنما الذى يعنيه طريقة إعلان هذا النقل.. وأن يعيننى عضواً فى مجلس الإدارة وكأحد رؤساء تحرير المصور.

ماذا يعنى بكلمة «كا» هذه؟ هل يعنى أنه رئيس لتحرير المصور، فما الذى أعجز صاحب الأمر عن استبدالها بحيث يصبح رئيساً لتحرير المصور؟ لكنها الشكليات - كإشعار للقراء والزملاء الصحفيين اننى لم أنقل من الإذاعة إلى المصور فى صورة المغضوب عليه (ص ٢١ صباح الخير العدد ١٤٩٨).

● هل من الهدف إذن أن يأتى ثوار يوليو بحلمى سلام ويضعونه فى منصب ما ثم يطردونه منه، إن مسألة الطرد هذه تتكرر كثيراً.. لماذا؟ لا يمكن أن يحدث لشخص ما إلا إذا كان له دور فى لعبة أكبر، وهو دور التابع، الباهت الشخصية، المجرد من الكرامة والكبرياء، الذى يقبل الفتات، وبقايا الموائد، ولا يخجل - بعد ذلك - أن يذل وأن يهان فهذا دوره، وعلى قدر حجمه، وعندما ذهب إلى الجمهورية مسلحاً بشرطة المشير وسيفه ودرعه لم يعد منها إلى بيته - آخر الأمر - مكللاً بالغار، بل طرد منها شر طرده ومنع من الذهاب إليها، وقد شيع عندئذ بما يستحقه.. هل هذا صدفة؟

● كذلك، وحتى لا ننسى، لا يمكن الاعتداد بما يقوله مرسلاً دون دليل أو برهان فيما يختص، يقول الرئيس ناصر إن حلمى سلام لا يتحمل مسئولية مذبحة الجمهورية، فقد جرت العادة أن يأخذ السيد على عاتقه مسئولية ما يرتكبه التابع.. فما بالك بتابع التابع!

لقد أخذ عبد لناصر على نفسه مسئولية هزيمة يونيو، وكان قائد هذه الهزيمة ومهندسها هو المشير عامر وجماعته - السيف والدرع لحلمى سلام - والشعب كله يعرف ذلك، ولكن منطق القانون ومنطق السياسة أن يتحمل المتبوع مسئولية خطأ التابع، فما بالك بقضية الصحفيين ومسئولية حلمى سلام وإدراك عبد الناصر لأبعادها.. وأنها كانت تصرفاً أحمق قام به تابع للمشير عامر يعمل ككوكبارس حانة الثورة المضادة!! هل كان مطلوباً من عبد الناصر أن يعلن خطأ المشير وخطأ تابعه حلمى سلام.. لقد كان الجمل يختزن ما يراه إلى أن تجىء الأيام ويصفى الحساب.

وعلى الرغم من هذا، فلم يقدم حلمى سلام، وهو المولع بالأدلة دائماً، دليلاً واحداً يثبت أن الرئيس ناصر رفع عنه مسئولية المذبحة.

يقول حلمى سلام: إن الرئيس ناصر نفى مسئوليته فى مضابط (!!) مجلس الأمة.. ما تاريخ هذه المضبطة.. ما رقمها؟

وقد أصيب - بالطبع - بسكتة مفاجئة عندما أثبت له الزميل أحمد حرك عضو مجلس الأمة وقتذاك أن الرئيس ناصر لم يعلن براءته!

نحن بالطبع لا نحاسب حلمى سلام الآن.. إنما نضع الأشياء فى موضعها السليم، واثقين تماماً أن عملية خلط الأوراق وبحث القضية على غير مستواها يجعلها تسقط فى كمين ضبابى.

● يذكر حلمى سلام أنه كان عضواً بالتنظيم الطليعى وفى الخلية التى كان يرأسها على صبرى وتضم مصطفى المستكاوى - رئيس تحرير جريدة المساء التى حاول حلمى سلام إغلاقها وفشلت محاولته - ود. عبد العزيز السيد، ويذكر أنه استبعد ثم نقل إلى خلية أخرى كان بها أحمد حمروش وسعد كامل (ص ٢٢ صباح الخير العدد ١٤٩٨).. والحقيقة أن على صبرى لم يكن يرأس خلية فى التنظيم الطليعى إنما كان فى قيادة التنظيم الطليعى.. أما النقل إلى خلية أحمد حمروش وسعد كامل ففرية تحتاج إلى الاستبعاد تماماً (!) ذلك لأننا كنا ضمن هذه الخلية الأخيرة وكان من الطبيعى أن نعرف!

وفى الواقع، لا يمكن - عملاً - استبعاد هذا الاحتمال إذا ما كان يستهدف اختراق التنظيم الطليعى فى الصحافة من قبل المشير عامر بواسطة حلمى سلام.. ونعتقد أن محاولة الاختراق هذه قد فشلت بدليل ما ادعاه حلمى سلام بأنه انقطعت صلته بالتنظيم تماماً بعد جلستين (ص ٢٢ صباح الخير العدد ١٤٩٨).. فلماذا حدث هذا الانقطاع؟ إن اختيار عضو التنظيم الطليعى لم يكن يتم عشوائيا، وكان شرفاً أن ينتسب الشخص إلى ذلك التنظيم الذى يقوده عبد لناصر داخل الاتحاد الاشتراكى، ولم يحدث الانقطاع عن الحضور.. أو التسيب إلا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وإصرار مجموعات التنظيم على معرفة كل شىء ومعاقبة المسئولين عن الكارثة وتنحية القيادات الفاسدة وإعادة النظر فى كل شىء من جديد.. قبل يونيو ١٩٦٧ لم يكن شخص فى موقع المسئولية - كما كان حلمى سلام أو تابع لمجموعة قوية كمجموعة المشير - يتجرأ ويدعى بانقطاع صلته إلا لأسباب موضوعية منها إفشاء أسرار التنظيم، استغلال التنظيم، الانتهازية، عدم الالتزام، وعندئذ يدعى العضو إلى مناقشة سياسية ثم إلى محاكمة سياسية يقول فيها رأيه ويوضح وجهة نظره. ثم يتقرر بعد ذلك تجميد عضويته إذا ما ثبتت إدانته، أو طرده من التنظيم إذا ما ظهر من المحاكمة السياسية أنه لا أمل فى إصلاحه أو تورطه فيما قد يتورط فيه أى إنسان.

فماذا حدث بالضبط بالنسبة لحلمى سلام؟

لا أريد أن أن أتبرع بأية معلومات.. ولكن الزميلين أحمد حمروش وسعد كامل يستطيعان أن يذكرا الحقيقة في هذا الشأن! هل كان حلمي سلام في مجموعتهما؟ هل انقطع عنها إذا كان عضواً بها.. ما الأسباب التي أدت إلى استبعاده؟

● كانت الجمهورية قبل مجيء حلمي سلام إليها يتولى رئاسة مجلس إدارتها كمال الدين الحناوي وكان ضابطاً من الذين خرجوا في ٢٣ يوليو، وكان مدرساً في كلية أركان حرب، كما كان من المتمكنين في اللغة الإنجليزية وترجم وعرض الحرب الأهلية الأمريكية، وله عدة كتب وأبحاث بين الثقافة والعسكرية، كان الحناوي في ذاك الوقت وزيراً في وزارة الوحدة الثلاثية - مصر، العراق، سوريا - وكان يؤمن إيماناً لا يتزعزع بحرية الكلمة، وقوتها.. وسحرها أيضاً.. وفي ظل قيادته للجمهورية كانت كل الأزهار تتفتح، فأعيد تنظيم كتاب اليوميات والأعمدة.. وجرى تدعيم قسم التحقيقات الصحفية بحيث ضم محققين ثقافيين وسياسيين، واجتماعيين واستعان بعدد من الأساتذة الجامعيين الذي لهم وزن وثقل في الكتابة في القضايا الثقافية والحضارية، وأذكر منهم د. محمد أنيس، د. عبد الرحيم مصطفى، د. حراز، د. جمال المسدي، كما اتسع هذا القسم وفتح ذراعيه للزملاء الذين خرجوا من المعتقلات مثل: بهيج نصار، أمير أسكندر، فتحي عبد الفتاح، عدلي برسوم.. ألخ. وكنت أتولى رئاسة هذا القسم، ووضعت خطة لمسح بلاد الجمهورية، مدنها وقراها، المشكلات والقضايا والآراء.. وأذكر أن د. حاتم وزير الإرشاد والثقافة كان لا يغمض له جفن إلا بعد أن يقرأ الطبعة الأولى من الجمهورية. وكان كمال الحناوي يقول لنا إنه لو نشأت معارضة فإن الجمهورية سوف تكون من صحف المعارضة، فقد كان شعار النقد والنقد الذاتي هادياً لنا في طريقنا، ومع تطوير الجمهورية ونجاحها وارتباطها بالجماهير، فقد تطورت التنظيمات السياسية بها، كما نمت خلايا التنظيم الطليعي وامتدت فروعه من التحرير إلى المطبعة، إلى شركة الإعلانات المصرية والشرقية، إلى الصحف الأجنبية التي تصدرها دار التحرير.. وكان كمال الحناوي قائداً لسفينة الجمهورية، وسط عواصف السياسة، مدافعاً عنها ضد الذين يريدون كسر شوكتها لتركع مع الراكعين، وكان كمال الحناوي يتلقى كل يوم ملاحظة من د. «حاتم» باسم الرئيس ناصر.. ولصلتي بهذا الموضوع فقد نقل له د. حاتم ذات صباح طلباً من الرئيس ناصر بفصلي، وكان كمال الحناوي أذكى وأوعى من أن ينخدع، فطلب من د. حاتم إرسال كتاب إليه يتضمن هذا الأمر ومصدره إن كان الرئيس ناصر أو علي صبري أو أي مسئول آخر.. ولم يصل كتاب د. حاتم أبداً.. وقد دافع عن نفسه فيما بعد وقال لي: هو الريس كان بيبعث ورق يبقى أنا أبعث ورق ليه..؟

● وبدأ المشير عامر يحلم بأن يرى على مائدته خريطة الصحافة المصرية ويلتهم طبقه المفضل منها: الجمهورية، وليكسر شوكتها ويقضي على كل من فيها ويسكت صوتها، ثم يدفعها للغناء له، والتحدث بمناقبه وكراماته، وتمس صباح الخير في (ص ٢٣ العدد ١٤٩٨)

هذه النقطة بقولها وهى تعرض ذكريات حلمى سلام وكارثته الصحفية بقولها: وعلى الجانب الآخر كانت تنمو سلطة المشير عامر ويتحول إلى ند يحسب عبد الناصر حسابه ويخشى بأسه، فإذا كان لعبد لناصر هيكل والأهرام فليكن للمشير إذن حلمى سلام والجمهورية والزواية مصدرها منير حافظ.

● جاء حلمى سلام إلى الجمهورية فى أغسطس سنة ١٩٦٤ وسط أنباء وشائعات بأنه جاء لتصفية التيار الاشتراكى فى الجمهورية، وتأديب المحررين، وشل ألسنة السياسيين، وقصف أقلام الكتاب، وقلنا هذا طبيعى إذا خرج كمال الحناوى وجاء بدلاً منه حلمى سلام، فلابد أن تكون هذه الأنباء صادقة، وقد كانت صادقة بالفعل!

● وإذا ما تمعنا فيما قاله منير حافظ، ومنير حافظ لا يكتب آراء، ولا يقدم وجهة نظر إنما يذكر معلومات.. إن المشير تحول إلى ند لعبد الناصر، فماذا تعنى هذه المعلومة فى لغة السياسة؟ إنها تعنى أن المشير تحول إلى مركز من مراكز الثورة المضادة، وبالتالى فإن من يستخدمه ومن يسير فى ركابه، ومن يتبعه لابد أن يكون عاملاً فى هذا المركز: الثورة المضادة!

هذا هو المستوى الذى يجب أن تبحث عنه مذبحة الصحفيين، إن بحث هذه المذبحة على مستوى مهنة الصحافة وعلى مستوى التجار وكيف تربح وكيف تخسر.. وكيف تسدد الديون؟، تسطيح وتبسيط كما سبق القول، ويؤسفنى أن كل الزملاء الذين تصدوا للدفاع قد وقعوا فى الكمين الذى نصبه لهم - بذكاء شديد - حلمى سلام، وهو كمين خلط الأوراق بحيث لا يعرف المرء أى مستوى جرت فيه المذبحة. ولمصلحة من يخرج من جريدة الجمهورية خيرة كتابها وصحفييها، وألمع محرريها، ومن المستفيد من كسر الأقلام وتكميم الأفواه، ولماذا ماتت القضايا الحيوية على صفحات الجمهورية، وتحولت أعمدتها، وسطورها وكلماتها إلى تأليه فرد وعبادة فرد وتقديس فرد هو: المشير عامر؟!

● ويغرقنا حلمى سلام بحكايات طويلة لا قيمة لها ولا وزن عن مقابلاته ورسائله للمشير ولغير المشير ولسنا بصدد مناقشة صحتها أو عدم صحتها، لكنها تؤدى جميعها إلى نتيجة واحدة وتشير إلى اتجاه واحد هو: أن المشير عامر هو الأمل والنجاة.. هو المنقذ..

وبالفعل كان المشير عامر عند حسن ظن تابعه حلمى سلام، فقد أثبت بقيادته وحكمته وشجاعته فى يونيو ١٩٦٧ أن الثورة المضادة تؤتى ثمارها سريعاً، كما يثبت أيضاً أن مقتل عبد الناصر ومقتل أى ثورة وقائدها وموت شعارها وصمت نشيدها، لا يحدث فى ميدان القتال قبل أن يقع فى بؤرة الثورة المضادة.

● يتناقض حلمى سلام - وهذا طبيعى - فالحقيقة لها وجه واحد، أما الأكاذيب فلها ألف وجه ووجه، يتناقض بين أمرين، أولهما: أن المذبحة جرت بسبب الرغبة فى تخفيف أعباء العمالة الزائدة، وتخفيف الديون، ومعالجة الموقف المالى، والأمر الثانى: هو العقاب!

فأيهما يستند إليه حلمى سلام فى مذبحة الصحفيين؟

إذا كان الأمر الأول، فهذا لا شأن له به، لأن الدولة تتولى عنه هذا الأمر، ومع ذلك فإذا كان حلمى سلامى قد تولى مسئولية الجمهورية وهى مدينة بـ ٣٦٠ ألف جنيه فقد تركها وهى ترزح تحت دين مقداره ٨٦٠ ألف جنيه.

وإذا كان يستند فى فصل الصحفيين ونقلهم - والأمر سواء - إلى عقابهم لأنهم يتزعمون أحزاباً وشللاً، فهذا أيضاً لا شأن له به، لأن القوانين تنظم هذا الأمر والمحاكم تفصل فيه. أيهما إذن كان الدافع لحلمى سلام لإخراج هذا العدد الكبير من الصحفيين من جريدة الجمهورية؟

ليس هناك سوى تفسير واحد هو أنه كان يدور فى حلقة الثورة المضادة التى كانت لا تدرى إلى أين تتجه وأين تسير، وكانت كثرة الدوران تصيبه بالإغماء فلا يدرى ماذا يفعل وماذا يقول.. لكنه على أية حال كان يتلقى الأوامر وكان ينفذها بدقة.. وهذا هو المطلوب!

● ومن الأمور المدهشة فى ذكريات حلمى سلام التوقف بين الحين والآخر عند تعبير «التنظيم الطليعى» وهذا ما يقودنا إلى ما اكتنف هذه المذبحة من ظروف اكسبتنا خبرة جيدة في التعامل مع العناصر القيادية فى التنظيم الطليعي، ومع الأسف، فإن القيادات العسكرية التى كانت فى هذه القيادة كانت تخشى من العمل الجماهيرى، وانتقلت عدوى هذا الطاعون إلى العناصر المدنية المرتبطة مع العناصر العسكرية بحكم العمل المشترك.. ومن أمثلة ذلك أنه كان من الطبيعى مناقشة مجيء حلمى سلام إلى الجمهورية فى خلايا التنظيم الطليعى ومناقشة ما تردد عن المهمة المكلف بها من المشير عامر وهى تصفية التيار الاشتراكى وضرب التنظيم الطليعى فى الجمهورية.. وطلبنا اختيار شخصية أخرى بدلاً من حلمى سلام لكننا لم نتلق رداً، وعندما جاء موعد الاجتماع التالى كان حلمى سلام قد وصل وبدأ العد التنازلى لتنفيذ المذبحة. فتحركت أجمع توقيعات من الزملاء الصحفيين على عريضة موجهة للرئيس ناصر نطالبه فيها بإيقاف المذبحة قبل وقوعها.. وعلم حسن فؤاد وأحمد حمروش بما كنت أقوم به وكنت قد جمعت حوالى ١٦٠ توقيعاً، وفوجئت بالزميل أحمد فوزى - يرحمه الله - وكان سكرتيراً لتحرير الجمهورية يطلب منى العريضة باسم حسن فؤاد لجميع توقيعات صحفيي روزاليوسف عليها، وسلمت لأحمد فوزى العريضة، وفي المساء، مساء اليوم نفسه كلمنى أحمد حمروش من الاسكندرية وقال لى: إيه اللي أنت بتعلمه ده، أنت بتجمع توقيعات ضد قرار اصدرته السلطة.. والقرار لم يصدر بعد، بلاش توقيعات، وخلى أحمد فوزى يجيلى بكره بالعريضة.

وبعد عدة أيام طلب أحمد حمروش أن يجتمع بمجموعتنا - بناء على طلبنا - وأبلغنا أن عبد الناصر أوقف العملية كلها ولن ينقل أى صحفى من الجمهورية.

ومرت عدة أيام أخرى، وصدرت قرارات النقل، واختفى أحمد حمروش، وعرفنا أن هناك كذبة كبرى ضائعة بين قيادات التنظيم الطليعى وبين الزعيم عبد الناصر، ولم نكن على

استعداد لأن نشك – مجرد شك فى الزعيم – وأدركنا أن هذا الموضوع قد مر من وراء ظهره. وهنا كان يجب على قيادة التنظيم أن تدعنا نواجه هذا الظلم الواقع علينا.

● وفى الناحية الأخرى كان حلمى سلام تحت تأثير نجاحه فى إصدار قرارات النقل، قد انتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة استقدام محررين كانوا يعملون معه فى مجلة الإذاعة، وكان الواحد منهم يتقاضى ضعف مرتب ثلاثة من الكتاب الكبار، ولم يكتف بذلك، فأغدق عليهم المناصب والمكافآت والمزايا، بل تمادى وخصص لأحدهم سيارة لاستعماله فى تنقلاته، فالأمر إذن لم يكن عمالة زائدة لأنه جاء بعمالة جديدة، ولم تكن ديوناً أثقلت كاهل الميزانية لأنه حمل الميزانية – بما جاء به من عمالة – ديوناً أكثر.

● ولما لم يرد اسمى ضمن المنقولين فى الدفعة الأولى من الصحفيين، فقد اعتقدت – وكنت صادقاً – أن أسمى وارد لا محالة، إن لم يكن اليوم فغداً، وبالطبع لم أعبأ لأننى كنت على ثقة بأن عبد الناصر كفيل بتصحيح كل شئ، وأننى لو كنت ضمن المجموعة التى نقلت فلن ألبث حتى أعود إلى مكانى أنا وزملائى معززاً مكرماً.

● لكننا أدركنا – أيضاً – أن النضال يجب أن يبدأ فى النقابة بقوة وعنف، واعتبرنا التنظيم الطليعى مازال هو الآخر ضمن التنظيمات الأخرى التى تكتظ بها مصر فى حاجة إلى تطهير.. وأن من المستحيل إقامة تنظيم قوى من مواقع السلطة لأنه عندئذ لن يستطيع مواجهة السلطة.. بل إنه سيتحول من التنديد بأخطاء السلطة إلى تبرير هذه الأخطاء.

● على كل حال لم يستمر الأمر طويلاً، فقد بدأ حلمى سلام فى الاستفزاز، وكان لديه تقرير يومى عن نشاطى فى نقابة الصحفيين وكذلك نشاط زملائى، وكانت نسخة من هذا التقرير ترسل إلى مكتب المشير.. وأذكر فى هذا المجال واقعتين:

■ الواقعة الأولى:

فى اجتماع لقسم التحقيقات الصحفية حضره حلمى سلام وكنت أناقش اقتراحاً لزميلى لعمل تحقيق عن المشاكل والأخطاء فى مرفق النقل العام وكانت سلطة المشير قد امتدت إليه كما سبق القول، فقلت للزميل المحرر أن يبحث أسباب المشاكل ويدرسها ويضع يده على السلبيات التى تقف فى وجه انطلاق هذا المرفق الهام.

علق حلمى سلام بأن هذا ضرورى، وعلى المحرر أن يقدم كل هذا لرفعه للمشير عامر، فاعترضت وقلت إن هذا ليس عملنا، عملنا هو مخاطبة الرأى العام.

■ الواقعة الثانية:

كان الزميل الصديق وحيد غازى رئيس تحرير الأحرار محرراً بالتحقيقات الصحفية، وكان قد أجرى تحقيقاً هاماً، فقدمته للنشر فى صفحة التحقيقات، لكن عندما عدت فى المساء

لأراجع أعمال قسم التحقيقات وإلقاء نظرة عليها باعتبارى رئيس القسم فوجئت برفع اسم وحيد غازى من الموضوع، فوضعته عليه، وفى مكان مناسب، وببنط يليق بأهمية الموضوع.. واعتبرت الأمر منتهياً.

وفى الصباح فوجئت باسمى على لوحة الإعلانات بأننى نقلت محرراً فى قسم الأخبار تحت رئاسة الزميل العزيز الأستاذ محمود سليمة الذى فوجىء هو الآخر بالقرار فترك لى مكتبه وقال لى.. نحن زملاء.. مكانى ومكتبى هو مكانك ومكتبك ولا تزعل.

وعرفت بعد ذلك أن بعض الزملاء قال لحلمى سلام إن سبب دفاع جمال سليم عن وحيد غازى أنه من شلته فى النقابة.. والحقيقة أننى كنت أرى أن من حق أى صحفى أو كاتب أن يضع اسمه على ما يكتبه باعتباره مسئولاً عنه ومن حقه.

وقد طلبنى حلمى سلام لكننى رفضت مقابلته، وكنت أرى أنه من الأفضل التحرر من العمل معه، فالعمل معه كان قد اصبح وصمة وعار، وقد فشل ثلاثة من الوسطاء فى عملى على الاعتذار للعودة إلى منصبى وزيادة مرتبى إلى الضعف إلا أننى رفضت، فقد كان قبولى يعنى خيانة لزملائى.

وهكذا تجمع لدى حلمى سلام ما يكفى لكتابة مذكرة مسمومة للمشير بنقلى إلى وزارة الثقافة تحت رئاسة د. حاتم الذى كنت على خلاف سياسى معه، ووافق المشير - بالطبع - وحول المذكرة للسيد على صبرى رئيس الوزراء الذى أصدر القرار رقم ٦٦٤ فى ٣٠ يناير سنة ١٩٦٥ بنقلى من الجمهورية إلى وزارة الثقافة والإرشاد.

وما أن تلقى حلمى سلام القرار حتى وضعه فى مكتبه لمساومتى خاصة بعد صدور قرار من الرئيس عبد الناصر باختيارى مع اثنين من زملائى هما سامى داود والفنان أبو العنين لإصدار مجلة الاشتراكى مع تفرغنا سياسياً لنصف الوقت ومنحنا ٢٥ ٪ من مرتباتنا.

ورغم استجابتى لهذا القرار واعتزازى به فقد واصلت هجومى على حلمى سلام فى النقابة وفى المؤتمر الأول للصحفيين المصريين وفى الجمعية العادية وغير العادية لنقابة الصحفيين، لأننى كنت أدرك تماماً أنه تعبير غير ناضج عن الثورة المضادة ويجب مقاومته.. ولهذا لم يجد مفراً من التخلص منى فأعلننى بالنقل فى ٣ مارس سنة ١٩٦٥ ولم يمر سوى أسابيع حتى تلقى أمراً بالتليفون بأن يلزم بيته كالعادة، ولم يكن طرد حلمى سلام من الجمهورية إيذاناً بفشل الثورة المضادة، وانتصاراً للثورة، إنما كان حلقة من سلسلة الصراع الذى لم يتوقف بين الثورة والثورة المضادة وهذا هو المستوى الصحيح لفهم أبعاد مذبحة الصحفيين عامى ١٩٦٥/٦٤.

«جمال سليم»

صلاح حافظ

«الصحافة.. السلطان.. الغضب»!



لا توجد مجلة أو جريدة صدرت فى مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ لم يعمل فيها صلاح حافظ ولو ليوم واحد سواء كانت مجلة يقرأها المئات أو حتى عشرات الألوف وذلك منذ كان طالباً فى كلية الطب عام ١٩٤٨ .

وفى عصر جمال عبد الناصر تولى صلاح حافظ «اليسارى» رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة التى تصدر عن أخبار اليوم، وفى عصر أنور السادات تولى رئاسة تحرير «روزاليوسف».

واقترب صلاح حافظ من عشرات الأسماء الصحفية والسياسية اللامعة طوال تلك السنوات، وعن قرب شاهد ولمس ما كان يدور فى كواليس ودهاليز صاحبة الجلالة.

وهذه شهادته...

■■

● قلت للأستاذ صلاح حافظ: عندما قامت الثورة كان قريباً من عبد الناصر أكثر من صحفى لامع.. كان هناك مصطفى وعلى أمين.. إحسان عبد القدس.. كامل الشناوى.. أحمد أبو الفتح.. حسين فهمى.. لماذا هيكل وحده كان صحفى العصر؟ أو كما أسماه البعض.. كبير الطهاة فى المطبخ الناصرى؟

■ قال: هيكل التصق بعبد الناصر، وصار بينهما نوع من الثقة الشخصية، وهيكل كان مفيداً لعبد الناصر، أولاً لأنه كاتب وصحفى كويس، فكان يستطيع أن يصوغ حتى الأفكار الغامضة فى ذهن وعقل عبد الناصر. أقصد أنه كان يتأمل أفكار عبد الناصر، وعندما يتصدى لكتابتها فقد كان يجسدها ويعطيها صيغة تريح عبد الناصر. وثانياً فإن هيكل كان يدرك عكس الآخرين من كبار الصحفيين - ان الحاكم محتاج إلى من يمده بالمعلومات، لا أن يطلب منه المعلومات والأخبار.

وأنا أذكر قصة رويت لى ذات مرة، وحدثت فى مؤتمر باندونج. كان عبد الناصر يصطحب معه لحضور هذا المؤتمر أسماء صحفية كبيرة منها هيكل،

إحسان عبد القدوس، حسين فهمي وآخرين، المهم أن هؤلاء الصحفيين لاحظوا أن عبد الناصر دائم الانفراد بهيكل ، وكثيراً ما يجلسان سوياً لفترات طويلة. وفي إحدى المرات دخل رئيس تحرير عليهما، وعندما تنبه عبد الناصر لدخوله، أشار له بيده بما يعني: انتظر قليلاً في الخارج حتى ننتهي من حديثنا!

وغضب رئيس التحرير وحكى لزملائه ذلك الموقف، وصمموا على مفاتحة عبد الناصر في هذا الأمر. وفي المساء اجتمعوا بعبد الناصر.. وطلبوا من زميلهم أن يتكلم، فصمت، واستوضح عبد الناصر الأمر. فقال أحدهم:

- ياريس إحنا رؤساء تحرير.. وعاوزينك تدينا أخبار زى هيكل علشان ننشرها في صحفنا، ونريد أن تجلس معنا كما تفعل مع هيكل وتحكى لنا أسرار ما يحدث في المؤتمر.. و..؟

ونظر عبد الناصر إليهم بدهشة قائلاً: أنا معكم ليل نهار.. وأنا لا أملك معلومات أقولها لكم.. أنا أجلس مع هيكل لأنه يأتي لي بمعلومات وأخبار.

أريد أن أقول باختصار إن هيكل كان يخدم عبد الناصر، وكان مفيداً له كزعيم وحاكم.

● قلت : والآخرون ألم يكونوا مفيدين لعبد الناصر ؟

■ قال: الآخرون كانوا صحفيين وكتاباً، تعودوا أن يقولوا رأيهم، وينتقدوا ما هو غير مضبوط، ولم يكن دور الكاتب أبداً أن يكون في خدمة الزعيم! لكن هيكل أدى هذا الدور وأصبح مفيداً للزعيم، وما دام يفيده ويصوغ له أفكاره فمعنى هذا أن هناك حواراً بينهما . ومن ثم صارت بينهما نقاط اتفاق ونقاط خلاف. وارتفعت العلاقة بينهما إلى مستوى: أنني أتناقش معك! ثم صارت آراء هيكل التي يكتبها في مصر لها قيمة. وربما أصبح لشهادته في حق الناس قيمة أيضاً.. الخ.

هذا الموقع الذى كان يشغله هيكل يجعله في رأيي أحد المسئولين عما أصاب الصحافة وعما كان يشكو منه الصحفيون في عهد الثورة!! فهو بهذه المكانة لم ينجح في أن يجعل للصحافة موقعاً أكثر احتراماً من جانب الثورة! كان يمكنه ألا يجعل الصحافة تهان بسهولة!

ولا أريد أن أقول إن هيكل شارك في هذا، ولكن أكتفي بأن أقول إنه لم ينجح في أن يرد غائلة «الاضطهاد الثورى» عن الصحافة والصحفيين. لقد رأى هيكل

ولمس بنفسه هموم الصحافة قبل أن يصبح فى هذا الموقع الممتاز، فكان المنتظر منه بعد أن صارت له هذه المكانة عند عبد الناصر أن يحمى الصحافة من هذه الغائلة - ليس من باب الولاء المهنى - وأنا لا أتكلم من الناحية المهنية - ولكن أتكلم من باب الفائدة السياسية للبلد فعلاً.

● قلت : زدنى إيضاحاً وتفسيراً ياأستاذ صلاح؟

■ قال: ان تكون فى مصر صحافة قوية ومحترمة، فى ظل زعامة وثورة.. فهذا شيء مطلوب جداً.. حتى ولو كان نصف هذه الصحافة ضد هذا الزعيم! كان هذا مطلوباً ومفيداً جداً للنظام نفسه!

● سألت : كيف كان جمال عبد الناصر يرى الصحافة؟

■ قال: أنا أعتقد أن جمال عبد الناصر كان يخشى الصحافة، لذلك كان يفضل أن يكون اتصاله بالجماهير اتصالاً مباشراً وليس من خلال الصحافة. وربما كان تعبير «يخشى» مش مضبوط، إنما الأصح أن أقول إنه كان «غير مكترث». فطالما أن الجرائد لا تكتب أو تنشر شيئاً «يلخبط» له سياسته، فهو يفضل الصلة المباشرة مع الجماهير.

وهذه نظرية هيكل، فهو كتبها ودافع عنها.. لذلك هيكل كان يكره أن يكون للثورة حزب. فلم يحب الاتحاد القومى، أو الاتحاد الاشتراكى، بل كان يحتقر الاتحاد الاشتراكى احتقاراً شديداً، بل كان يرفض أن يكون للجنة الاتحاد الاشتراكى الموجودة فى «الأهرام» كيان أصلاً! وإذا أى شخص فتح فمه بكلمة ينقل فوراً!

وهيكل يلتقى مع عبد الناصر فى الكراهية الشديدة لكافة الأشكال التنظيمية للجماهير. ويكره جداً الجماهير المنظمة، وهذه أيضاً نظرية هيكل ويدافع عنها بحرارة شديدة ويقول: فى الماضى كان الحزب هو الصلة بين الزعيم والجماهير.. أما الآن فنحن نعيش عصر الراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية.. وعبر وسائل الاتصال هذه صار الزعيم متصلاً بالجماهير! فما حاجته إذن إلى حزب؟! ما حاجته إذن إلى الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى؟

ومن المعروف طبعاً كقاعدة سياسية أن الشعب غير المنظم يساوى صفراً، وأن الشعب المنظم هو الذى يستطيع أن يحكم مصيره.. ووجود الزعامات كان شيئاً

لا يحبه عبد الناصر، وكان يكرهه هيكل. لذلك كله ابتدع هيكل نظرية أن الزعيم في العصر الحديث هو زعيم مباشر، يتصل بالجماهير على طول دون الحاجة إلى حزب!! أما الحزب فيدخله الرجعيون والنفعيون ويفسدون الدنيا!

● قلتُ كيف ترى وظيفة الكاتب الآن؟ هل لابد أن يكون مستقلاً عن الأحزاب؟ أن ينفصل عنها؟! هل هناك قدر من المسافة بين الكاتب وبين الحزب والقارىء؟

■ قال: أنا عملت تقريباً في كل صور الصحافة. حزبية وغير حزبية. اشتغلت في صحافة تنظيم سرى هو «حدتو» وفي صحافة مدرسة وطنية مثل «روزاليوسف» وصحافة مدرسة إخبارية مثل «أخبار اليوم» واشتغلت في الصحافة وأنا أنتمي إلى الاتحاد الاشتراكي العربي، واشتغلت فيها أيضاً وأنا أنتمي إلى التنظيم الطليعي السرى الذى أنشأه جمال عبد الناصر «ونحن الآن نعيش تجربة الصحف الحزبية. وكما قلت لك شاركت في تأسيس صحيفة الأهالي، ومع ذلك فأنا لم أنضم أو أنتمي لحزب من الأحزاب»!

وأنا لم أنتم لحزب.. ليس لأني ضد الأحزاب الموجودة الآن، أو لأني لا أجد فيها حزباً يعبر عني.. ولكن بعد تجربة طويلة جداً من الكتابة السياسية والأدبية وغيرها اكتشفت أن أنسب شيء للكاتب أن يكون مستقلاً!

وهذه القناعة أنا لم أتوصل لها بالتفكير أبداً، وإنما بالممارسة!! لأني عندما جلست أستعيد حياتي اكتشفت أنني عندما كنت أنتمي مثلاً لتنظيم حدتو كنت عضواً متعباً جداً لقيادته! لأني لم أكن أريد أن ألتزم وكنت أريد التصادم. وأذكر مرة اختلفت مع عبد الرحمن الخميسي (الكاتب والشاعر). كان له موقف سياسي معين وكنت ضد هذا الموقف، ونحن كلانا في نفس التنظيم، فهاجمته وهاجمني فصرنا نحنُ الاثنين متعبين للحزب. إذ كيف ننتمي لحزب واحد وفي نفس الوقت يهاجم كل منا الآخر؟

وعندما أصبحت أميناً في لاتحاد الاشتراكي العربي في عهد الثورة كنت أيضاً عضواً متعبا جداً، وبلغ بي الأمر أن أهاجم ما يقوله الاتحاد الاشتراكي في المجلة، وفي الاجتماعات أيضاً لدرجة أنهم حبسوني!

● قلت من حبسك ؟

■ قال: شعراوى جمعة حبسنى!!

● قلت : وهل استمر نفس الموقف فى التنظيم الطليعى ؟

■ قال: نعم.. لأنى طول الوقت أكتب ضد قيادته.. وأرسل لهم فلا يردون. وفى النهاية توقفوا عن إرسال مجلة أو نشرة التنظيم لى ثم ركنونى ومن هنا اكتشفت أن الالتزام الأول للكاتب يجب أن يكون نحو القارىء ونحو الحقيقة.

● سألته : كيف أصدر جمال عبد الناصر قرار تعيينك رئيساً.

■ قال: عبد الناصر لم يصدر قراراً بذلك، وما حدث أن خالد محيى الدين تولى رئاسة مجلس إدارة «أخبار اليوم» وأتى معه على الشلقانى وسعد التائه الذى تولى رئاسة آخر ساعة ولم تكن تجربته فى آخر ساعة ناجحة، بل كانت المجلة مستمرة فى التدهور!

وأصبح هناك صراع داخل القيادة الصحفية الجديدة، كان سببه تطرف رئيس التحرير نفسه الذى كان من وجهة نظره أن كل ما يكتب فى آخر ساعة لابد أن يكون سياسة فى سياسة.

وتحولت صفحات المجلة إلى حماسة وخطابة وسياسة وتحليلات. وظلت المجلة تنحدر عدداً بعد آخر، وذات يوم طلب منى خالد محيى الدين أن أتولى مسئولية آخر ساعة، وأرسل خالد محيى الدين بمشروع قرار تعيينى رئيساً للتحرير إلى جمال عبد الناصر، وظل هذا القرار على مكتب عبد الناصر لم يوقعه إطلاقاً إلى أن ترك خالد محيى الدين أخبار اليوم، وجاء هيكل بدلاً منه، وتم تعيين يوسف السباعى رئيساً للتحرير، وأنا مشرف على التحرير.

● هل حاولت معرفة أسباب عدم توقيع جمال عبد الناصر على هذا القرار؟

■ قال: مطلقاً.. لأنى لم أكن مكترثاً أصلاً بحكاية اللقب.. كان اهتمامى الحقيقى أنى أعمل مجلة ناجحة.

● قلت : نكتة مؤلمة سمعتها تقول إن الأستاذ هيكل قابلك ذات يوم وقال لك : عندى لك مفاجأة، ماكينات جديدة لتنطلق صحفياً. وبعدها فوجئت بفصلك ! هل حدث ذلك فعلاً؟

■ ارتسمت ضحكة صافية على وجهه قال بعدها: فعلاً.. حصل ما تقوله الآن! وبعد فترة قصيرة من مجيء هيكل إلى أخبار اليوم، ذهبنا إليه فى مكتبه للتعارف، وكنت وقتها مشرفاً على تحرير آخر ساعة، وأذكر أنه قال لى يومها بجمله السريعة: اسمع ياصلاح.. أنا عملتك مفاجأة هايلة! وسألته: مفاجأة إيه؟ قال: أنا اشتريت لك مطبعة أحدث طراز فى أوروبا الآن.. وشد حيلك بقى.

بعدها بقليل سافر هيكل فى رحلة للشرق الأقصى، وفى صباح اليوم التالى ذهبت إلى المجلة وفوجئت بخطابات تفيد أننا انتقلنا إلى المؤسسات العامة – كنا حوالى ٤٠ واحداً – اندهشت جداً من موقف هيكل. كيف يخبرنى أنه أحضر لى مطبعة جديدة فى نفس الوقت الذى يعلم فيه بخطابات فصلى من آخر ساعة.

● قلت: وما تفسير ذلك فى رأيك؟

■ قال: محصلش بيني وبينه حاجة إطلاقاً! بالعكس ذات مرة كنت سهران فى آخر ساعة واحتجت لبعض الصور الفوتوغرافية لتحقيق صحفى، فلم نجد فى أرشيف أخبار اليوم هذه الصور، وأذكر أننى سألته إذا كان يوجد فى أرشيف الأهرام هذه الصور فنستعين بها؟ ويومها قال: اسمع أنا مبدئى أن المنافسة بين الأهرام وأخبار اليوم Cut throat compatition منافسة تصل لحد قطع الرقبة أو منافسة حتى الموت، لكن أنا علشانك فقط سأعطيك الصور.. إنما دى آخر مرة!

يضيف صلاح حافظ: لم يكن بيننا أكثر من هذا الموقف! المهم بعد أن قرأت خطاب النقل وكان مكتوباً بلهجة وقحة جداً، ذهبت إلى مكتب سعد كامل نلملم أوراقنا استعداداً للرحيل، وفجأة رن جرس التليفون، وفوجيء سعد كامل بأن المتحدث هو مكتب جمال عبد الناصر.. وأبلغنا أن الرئيس عبد الناصر ألغى قرارات النقل وطلب أن نبقى فى مواقعنا وألا ننفذ النقل إلى المؤسسات الأخرى.

دهش المحررون دهشة لا حدود لها: فقد كانت مسألة غريبة جداً.. فقد كان معنى قرار عبد الناصر أنه يوجه ما يشبه الصفعة لهيكل وعلناً! لأن هيكل لم يخبره بما فعل معنا.

بعد ذلك ذهبنا لمقابلة شعراوى جمعة وكان معى سعد كامل، وقال لنا شعراوى جمعة: إن الرئيس عبد الناصر يعلم تماماً الوطنيين.. وأريد أن أقول لكم: فتحوا

عينكم كويس، لأن هذا الرجل - وكان يقصد هيكل - لن يتورع أن يضع لكم قطعة مخدرات فى أدراج مكاتبكم!

فى تلك اللحظة بالضبط أدركت أننا كنا طرفاً فى صراع علوى - صدام ترامويات - وأننا مجرد لعبة وفى نفس الوقت نحن لا نعلم ماذا يحدث فوق. بالنسبة لى كنت قد اتخذت قراراً بأن لا أبقى يوماً واحداً فى آخر ساعة، ومع ذلك سأنتظر حتى يأتى هيكل من رحلته إلى الشرق الأقصى، وأيضاً لأن عبد الناصر طلب أن نبقى فى مواقعنا.

فى نفس الفترة كان أحمد بهاء الدين قد ذهب إلى دار الهلال، وتحدثت معه بشأن ذهابى إلى دار الهلال. وقال لى بهاء: أهلاً بك فى أى وقت ياصلاح.

ثم أضاف أحمد بهاء اللدين جملة مثيرة، إذ قال لى: لو تحب تأخذ رأيى أبق فى آخر ساعة حتى يرفتك هيكل! إلى أن واحداً منكم يزهق التانى!! ماتزهقش أنت لأول ياصلاح.. وإذا زهقت تعال حالاً.

كما قلت.. كانت أخبار اليوم بأكملها فى حالة دهشة مما حدث، وفجأة كلمنا الأستاذ جلال الحمامصى وطلب مقابلتنا، وقال لنا أنا لا أوافق مطلقاً على الخطابات التى تسلمتموها وأرجوكم أعطونى هذه الخطابات وكأنكم لم تتسلموها.

قبل أن أعطى للحمامصى الخطاب قمت بتصويره حتى لا يقال إنه لم يحدث. كانت سطور الخطاب تقول فى وقاحة: «نخطركم بأنه تقرر نقلكم إلى المؤسسات العامة ونطلب منكم عدم الحضور إلى الدار ابتداء من اليوم».

وعاد هيكل من الشرق الأقصى وأرسل فى طلبى، وقابلنى بابتسامة قائلاً: أنت عارف إنى مش فى حل أقول لك المسألة دى حصلت إزاى. إنما اللى حصل mishandling سوء تصرف!

ويضحك صلاح حافظ معلقاً: وكأن قرار نقلى أو فصلى أسرار حربية لا يريد هيكل أن يبوح لى بها فى الواقت الراهن!

وفجأة سألنى هيكل يومها: أفتكر إنك ذهبت لسامى شرف، وقلت له وكنت صادقاً: سامى شرف.. أنا أسمع اسمه فقط ولا أعرفه. كان هيكل يريد أن يعرف

إلى من ذهبت بالضبط من المسئولين. وأذكر أننى قلت لهيكل: ياأستاذ هيكل.. الكواليس وما يجرى فيها مسألة غامضة جداً بالنسبة لى، وخطوط الملعب مجهولة بالنسبة لى، ولا أريدك أن تشرحها لى. لأننى ببساطة لا أفهم فيها، وسوف أنساها بمجرد خروجي من هنا.

● قلت: وماذا بعد ذلك.. هل تركت آخر ساعة بالفعل؟

■ قال: فى ذلك الوقت كان المرحوم يوسف السباعى قد أصبح رئيساً لتحرير آخر ساعة، وهو صديقى جداً، وهو رجل طيب، وكان دائماً يقول لى: أنا مش عارف ليه بتتبعوا نفسكم، اللى عامل شيوعى، واللى عامل إخوانى.. فيه إيه مزعلكم! يوسف السباعى كان رجل أديب وفنان - رحمه الله - وقال لى يومها وهذا نص كلامه: اسمع ياصلاح إنت عارف كويس.. أنا لا علاقة لى بالمسائل دى كلها، ويعدين أنا عبد الناصر جابنى ووضعنى فى المؤتمر الآسيوى الأفريقى.. وزى شخص عمره ما لعب كورة.. إنما نزلوه الملعب.. تيجى الكورة أمامه لازم يشوط وخلاص.

انتابتنى أنا والأستاذ صلاح نوبة ضحك قال لى بعدها: وقلت ليوسف السباعى.. أنا لست مستاء على الإطلاق، ولكنى لا أستطيع العمل فى ظل رجل - أقصد هيكل - لا يحبنى.. ومع ذلك.. سأبقى شهراً معك، حتى لا يفهم أننى خرجت احتجاجاً على تعيينك، وبعدها سأكتب لك خطاب شكر.

وأرسلنى يوسف السباعى فى رحلة شهر إلى الهند ممثلاً للمؤتمر الآسيوى الأفريقى.

وبعد عودتى كتبت له خطاب شكر لأنى كنت أحبه فعلاً وأحترمه وكان بيننا صداقة عظيمة ليس لها دعوة بالخناق والأفكار.

وعندما ذهبت لأحمد بهاء الدين كان قد تسلم روزاليوسف بجانب دار الهلال.. طلب منى بهاء أن أفكر فى تطوير المصور ووضع أفكار صحفية جديدة.. وفجأة تكلم أحمد حمروش مع بهاء وقال له: كل شىء ماشى تماما فى دار الهلال، وروزاليوسف محتاجة لصلاح وهو أساساً ابن روزاليوسف، وعرض علىّ بهاء المسألة وما قاله حمروش.. فقلت له: اذهب إلى روزاليوسف.

● **رحلتك في روزاليوسف غرامك القديم وعشقك الذى لا حدود له.. كيف كانت البداية؟**

■ قال: لى بعد حركة ١٥ مايو ١٩٧١ جاء الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى إلى رزواليوسف. كان رئيس التحرير وقتها هو الأستاذ أحمد حمروش وكنت أنا نائباً لرئيس التحرير. وقام الشرقاوى بإقصائنا عن مناصبنا بالطبع تفهمت ظروف المرحلة الجديدة، وقام الشرقاوى بتعيين زميلين هما يوسف صبرى وفهمى حسين لإدارة تحرير روزاليوسف، وظل نفس الحماس السياسي مستمراً، وأيضاً تصنيف البشر على أساس سياسى، وهذا مناخ لا تزدهر فيه صحافة. وكان من الطبيعى أن يتأثر توزيع المجلة ويأخذ فى الهبوط، وصار الناس فى روزاليوسف فرقاً متناحرة.

وذات يوم كلمنى الأستاذ الشرقاوى وقال لى: أنا هاجيب فتحى غانم يمسك روزاليوسف، وأذكر أنى قلت له: وأنا ممكن أساعده واشتغل معاه.

وبعد اسبوعين أو ثلاثة كنت فى مكتب الشرقاوى، وكان عنده أيضاً الاستاذ فتحى غانم، فقال لى الشرقاوى فجأة: إيه رأيك تشتغل مع فتحى على طو ل وتبقى رئيس تحرير معه؟

وقلت للشرقاوى بدهشة: وهل استأذنت فى هذا القرار؟

فقال بعصبية: أنت مالك يأخى.. أستأذن أو ما استأذنش!! أنا عينتك وخلاص.. يعنى هيرفتوك؟!

وفيما بعد قال لى الأستاذ الشرقاوى - وأن أصدقه - أنه قام بتعيينى رئيساً للتحرير دون أن يقول لأحد! وأن السادات قال له عندما أخبره بقراره: كويس إنك عملت كده ياعبد الرحمن!

وفى ذلك الوقت كان الرئيس السادات قد بدأ يدخل فى مرحلة التمايز عن عبد الناصر. أنشأ المنابر وبعدها الأحزاب.. ومن أجل أن يكسب أيضاً رصيد حرب أكتوبر ١٩٧٣ دخل فى مرحلة حرية الصحافة، خصوصاً أن اتجاهه السياسى لكسب أمريكا كان مما يخدمه أن يكون هناك نظام ديمقراطى ليبرالى.

المهم بالنسبة لنا فى روزاليوسف فقد كنا حكماء، وتجنبنا الصدام المباشر مع السادات أو الهجوم عليه شخصياً. ولكن قلنا وكتبنا ونشرنا ما يعجبنا ضد جميع المسئولين الآخرين الذين اتخذوا القرار.

مثلاً هاجمنا رئيس الحكومة ممدوح سالم. هاجمنا رئيس الاتحاد الاشتراكى وقتها د. رفعت المحجوب. هاجمنا رئيس جامعة القاهرة وقتها د. صوفى أبو طالب.

كل هؤلاء هاجمناهم: أما السادات فقد وضعناه على جنب تماماً ولم نقترب منه. وكان هذا فى رأيى صيغة جيدة فى أن نستغل المساحة الديمقراطية الموجودة، لأنه من غير المعقول أو المنطقى أنك أول ما تبتدى الديمقراطية تروح ماسك سيف وتضرب صاحب التجربة. لأنه ساعتها هيرجع فى كلامه عن الديمقراطية.

يضيف صلاح حافظ قائلاً: ونحن فى روزاليوسف التزمنا بمبدأ بسيط للغاية، وهو أنك تستطيع توسيع مساحة حرياتك بأن تمارسها دون أن تصطدم بالسادات نفسه، وبدون أن تستفزه، وإلى أن نتمكن من أخذ قاعدة ضخمة من الناس، عندها يمكن أن تنقده، وسيكون وقتها معك حماية الجماهير.

وهذا المنهج أعطى روزاليوسف وتجربتها فرصة الاستمرار، وأن تدافع عن عبد الناصر وعن سلامة ذمته المالية.

كل هذا أعطى روزاليوسف مصداقية وجعل الناس تصدق ما تنشره، وأنا أعتقد أنها أفادت صورة مصر فى الخارج. فقد كانت كل الأنظمة العربية تقرأ روزاليوسف وهى غير مصدقة أن هذا شىء ممكن نشره فى مصر.. السادات كان يعتز بذلك جداً.

● قلت: هل كان السادات سعيداً بتجربة روزاليوسف قبل أحداث يناير ١٩٧٧؟

■ قال: بدون شك. وكان يبلغ الأستاذ الشرقاوى بهذا.. وكان عندما يتصل بنا تليفونيا فى روزاليوسف لأمر من الأمور كان يقول: شدوا حيلكم ياأولاد.. وما تخافوش من حاجة!

● هل طاف بذهنك أن تكون أحداث ١٨ و١٩ يناير هى نهاية تجربة روزاليوسف أو على الأقل محاصرتها؟

■ قال: عندما هبت الجماهير تدافع عن خبزها فى ناير ١٩٧٧ كان السادات يومها فى أسوان.. وهناك انضرب بالطوب فى طريقه للمطار.. وهذه التجربة

أصابته بفزع فظيع جداً.. وطار بطائرته من أسوان إلى سيناء ليكون بجوار الجيش. ويبدو أنه أحسن بإحساس أنه هو وشاه إيران المطرود وأن النظام قد انهار.. فى نفس الوقت فسرت وزارة الداخلية هذه الأحداث على أنها من تدبير الشيوعيين واليسار.. ثم أعلن السادات سحب القرارات الاقتصادية، وتحدث مع الأستاذ الشرقاوى وقال له: ياعبد الرحمن بلاش إثارة فى الموضوع.

كان معنى كلام السادات ألا نقول الحقيقة، ونترك الكذبة تنطلى على الناس، ويظل الأبرياء فى السجون وكنا مؤمنين ببراءتهم ١٠٠٪ ومنهم زملاء لنا فى روزاليوسف مثل فيليب جلاب وزهدى ويوسف صبرى ورشدى أبو السحن.

المهم عملنا اجتماع في روزاليوسف حضره عبد الرحمن الشرقاوى وفتحى غانم وحسن فؤاد ولويس جريس وجمال كامل وأنا، وقررنا أن يكون موقف روزاليوسف هو إعلان الحقيقة كاملة. وكلفونى بكتابة التحقيق الصحفى حول هذا الموضوع.. وبعد أن قام الزملاء بتجميع مادة الموضوع. كان مانشيت الغلاف: أسبوع الحرائق. وكان عنوان التحقيق: الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه!! وكان من ضمن ما قلناه فى الموضوع:

«على أن من حسن الحظ أن الداخلية ليست هى التى تحكم مصر، فلو أن رجالها كانوا المنفردين بالسلطة وتقاريرهم هى مصدر المعلومات الوحيد لكانت القاهرة الآن، وتسع عواصم إقليمية أخرى أكواماً من الرماد»، إنما أنقذ الموقف تدخل «العقل السياسى، فى الوقت الحاسم وقرار الرئيس السادات بإعادة الأسعار إلى ما كانت عليه»..

وضحك صلاح حافظ وهو يقول: وأيضاً كانت الفكرة أن نجنب السادات ما حدث، ولكن هذه المرة لم تفلح الفكرة.. وأحس السادات أننا تخلينا عنه وأن الشرقاوى طعنه فى الظهر! لأن السادات شعر يومها أنها كانت لحظة طرده من السلطة، وكان المفروض أن الشرقاوى يقف بجواره مثلما وقف معه يوم ١٥ مايو ١٩٧١، وكتب يقول: سقطت عصابة الإرهاب!

كان السادات فى حالة انزعاج شديد لما حدث ولم يكن فى حالة طبيعية. رغم أننا مكناش شايفين أنه سقط. لكن السادات نفسه كان يرى وقتها أن الحكومة

سقطت وهو سقط.. فى نفس الوقت كانت تقارير جهات الأمن تؤكد له أن ما حدث سببه الديمقراطية والأحزاب والحرية التى سمح بها، وفى تلك اللحظة ارتد السادات عن الديمقراطية.

فى تلك الأيام قال السادات لعبد الرحمن الشرقاوى: الشيوعيين ضحكوا عليك.. وأيضاً صلاح حافظ ضحك عليك! ورد عليه الشرقاوى قائلاً: بالعكس صلاح حافظ كان بيهدينى!

وطلب السادات من الشرقاوى أن يقيلنى من رئاسة التحرير! فكان رد الشرقاوى عليه: صلاح حافظ يستنى وأنا أمشى.

الشرقاوى أخذ المسألة بأكملها على أنها مسألة شهامة، وقلت له: أنا ممكن أسيب رئاسة التحرير، وأنا لا يهمنى اللقب، لأن المهم أن تستمر تجربة روزاليوسف ودورها ليس كمنبر يسارى - مش عاوز أقول معتدل - ولكن منبر يسارى يدرك الممكن وغير الممكن، ويخدم رسالة التنوير وذكر الحقيقة. وهذا يكفى جداً لرسالة روزاليوسف كجريدة. لأننا لسنا حزباً!! لهذا يجب عليك البقاء، ولا يجب أن تطرد من روزاليوسف.. رفض الشرقاوى ذلك بإباء.

وبدأ عبد الرحمن الشرقاوى يقابل السادات ويبحث معه من سيأتى بدلاً منه فى روزاليوسف.. وفى كل مرة يأتى إلينا ومعه أسماء يطرحها علينا لنختار من بينها رئيس مجلس إدارة روزاليوسف، واخترنا المرحوم مرسى الشافعى، حيث كان لنا به صداقة قديمة تعود إلى أيام جريدة المصرى، ثم إنه من السهل التفاهم معه، لأنه مش جاى علشان يضرب روزاليوسف.

● **قلت: من كانت الأسماء الأخرى التى عرضها؟**

■ قال: كان هناك ثروت أباظة وإبراهيم الوردانى. ووقتها أيضاً كان هناك نزاع وخلاف، فقد كان لسيد مرعى مرشحوه، وكان لعثمان أحمد عثمان مرشحوه.

وعلى أية حال فالأستاذ لويس جريس رئيس تحرير صباح الخير (السابق) يعرف الأسماء بالضبط فقد كان وقتها حاضراً تلك الاجتماعات.

● **قلت: لا أدرى تفسيراً لهذه الظاهرة: أن الرئيس عبد الناصر نادراً ما أدلى بحديث صحفى إلى صحيفة مصرية، بينما**

السادات كان كثيراً ما يدلي بأحاديث صحفية لرؤساء التحرير المصريين ربما كانت مجلة «روزاليوسف» صاحبة أكبر نسبة من هذه الأحاديث.. ما تفسيرك أنت لموقف الرئيسين من الصحافة المصرية؟

■ قال: الواقع أنه فى عهد عبد الناصر هناك عملية لبناء صورة عبد الناصر فى الخارج، وأخرى لبناء صورته فى الداخل، كانت الصورة التى بنيت له فى الداخل هى صورة الرجل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أى أنه شبه إله.. وأعتقد أن رفض عبد الناصر للإدلاء بأحاديث للصحف المصرية كان يعكس ما سبق أن أشرت إليه من خصومة بين الثورة وبين الصحافة المصرية، أو على الأقل التقليل من شأن هذه الصحافة. لماذا أتكلم مع صحافة أملكها؟

ثم أتحدث مع من؟! إن أى صحفى هو موظف عندى فلماذا أوثره بحديث صحفى وأجلس معه الساعات الطويلة ليخرج بحديث صحفى يصبح بعده اسماً لامعاً.

وقد يكون من أسباب عزوف عبد لناصر عن الإدلاء بأحاديث للصحافة المصرية، ولا أريد أن يكون هذا اتهاماً، هو إصرار هيكل على أن يكون الأوحد الذى ينفرد بالحديث مع جمال عبد الناصر ويناقشه فلو أن عبد الناصر مثلاً تحدث مع «زيد» من الصحفيين لكان هذا إعلاناً بأن زيد لا يقل أهمية عند عبد الناصر من «السيد هيكل». ولا تنسى أن هيكل كان رصيده الأساسى أنه المحاور اليومى لعبد الناصر، وأن مقاله الأسبوعى «بصراحة» إنما هو أفكار عبد الناصر، أو هكذا اعتقد الناس! وأعتقد أن هيكل قد لعب دوراً فى أن يجعل عبد الناصر لا يتحدث إلى الصحافة المحلية وإن كنت غير واثق بالطبع من هذا الاتهام!

وكان عبد الناصر يتحدث بالساعات مع صحفى هندى أو يوغوسلافى أو باكستانى أو أمريكى أو سوفييتى ولا يجلس دقيقة واحدة مع صحفى مصرى ليدلى إليه بحديث.

مرة واحدة فقط خالف عبد الناصر هذه القاعدة وأدلى بحديث صحفى إلى المرحوم «كامل الشناوى» وكانت أعجوبة صحفية. وكتب كامل الشناوى الحديث

بلهجة شاعرية جميلة ورائعة وأدبية إلى أقصى الحدود. وكان هذا يعتبر نصراً صحفياً لم يسبق له مثيل في الصحافة المصرية.

وأنا لي ذكرى بصدد هذا الحديث بالذات، لأني كنت وقتها مسجوناً، وكتبت رسالة إلى كامل الشناوي أتحدث إليه عن الظروف السياسية الموجودة في مصر، و... وكنت قد أصبحت مؤيداً لعبد الناصر وثورته بعد إعلان قرارات يوليو الاشتراكية و.. فوجئت بكامل الشناوي بأن يخصص سؤالاً من اسئلته لهذه الرسالة.

● قلت: وكسر السادات القاعدة وتحدث لغالبية الصحف والمجلات المصرية وخص «روزاليوسف» بعدد لا بأس به.

■ قال: نعم في البداية كسر السادات هذه اقاعدة، وأعتقد أن لهذا أسبابه، إن السادات أراد أن يتمايز عن عبد الناصر ويختلف عنه في هذه الناحية. وثانياً ربما أراد السادات أن يكسب ود الصحافة المصرية بموقفه هذا، وفي اعتقادي أنه ربما يكون أهم الأسباب أن السادات نفسه كان صحفياً وكان يدرك - على عكس عبد الناصر - أن حرمان الصحف المصرية من الأحاديث مع الرئيس فيه إذلال للصحافة المصرية، وأعتقد أن هذا الشعور بالمذلة لا القارىء يدركه ولا الحاكم ولكن الصحفي فقط هو الذي يدركه!

وربما أراد السادات أن يقول إن هيكل لم يعد و الوحيد الذي يتحدث معي، وأنتم جميعاً مدعوون إلى مائدة الحديث.

● قلت: وكيف كان يتعامل مع الأحاديث التي أجرتها معه «روزاليوسف» هل كان يقرأها قبل النشر؟ هل كان يحذف منها بعض الإجابات؟

■ قال: لم ينس السادات وهو يدلي بهذه الأحادث كونه صحفياً، فقد كان يدرك جيداً تفاصيل المهنة! وكان يعرف أن ما يقوله سيكتب مرة ثانية وبلغة غير التي تكلم بها، وكان يعلم ما أهمية الحديث لهذه المجلة أو الصحيفة .

قال: نشرنا في روزاليوسف عدداً كبيراً من الأحاديث الصحفية للرئيس السادات، أجرى بعضها الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي، والبعض الآخر أجراه

الأستاذ عبد الستار الطويلة، وكما قلت نشرنا هذه الأحاديث كما سمعناها بالضبط، وكتبناها دون أى تدخل من جانبه! ولا أعرف إذا كان هذا موقفه مع الصحفيين الأجانب أم أنه موقف اختص به صحفيي مصر ربما لأنه يعرفهم شخصيا، أو يثق أنهم لن يقولوا على لسانه كلاماً لا يقصده، وربما من باب الثقة في هذه الأسماء!

وذات يوم عاد الزميل عبد الستار الطويلة من رحلة خارج مصر، وقبل عودته كان قد أجرى حواراً صحفياً مثيراً مع العقيد القذافي، وفي ذلك الوقت كانت العلاقات مع ليبيا في أسوأ درجات التوتر، وأخذنا نقرأ الحديث وكان بالفعل سبقاً صحفياً هاماً وخطيراً، وفيه يقول القذافي معلومات مثيرة، كانت كل واحدة تصلح لمانشيت صحفي يكون حديث الناس في مصر والخارج..

إن القذافي يقول مثلاً: السادات أخي الأكبر ومن حقه أن يمسك بالكرباج ويضربني!

المهم قررنا أن يكون غلاف المجلة هو هذا السبق الصحفي الخطير، وأعددنا الحديث للنشر. ثم قال لنا الأستاذ الشرقاوى رئيس مجلس الإدارة: أعتقد أنه من الذوق أن نرسل نسخة من هذا الحديث إلى السادات ليطلع عليها لأن ما في هذا الحديث يهمه شخصياً، وفعلاً أرسلنا نسخة من الحوار إلى رئاسة الجمهورية. وكانت المفاجأة أن يتصل بي الرئيس السادات نفسه قائلاً في التليفون:

- أنا قريت الحديث بتاع الولد ده؟!

وقلت للسادات: ما رأيك فيه ياريس؟

قال السادات: الحديث ده مليان أكاذيب وافتراءات!

قلت: أكاذيب إيه ياريس.اللي في حديث القذافي.

ضحك الرئيس السادات وقال: لا.. ياصلاح دى مسألة يطول شرحها وميذنعش الكلام في التليفون.. أنت تجيب عبد الستار الطويلة وتعالوا اسكندرية نتناقش فيه.

كان ذلك في شهر رمضان وسافرت أنا وعبد الستار إلى الاسكندرية، وصلنا ليلاً، توجهنا مباشرة إلى استراحة الرئيس في المعمورة بعد الإفطار.. قابلنا

السادات وكان يرتدى جلابية بيضاء صيفى ذات أكمام واسعة. عانق عبد الستار ثم عانقنى وسألنا عن الصحة والأولاد وعاملين إيه فى الصيام وكده.

ثم جلسنا، وجلس السادات وتربع على «كنبة» وطلب لنا شاياً وبدأ يتحدث: أنا قريت الحديث ياأولاد.. وعارف أنه لقمة صحفية كويسة، ومش عاوز أحرمكم منها، وأنتم أحرار تماماً تنشروه أو لا تنشروه، بس عاوزكم تعرفوا القذافى كذاب فى إيه وإيه من الكلام اللى قاله فى الحديث.

يكمل صلاح حافظ: وأخذ السادات يتحدث لمدة أربع ساعات كاملة معنا وبين وقت وآخر ينادى على من فى البيت قائلاً: عاوزين شوية شاى.. انتو بخلاء ولا إيه، وكان السادات نموذجاً بحق للرجل الريفى البسيط المضياف.

وأخذ السادات فى هذا الحوار الطويل يفند كل ما قاله القذافى ثم قال لنا: أدى الحقائق قلتها لكم علشان تكونوا فى الصورة إنما أنتم أحرار فى النشر. وأذكر أننى قلت للسادات يومها: ولماذا لا ترد عليه ياريس بهذه المعلومات التى قلتها لنا. وضحك السادات وقال لى: طبعاً ما هو انتو عاوزين ترفعوا التوزيع وتعملوا سبق صحفى! بالطبع فهم السادات أن اقتراحى هو اقتراح صحفى يحقق خبطة صحفية عالمية، القذافى يقول والسادات يفند ما يقول فى نفس العدد من المجلة.

وقال السادات لى: لا ياصلاح أنا مش هاأرد عليه.. دى معلومات لكم أنتم واتصرفوا كما تشاءون.

انتهى اللقاء مع السادات وعدنا للقاهرة وقررنا نشر الحديث كاملاً وكتبت تعليقاً فى صفحتين من خلال بابى «قف» عنوانه من الأرشيف السرى لمعلومات روزاليوسف: العقيد أمام الكاميرا.. ووراءها! واستفدت من المعلومات التى رواها السادات فى كتابته ولم أنسب معلومة واحدة مما سمعنا من السادات ونسبنا المعلومات إلى أرشيف معلومات روزاليوسف، أذكر أننى قلت فى هذا المقال: إن المشكلة مع العقيد القذافى كانت دائماً سرعة التحول فى مواقفه، والتناقض المثير ما بين دوره أمام الكاميرا ودوره وراءها.

وكان الهدف من نشر مقالى مع حديث عبد الستار مع القذافى أن الحديث يجب أن يكون متوازناً بين طرفى خصومة.

وهنا ندرك أن السادات كان أكثر قرباً للصحافة من عبد لناصر وأى حاكم سابق وأنه كان يدرك أهمية الحديث الصحفى الذى يدلى به للصحفى أو للصحيفة ولذلك لم يقل مثلاً لا تنشروا الحديث بل قال: أنا مش عاوز أحرمكم من هذه اللقمة الصحفية الشهية. وأعتقد أن أى حاكم لا يفعل هذا الموقف إلا إذا كان صحفياً.

● قلت: فى حياة الرئيس جمال عبد الناصر لم نقرأ حديثاً واحداً للسيدة الجليلة زوجته. وفى حياة الرئيس السادات قرأنا عشرات الأحاديث الصحفية للسيدة جيهان، وأطلقت عليها الصحافة لقب «سيدة مصر الأولى» هل قرأت السيدة جيهان الأحاديث التى أجريتموها معها فى روزاليوسف قبل النشر؟

■ قال بحسم: لا.. لا.. إطلاقاً!

● عدت لأسأل: ولا فى الأحاديث التى تناولت بعض الأمور الشخصية للرئيس السادات؟

■ قال: إطلاقاً.. أية أمور شخصية تقصد؟

● قلت وقد نفذ صبرى: أن تقول السيدة جيهان مثلاً فى حديثها إلى الزميلة مديحة عزت: أنا أصبحت مقصرة ومشغولة عن البيت.. ولكن الرئيس يشجعنى.. أنه زوج مريح جداً لزوجته، ليست له مطالب خاصة، ولا يطلب عناية مبالغة فيها. ألم تعرضوا على السيدة جيهان قبل النشر كلماتها عن السادات: عندما يكون مزاجه مستريحاً فإنه يدندن على خفيف.. ويغنى أيضاً فى الحمام.. وغالباً من ألحان عبد الوهاب؟!!

■ جلجلت ضحكة صلاح حافظ وقال: صدقنى لم يحدث ولم نستأذن فى نشر هذا الحديث بالذات.. والسيدة الزميلة مديحة عزت انفردت بمثل هذا النوع من الأحاديث التى تقتحم به بيوت وقلوب وضمائر الذين تتحدث معهم وعنهم. وأذكر

أنها بدأت هذا الاتجاه بحديث مع الأستاذ العقاد، ونجحت فى أن تجعله يتحدث على راحته وعلى حريته فشتم جميع الناس ونشر الحديث وكان عنوانه «العقاد يشتم كل الناس»، لقد انفردت السيدة مديحة عزت بهذا النوع من الأحاديث الجذابة، تقابل رجل السياسة فتحدثه فى الأمور المنزلية، تقابل فنانة فتكلمها فى السياسة! وكان هذا ما فعلته مع السيدة چيهان السادات، فقد قابلتها وأجرت معها الحديث كزوجة وربة بيت، وهو جانب يستعذبه القراء ويحبونه، فنحن عادة نعرف عن المشاهير ورجال السياسة آراءهم وأفكارهم ولكن لا نعرف عنهم كيف يعيشون داخل البيت، وماذا يأكلون.. إلخ.

● **قلت: ربما كانت الدهشة مبعثها كلمات السيدة چيهان عن غناء السادات فى الحمام مثلاً؟**

■ قال: كان نشر مثل هذه التفاصيل شىء لا يسمح به شخص آخر غير السادات نفسه الذى هو صحفى ويدرك معنى المادة الصحفية التى تجذب القراء، كما أنه كان بالقطع يدرك أن القارىء المصرى عندما يعلم أنه يغنى فى الحمام فهذا لا يقلل من قدره، بالعكس قد يسرنى هذا - كقارىء - لأننى أنا أيضاً أغنى فى الحمام.

والجماهير تحب الحاكم أن يكون قريباً منها، فإذا كنت مثلاً من عشاق أكل الفول المدمس بالزبدة يسرنى كمواطن وقارىء أن أعلم أن الحاكم مثلى يتناول فى إفطاره فولاً بالزبدة ولن تسىء هذه الحقيقة إلى الحاكم!

أتدرى ماذا كان أكثر ما نفذ إلى قلوب أوسع الجماهير المصرية مما كتب الأستاذ هيكل عن عبد الناصر؟ كان قوله أن طعام عبد الناصر المفضل كان الجبن الأبيض والخبز الجاف ويوم نشر هيكل هذه الحقيقة البسيطة عرف بها فى نفس اليوم حتى الذين لا يقرأون وتهلل الناس لها. وجدوا عبد الناصر مثلهم.

أذكر وأنا طفل صغير - وكنا نعيش فى الفيوم - أن الملك فاروق وكان وقتها أصغر من السن القانونى ولذلك شكل مجلس وصاية للحكم إلى أن يبلغ السن القانونى، ونشر يومها فى إحدى الصحف أن وجبة فاروق المفضلة هى الفول المدمس.. وسعدت سعادة شديدة بذلك، لأنه مثلى يأكل الفول المدمس، وأننى لا

أفترق شيئاً عن الملك. وكان من جيراننا بالصدفة رجل يعمل فى مطبخ السراى الملكية، وفى أجازته كان يأتى إلى الفيوم، وأذكر أننى سألته بطفولة ساذجة يوماً: هل صحيح ياعمى أن الملك يأكل فوق مدمس؟ ولدهشتى قال نعم ولكن بطريقة مختلفة، حيث كان يتم نزع قشر الفول ثم يدهك وبعدها يسيح قدر من الزبدة ويلقى فيه هذا الفول المدهوك، ويترك قليلاً على النار ثم يضاف إليه قدر من اللبن الحليب.

وأذكر أننى ظللت ستة أشهر كاملة وأنا لا أطلب من أمى سوى أن تصنع لنا الفول بهذه الطريقة «الفاروقية».

مغزى هذه القصة التى رويتها لك أن تصوير الحاكم فى حياته اليومية كإنسان يأكل ويشرب مثلنا فهذا يكسبه شعبية أكثر وليس كما يتصور الفاشيست وأمثالهم من ضرورة تصوير الحاكم كشىء فوق مستوى البشر. وفى عصر عبد الناصر كان معاونوه حريصين على تصوير عبد الناصر فى الصورة الإلهية. أما السادات كصحفى فقد كان أذكى وترك وشجع كل صحافة وقلم صوره فى الصورة البشرية، فكان حرصه على ارتداء الجلابية، وأن يمسك بالعصا مثل أى فلاح مصرى لأنه يدرك أن هذا يلمس قلوب الناس أكثر.

● **قلت : ألا يفيد الزعامة أن تنسج حولها هالة من التمجيد ؟**

■ قال: الدليل على أن الخطة الدعائية التى تحاول تصوير الزعيم على أنه فوق مستوى البشر هى خطة فاشلة ولا تلمس قلوب الناس، إننى عندما كنت رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة، كانت قد انتهت مدة عبد الناصر كرئيس للجمهورية، وسوف يتقدم مرة أخرى، جميع المجلات والجرائد أصدرت أعداداً خاصة عن منجزات عبد لناصر السياسية والاقتصادية.. إلخ. وخطر فى بالى فكرة مغايرة تماماً، أن نصدر عدداً من آخر ساعة يصور عبد الناصر فى بيته ومع أولاده وفى حياته اليومية.. وأرسلت بعثة من الصحفيين إلى بلدته «بنى مر» فى أسيوط لترى أهله هناك على الطبيعة وكيف يعيشون، وعاد فاروق إبراهيم المصور بكمية هائلة من الصور عن أهل عبد الناصر البعض يعمل فى الغيط ومن يسوق الجاموسة وهكذا.. وأرسلت محرراً من المجلة ليقرأ بريد عبد الناصر اليومى ويكتب عنه

موضوعاً صحفياً. وكان بالفعل بريد عبد الناصر الذى يأتى إليه بريداً عجيباً ومضحكاً: مثلاً امرأة زعلانة من جوزها فترسل تشكوه لعبد الناصر. كما أعددنا تحقيقاً صحفياً رائعاً عن حياة عبد الناصر اليومية: متى يستيقظ من نومه؟ ماذا يفطر؟ كيف يعمل؟ ماذا يقرأ؟ أين يستقبل زواره وضيوفه؟ وطلبنا من المصور حسين بكر أن يمدنا بكل ما يملك من صور صحفية، واخترنا منها مئات الصور، وعثرت على صورة نادرة ملونة لعبد الناصر وهو يرتدى قميصاً صيفياً ويقف على ساحل البحر المتوسط فى المنطقة التى كان يقضى بها الصيف بعيداً عن القاهرة وأصدرنا عدد آخر ساعة وغلافه كانت هذه الصورة وعنوان واحد فقط: عبد الناصر عن قرب! وكانت كلمة «عن قرب» هى مفتاح هذا العدد، لأن الناس كانت تعرف عبد الناصر «عن بعد» ولا يعرفونه «عن قرب».. ونفد العدد فى الحال، فطبعنا ضعف ما كنا قد طبعناه ونفد أيضاً.

هذه التجربة «عبد الناصر عن قرب» أكدت لى كصحفى ما كنت أعرفه وما كان يعرفه السادات أيضاً أن الحاكم القريب من الناس. الذين يمكنهم أن يتوحدوا معه وأن يشعروا أنه مثلهم هى الصورة الأنسب للحاكم من صورة الكوكب المطل من عليائه.

● عدت لأسأل: وهل كان عبد الناصر على معرفة بهذا العدد..
وهل أطلع على مواده وصوره وهل كانت له ملاحظات مثلاً؟!

■ قال: بعد أن تم إعداد العدد تقريباً.. أخذت كل الصور التى حصلت عليها وذهبت لمقابلة السكرتير الخاص لعبد الناصر وكان «محمد أحمد» وقتها وعرضت عليه الصور التى حصلنا عليها من حسين بكر وفاروق إبراهيم، ثم أخذها ودخل إلى عبد الناصر وغاب لمدة ثم عاد وقال لى: الريس موافق على كل الصور وبلاش صو موضوع بنى مر خالص!

وفيما بعد سمعت أن أهل عبد الناصر فى «بنى مر» كانوا قد تجبروا وأصبحوا إلى حد ما غير مرضى عنهم من أهل القرية والناس متضايقة منهم!

● قلت: ولم تقابل عبد الناصر أيضاً فى تلك المرة؟!

■ قال: إطلاقاً.. طول حياتى لم أقابله مقابلة شخصية. إنما رأيته فى موتمر صحفى! ولم يحدث أن خاطبته على الإطلاق! وحتى هذا المؤتمر كان من أغرب

المؤتمرات الصحفية. كان المؤتمر فى أعقاب الأزمة مع إسرائيل وبعدها بفترة قليلة نشبت حرب يونيو ١٩٦٧، حضر هذا المؤتمر الصحفى مراسلون وصحفيون من كل أنحاء العالم ودعى رؤساء التحرير المصريون لحضور المؤتمر وأخذ كل صحفى يكتب أسئلته وتسلم إلى الأستاذ محمد فائق الذى كان يجلس بجوار الرئيس عبد الناصر، وكتب الصحفيون المصريون مالديهم من أسئلة وسلموها أيضاً لمحمد فائق. وبدأ المؤتمر الصحفى بأن يقدم فائق الأسئلة إلى عبد الناصر ليجيب عنها.. وسلم محمد فائق كل أسئلة الصحفيين والمراسلين الأجانب إلى عبد الناصر وأجاب بدوره عنها جميعاً.. ولم يسلم له أسئلة الصحفيين المصريين.

ولا أدرى لماذا.. ولكن ما أدريه أننا فى هذا المؤتمر الصحفى لم نكن صحفيين وإنما كنا «قراء» أتينا نستمع لأسئلة الصحافة الأجنبية وإجابة عبد الناصر عليها، ونتفرج على ذلك كله.

لهذا أقول إن الصحافة المصرية على إطلاقها كانت تشعر المذلة وأنها صحافة من الدرجة الثانية إذا ما قورنت بالصحافة الأجنبية ولو كانت صحافة بلاد أقل قدراً من الصحافة المصرية!!

● قلت : متاعبك مع الرقابة؟!

■ قال: أنا لا أتذكر ظروف الاتصالات بالضبط، لسبب بسيط أننى - بينى وبين نفسى - كنت قد اتخذت قراراً وهو ما يبلغه لنا مكتب الصحافة فى التليفون أو حتى الحكومة هو مجرد توصيات وليس قرارات ملزمة.. كما أننا مجلة ليست خاضعة للرقابة لأن الدولة ألغت الرقابة على الصحف.. بعد ذلك إذا تصل مسئول فى الدولة وقال بلاش الشىء الفلاني ينشر!! أناقش بعقلى ما تقوله فإذا اقتنعت بوجهة نظر الدولة لا أنشر. أما إذا لم أقتنع فهنا أنشر على الفور.

وأنا أعتقد أنى فى حالة وجود الرقابة الرسمية فإن الكل خاضع لها وهذا نظام مريح جداً. لأن عندك فى المجلة رقيب لديه تعليمات مكتوبة، وتصبح المسألة بعد ذلك هى أنت وشطارتك وكيف تتحايل عليه أو تضحك عليه وتنشر ما تريد، لكن بعد إلغاء الرقابة، فأنا رأيى أنه ما بقى من الرقابة فى الصحافة هو ما يتطوع به رئيس التحرير، لأنه المتطوع بهذا.

● قلت : ورغم ذلك فـقـد صـودرت روزاليـوسف ذات مـرة؟! وخـرجت صـحـيـفـة الأهرام تحـمل فى صـدر صـفـحـتـهـا الأولى سطوراً تقول إن روزاليوسف تحتجب عن الصدور لعطل فنى!!

■ قال: هوكان عطل فني وليس عطل فني، والذى حدث أن السفير المصرى فى لندن وقتها وكان الفريق «سعد الدين الشاذلى» أجرى معه حوار فى التليفزيون.. وفى نفس الوقت أجرى حديث مع السفير الإسرائيلى وقتها. المهم أننا ترجمنا الحديث كاملاً وقررنا نشره في روزاليوسف.. فى نفس الوقت على ما أذكر كانت هناك مفاوضات فك الإشتباك بين مصر وإسرائيل.. المهم أنه طلب منه إرجاء نشر الحديث.. واقتنعنا من منطلق أن ذلك قد يضر بموقف المفاوض المصرى.. بالطبع كان هناك استحالة فنية وطباعية لأن نستبدل الحديث المنشور بمادة أخرى، وأبلغنا ذلك المسئولين ونشرنا الخبر فى الأهرام أن روزاليوسف لن تصدر هذا الأسبوع لأسباب فنية.

بعد ذلك بفترة قصيرة سافر إسماعيل فهمى وزير الخارجية إلى موسكو لإجراء مفاوضات مع السوفييت، وكنت معهم فى تلك الرحلة، ونحن فى الطائرة جاء ذكر حكاية عدد روزاليوسف فقال لى بمنتهى الراحة النفسية وبهدوء شديد: الحقيقة قالوا لى على موضوع روزاليوسف، فأنا قلت بلاش نشر الموضوع، فلما قالوا ده صعب فنياً قلت لهم بسيطة العددماينزلش السوق يتصادر.

ويكمل صلاح حافظ: وقلت له يومها: ياريت كانت روزاليوسف اتصادرت أنا لو أعرف كده كنت نزلت المجلة السوق وتركته يصادر بمعرفة الحكومة.. وساعتها تقدر تعرف قيمة الصحافة وبالتحديد قيمة روزاليوسف.

مصطفى أمين

«٧٢ ساعة في زنزانة الثورة»!



بعد ٣٦ ساعة بالضبط من قيام ثورة ٢٣ يوليو وقع أول صدام بين الثورة والصحافة !!

كان الصدام حاداً وعنيفاً وله دوى داخل وخارج مصر !! إذ فجأة صدر الأمر باعتقال الأخوين مصطفى وعلى أمين فجر يوم الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٥٢ . كانت التهمة الموجهة للتوءم هى الاتصال يوم ٢٣ يوليو تليفونياً بلندن وانهما تحدثا مع وكيل وزارة الخارجية البريطانية وطلبا إليه أن يتدخل الجيش البريطانى ضد الثورة !

■■

قبلها بيوم واحد صدرت جريدة الأخبار والمانشيت الرئيسى لها يقول : «اللواء محمد نجيب يقوم بحركة تطهير»!

ثم عنوان آخر يقول: «على ماهر يؤلف الوزارة اليوم»!

وتتوالى باقى المانشيتات على النحو التالى :

«على ماهر يقابل الملك فى الاسكندرية».

«اعتقال عدد من كبار الضباط» !

وأسفل هذين العنوانين نشرت الأخبار صورتين كبيرتين (بعرض ستة أعمدة) الأولى لمحمد نجيب وحده جالساً على مكتبه، والثانية لنجيب مع على ماهر.. أما فى أسفل الصفحة فقد نشرت صورة أخرى يبدو فيها نجيب وعدد كبير من أعضاء اللجنة التأسيسية، ولم تذكر أسماءهم .. بعكس جريدة المصرى التى نشرت الأسماء كاملة.

وقبل ذلك بأربع وعشرين ساعة (صباح ٢٣ يوليو) اجتمع فى أخبار اليوم محمد التابعى ومصطفى وعلى أمين وكامل الشناوى وقرروا ان تقف أخبار اليوم بجميع صحفها (الأخبار وأخبار اليوم.. والجيل) بجوار الحركة وأن يطالبوها بأن تسارع بعزل الملك ، واتفقوا على أن يقوم التابعى ومصطفى أمين بإبلاغ ذلك للقيادة (!!)

ولكن «هيكل» يقول : كنا قد اتفقنا - الاستاذان مصطفى وعلى أمين وأنا - على اجتماع منظم فى أخبار اليوم نبحث فيه الأوضاع الجديدة ، ونقرر فيه خطوط سياسة صحف ومجلات الدار (بين الصحافة والسياسة ص ٥٨).

وقبل عام تقريبا كتبت أخبار اليوم مقالاً عنوانه «أعياد الملك .. أعياد الشعب»، تقول فيه: إن احتفال الأمة بأعياد الملك دليل الولاء للتاج الذى تتمثل فيه عزة الوطن ومقدساته : الحرية والطمأنينة والعدالة والمساواة التى لا يتخوف منها ظالم ولا يجور عليها باغ، والأمة إذ يشملها الفرح وتجرى فيها المواكب هاتفة داعية فى مناسبة عيد الجلوس والقران.. الملكيين، إنما تتمثل فى خواطرها هذه المعانى.

وأخيراً تقول أخبار اليوم: وهذا هو التجاوب بين الشعب والملك وهو الذى يجعل للتاج مهابته وروعته ويجعل للشعب كرامته وعزته !!(٥/٥/١٩٥١).

ولم يكن ما كتبته أخبار اليوم وقتئذ يعكس مشاعر وأحاسيس أعضاء الضباط الأحرار ويشير كمال رفعت (أحد الضباط الأحرار) إلى صدور منشور فى مايو ١٩٥١، أصدره الضباط الأحرار بمناسبة زفاف الملك تحت عنوان «المناسبة السعيدة» ، وجاء فى هذا المنشور : لقد تفتق ذهن القادة عن إقامة عرض الجيش احتفالاً بالمناسبة السعيدة متقربين بذلك إلى أولى الأمر والله أعلم بما انطوت عليه نفوسهم من رياء ونفاق.. إن كل ضابط غيور لابد أن يكون ساخطاً على هذه الأوضاع الغريبة رحمة منه بجيشه على موارد بلاده.. (مذكرات كمال رفعت ص ٦٧) وتروى لنا الأستاذة «مى شاهين» الكاتبة الصحفية فى الأخبار لحظات اعتقال مصطفى وعلى أمين فى كتابها « شارع الصحافة» فتقول :

– فى الساعة الرابعة من صباح يوم الجمعة ٢٥ يوليو دخل ثمانية من الضباط غرفة نوم على أمين بمنزله بالروضة وأحاطوا بفراشه، وقد صوبوا مدافعهم الرشاشة نحوه، وأبلغوه أن الثورة أمرت بالقبض عليه، ثم صحبوه إلى منزل مصطفى أمين بالزمالك وأيقظوه من النوم، وقبضوا عليه وتبادر لعلى ومصطفى أمين فى هذه اللحظة أن الجيش قرر خلع الملك، وأن الغرض من القبض عليهما هو الاتنشر «أخبار اليوم» نبأ الخلع فى العدد الصادر فى صباح اليوم التالى «السبت» كعادتها فى سبق الأخبار، ولكن لم يدر بخلدهما أن الثورة قبضت عليهما لأنهما من أعداء الثورة.

ووضع الحراس كلا منهما فى زنزانة مستقلة بالكلية الحربية، وكانت الثورة قد حولت الكلية الحربية إلى معتقل.. «ص٥٤٩».

وكانت الأمور تجرى بسرعة.. وكان إيقاع الاحداث سريعا بشكل لافت للنظر، وفى نفس الوقت فقد أذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة فى الساعة الثالثة من مساء أمس (٧/٢٥) البيان التالى:

نما إلى القيادة العامة للقوات المسلحة من مصادر مختلفة أن الأستاذين مصطفى وعلى أمين على اتصال بأفراد يهدفون إلى هدم حركتنا الوطنية المباركة، ولم يسعنا فى هذه الظروف الدقيقة التى تجتازها البلاد سوى اعتقالهما، وقد تم ذلك اليوم، وغنى عن البيان أن أمر اعتقالهما كفردين تحوم حولهما الشكوك وليس له أدنى علاقة بأسرة الصحافة، وسوف يطلق سراحهما فوراً بمجرد عودة الأمور إلى مجاريها الطبيعية انتهت كلمات البيان الذى وقع باسم اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد القوات المسلحة ونشرته جريدة المصرى فى صفحتها الخامسة يوم ٥٢/٧/٢٦.

والغريب فى الأمر أن جريدة المصرى كانت فى نفس العدد وعلى الصفحة الرابعة قد نشرت خبراً «لااتصال مع لندن»، وتقول سطور الخبر:

نشرنا أمس خبراً عن اتصال أحد أصحاب المجلات بلندن، ويسر «المصرى» أن تسجل أن هذا الاتصال لم يتم بالمرة ويأسف لنشر هذا الخبر الذى دس عليه..

أما الخبر الذى نشرته «المصرى» يوم ٢٥يوليو ١٩٥٢، وعلى صفحتها الرابعة فقد كان عنوانه «اتصال بلندن» ويقول الخبر: «اتصل أحد أصحاب دور الصحف المصرية التى تصدر مجلات أسبوعية بلندن. أمس الأول وتحدث مع بعض المسئولين البريطانيين وزودهم بمجريات الأمور فى مصر على إثر الحوادث الأخيرة».

وفى وقت لاحق فإن الأستاذ مصطفى أمين سيتهم الأستاذ أحمد أبو الفتح (رئيس تحرير المصرى وقتها والكاتب بجريدة الوفد الآن) فإنه صاحب البلاغ الذى أدى لاعتقاله مع توءمه الأستاذ على أمين.

وبعد أعتقال مصطفى أمين عام ١٩٦٥ بتهمة التجسس وفى السطور الأخيرة من اعتراافه الخطى الموجه لجمال عبد الناصر كتب مصطفى أمين هذه السطور الموجهة لجمال عبد الناصر:

وأنا الذى أخبرت سيادتكم بنبأ المؤامرة التى يقوم بها الملك «سعود» مع «أحمدأبو الفتح» و«سعيد رمضان».

■■

وصدرت مجلة «أخر ساعة» فى ١٣ أغسطس ١٩٥٢، ونقرأ فيها مقالاً هاماً كتبه الأستاذ الكبير «محمد التابعى» كان عنوانه: «مع اللواء محمد نجيب فى صباح الجمعة ٢٥ يوليو ١٩٥٢» احتل المقال صفحتين (الرابعة والخامسة) وفيه يروى لنا التابعى ماذا جرى بالضبط بشأن اعتقال رجال الثورة لمصطفى وعلى أمين قبل مقابلته للواء نجيب بساعات.

قال محمد التابعى فى مقاله: غادرت دار « أخبار اليوم» إلى موعد لى مع بعض الأصدقاء فى نادى رمسيس وجلست بين الأصدقاء أتحدث بما كنت أتحدث فيه فى دار الأخبار وأقول بصوت يسمعه الجالسون حول الموائد القريبة. إن أنصاف الحلول لاتجدى بل قد تؤذى.. ثم قلت : وددت لو أستطيع مقابلة اللواء نجيب بك كى أقول له إن أنصاف الحلول لاتجدى.وأن الشعب ينتظر منه ومن إخوانه أن يخلصوه مما هو فيه.. ولن يكون ذلك إلا بخلع الملك فاروق.. وقال الأستاذ مدحت أباظة وكان من بين الحاضرين: هل تريد حقيقة ان تقابل اللواء نجيب بك؟!

قلت: بكل تأكيد قال: أعتقد أننى أستطيع تدبير هذه المقابلة (والملفت للنظر هنا أن التابعى الاسم الكبير وقتها فى عالم الصحافة والسياسة يعترف أنه يود لو قابل اللواء نجيب. ولم يقل لنا التابعى من هو «مدحت أباظة» هذا الذى يستطيع تدبير مقابلة له مع نجيب وماذا كان يعمل وقتها وما علاقته بنجيب، ولماذا لم يتم تدبير المقابلة بواسطة مصطفى أو على أمين أو هيكل وكلهم اعترفوا فيما بعد بالطبع بمتانة علاقتهم بهؤلاء الثوار الجدد وعلى رأسهم نجيب!!)

على أى حال نعود لنكمل معاً قراءة باقى مقال التابعى الذى يقول بالنص: «وكان هذا كما قلت فى أول يوم من بدء الحركة المباركة.. الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وبعد ظهر اليوم التالى الخميس كلمنى الأستاذ«مدحت أباظة»(!!) بالتليفون ليبلغنى أن اللواء نجيب بك مستعد لمقابلتى فى صباح يوم الجمعة فى

مكتبه بالقيادة العامة وأن رقم تليفونه هو (٦٠٠٠٥) وأنه يطلب منى أن أتفق معه أولاً بالتليفون على الساعة التى يستقبلنى فيها .

وفى ساعة مبكرة من صباح يوم الجمعة أبلغنى صديقى كامل الشناوى من مستشفى الدكتور الكاتب بالتليفون أن مصطفى وعلى أمين.. قد اعتقلا بأمر من القيادة العامة، وعقدنا اجتماعاً فى حجرة كامل الشناوى فى المستشفى وقلت للزملاء - المحررين ورؤساء التحرير- إننى على موعد لمقابلة اللواء نجيب بك هذا الصباح، وسوف أسأله عن سبب اعتقال الصديقين الزميلين..(التابعى هو الذى سيسأل نجيب ولا أحد آخر سواه سيسأل)، ومن مستشفى الدكتور الكاتب تحدثت بالتليفون مع اللواء نجيب بك وسألته عن الساعة التى أحضر فيها فقال: أنا خارج الأن للمرور.. وسوف أعود بعد نصف ساعة. فهل توافقك الساعة التاسعة والنصف؟! قلت نعم: وسألنى: عندك عربة؟ قلت: نعم وشكراً.

ومضيت فى سيارة الصديق الزميل«حسنين هيكل» الذى يفخر- وبحق- أنه صديق الجيش من قديم.. مضينا إلى مقر القيادة العامة».

والتساؤل الذى يقفز الآن إلى ذهنى.. هل كان ذهاب هيكل مع التابعى لمقابلة نجيب سببه امتلاك هيكل لسيارة!! ويبدو أن هذا هو السبب الوحيد فعلاً، فلم يذكر لنا التابعى سبباً آخر أو حتى مساحة لاستنتاج أى سبب!! ونكمل معاً باقى رواية التابعى بكل الدقة والتركيز فيقول:

وهنا أقف قليلاً كى ألفت نظر القارئ إلى التفاصيل التى حرصت على سردها ومنها يدرك القارئ أن مقابلتى للواء أركان حرب محمد نجيب فى يوم الجمعة ٢٥يوليو لم تكن بشأن اعتقال مصطفى أمين وعلى أمين كما ذكرت بعض الصحف وأن المقابلة كان متفقاً عليها من قبل اعتقال الزميلين بثمان وأربعين ساعة!!

واستقبلنا اللواء محمد نجيب فى غرفة مكتبه.. وكانت هذه أول مرة أرى فيها الرجل الذى حقق المعجزة ورفع رأس مصر.. ولقد أحسست بعد دقائق أن محمد نجيب أذكى بكثير مما يبدو، وأنه مع صراحته يستطيع أن يكون واسع الحيلة كبير الدهاء! وهذه صفات تولد - ولاتكتسب - تولد مع القائد الممتاز أو الزعيم المختار بإرادة الله).

ونحن نعلم الآن بعد خلاف محمد نجيب مع جمال عبد الناصر الشهير بأزمة مارس ١٩٥٤، وقفت كل أخبار اليوم بمدفعيتها الثقيلة مع عبد الناصر في مواجهة نجيب، ولحست أخبار اليوم كل ما كانت قد أسبغته على نجيب من صفات..

والآن نصل إلى موضوع اعتقال مصطفى وعلى أمين وكيفية مناقشته مع نجيب طبقاً لما رواه محمد التابعى فى «آخر ساعة» وكان على النحو التالى:

بدأت حديثى عن اعتقال الزميلين مصطفى وعلى أمين.. ولم يطل هذا الحديث أكثر من دقائق (لاحظ ما يقوله التابعى بدقة من فضلك) بعد أن أطمأنيت إلى إن قادة الحركة حريصون على تحقيق العدالة وأنهم لن يظلموا أحداً ولن يأخذوا بدسيسة أى حقود خسيس..

ويمضى باقى المقال (صفحة ونصف تقريباً) التابعى يسأل ويستفسر واللواء نجيب يجاوب ويشرح ويوضح.. ولم يشر التابعى أو يكتب لنا ماذا قال هيكل فى تلك الجلسة!! وكان للمقال بقية ستنشر فى عدد «آخر ساعة» التالى.

وكان عنوان مقال التابعى فى «آخر ساعة» (٢٠ أغسطس ١٩٥٢) هو من أسرار ليلة الانقلاب.

يقول محمد التابعى: وغادرت القيادة العامة (وكان هيكل معه) وأنا أشعر بخيبة أمل شديد وأشد منها خوفى على هؤلاء الضباط البواسل أن يخدعهم فاروق (الملك) وينحنى أمامهم اليوم كى يبطش وينكل بهم بعد حين! وكان هذا كما قلنا فى صباح يوم الجمعة (٢٥يوليو) وفى يوم السبت.. ومنذ الصباح الباكر توالت الحوادث سريعة مفاجئة متلاحقة- واعجب معى لسرعة انتشار الخبر- كانت البلاد قد عرفت أن الجيش يحاصر منذ فجر اليوم قصرى رأس التين والمنتزة بالأسكندرية وعابدين والقبة بالقاهرة. وعند الظهر عرف الشعب أن نبأ هاماً سوف يذاع بعد ساعات !! ولم يشك أحد لحظة واحدة فى أن النبأ هو خلع الطاغية فاروق عدو الشعب رقم واحد.

ويضيف التابعى وأرجو أن ننتبه جيداً للسطور القادمة:

وفى مساء اليوم التالى الأحد (٢٧ يوليو) أفرجت القيادة عن مصطفى وعلى أمين بعد أن تأكدت من كذب الدسيسة الخسيسة.. وأصدرت بلاغاً رسمياً مشرفاً

للصديقين. ورأيت من واجبى أن أذهب فى صباح يوم الاثنين (٢٨ يوليو) لأقدم شكر الأخبار وشكرى إلى القائد العام لأنه وفى بوعده لى وهو سرعة التحقيق فى التهمة والبت فى أمر الزميلين.. وذهبنا- هيكل وأنا-(بالطبع ذهب التابعى بسيارة هيكل) إلى دار القيادة العامة... وأقمنا ننتظر نحو ساعة وسيل كبار الزائرين المهنئين لاينقطع. وأخيراً رأيت (الكلام للتابعى) أن أكتفى بترك رسالة شفوية أشكر فيها القائد العام (اللواء نجيب) ولقد أفضيت بها إلى ضابط صديق من أعضاء هيئة مكتب القائد العام، ولكننا لم نمض ساعة الانتظار ساكتين فقد تحدثنا- زميلى هيكل وأنا- مع أكثر من واحد من حضرات الضباط الذين كانوا ممسكين بخيوط الحركة.

وأخذ التابعى يصف ويروى ماسمعه من الضباط البواسل عن اسرار وتفاصيل ما جرى إلى أن يضيف قرب نهاية المقال مايلى:

ويقول زميلى هيكل.. إن قلم المخابرات البريطانية فى مصر اعترف بأن له سبعين سنة فى مصر وأن هذه الحركة هى أول حادث فوجئ به تماماً قلم المخابرات المذكور (أخر ساعة ٣٠/٨/٥٢ص ٤، ٥).

ولكن قصة اعتقال مصطفى وعلى أمين وجهاً أخر يرويه الأستاذ محمد حسنين هيكل.. ورواية هيكل سجلها ضمن كتابه «بين الصحافة والسياسة» الذى صدر عام ١٩٨٤، أى بعد مرور ٣٢ عاماً بالضبط على قصة الاعتقال وغياب الكثير من الأسماء. لقد روى هيكل قصة الاعتقال والإفراج على النحو التالى:

«وفجأة إذا بالسلطة الثورية الجديدة فى مصر تعتقل الأخوين مصطفى وعلى أمين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك! وذهبت إلى لقاء جمال عبد الناصر فى مبنى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى بكوبرى القبة، وكان قد أصبح مقراً لمجلس القيادة كما عرف وقتها. والحقيقة أننى ذهبت محتجاً (هيكل هو الذى احتج) قلت له: إن القبض على صاحبى أخبار اليوم فى هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل لا أعرفه ثم إن الحرج يمتد منهما إلى الدار نفسها وكل من فيها. وكان رد جمال عبد الناصر: إنه ليس لى الحق أن أنظر إلى المسائل من زاوية شخصية على هذا النحو ثم أضاف: إن الناس كلهم يعلمون بالشكوك والظنون المحيطة بمواقفهما وارتباطاتهما، وعلى أية حال فإن اعتقالهما

إجراء وقائى بعد معلومات تفيد أن الأستاذ مصطفى أمين أجرى اتصالات يوم الثورة مع جهة أجنبية خارج مصر، وبما أن الظرف لا يحتمل أية مناورات فإنه أصدر أمر الاعتقال».

إن هيكل يتعمد هنا إعفاء اسم محمد التابعى تماماً ،بل إنه ينفى أن الحوار تم مع اللواء نجيب بل كان مع جمال عبد الناصر.

يضيف هيكل: وعدت فى المساء ومعى الأستاذ التابعى نرجو ونلح! ومعنى السطر السبق أنه فى المساء قد اصطحب هيكل الأستاذ التابعى، وهذا مالم يخبرنا به التابعى نفسه فى مقالته المنشورة يوم ١٣ أغسطس ١٩٥٢.

ويعود هيكل ليقول: ثم عدت صباح اليوم التالى أشرح الضغوط التى أحسست بها فى دار أخبار اليوم بالأمس، ثم دخلت أمام جمال عبد الناصر وأخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى شرح مفصل لعلاقة الصحافة فى مصر بالسياسة، ومن ثم علاقتها بالسلطة واحتمالات التجاوز فى ظل الظروف الموضوعية السائدة (كان هيكل وقتها عمره ٢٩ سنة وكان عمر عبد الناصر ٣٤ سنة).

وأخيراً تقرر الإفراج عن الأستاذين مصطفى وعلى أمين وأخذتهما معى ومعنا الأستاذ محمد التابعى والأستاذ كامل الشناوى وذهبنا إلى مجلس قيادة الثورة، وهناك قدمتهما لجمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس الثورة، وكان لقاء يستحق المتابعة الدقيقة، فقد استجمع الأستاذ مصطفى أمين كل مواهبه ليدافع عن نفسه أمام السلطة الجديدة ويشرح مواقفه، ثم رحنا جميعاً نلح فى كلمة تصدر عن المجلس تبرئ أصحاب أخبار اليوم أو ترد إليهم شرفهم «على حد التعبير الذى استعمله الأستاذ مصطفى أمين ص ٥٩».

أما الكاتب الفلسطينى «ناصر النشاشيبى» وكان واحداً من ألمع محررى أخر ساعة منذ أواخر الأربعينيات وحتى بعد تولى هيكل رئاسة تحريرها فى يونيو ١٩٥٢، كما عينه عبد الناصر كأحد رؤساء تحرير جريدة الجمهورية فى أوائل الستينيات فيروى القصة على النحو التالى:

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو صدر الأمر بإلقاء القبض على مصطفى وعلى أمين، ووضعهما فى السجن، ويومذاك قال أنور السادات لأعضاء مجلس الثورة

فى معرض مناقشة هذا التوءم: مفيش فايدة إن الحل الوحيد فى نظرى هو إعدام هذين المتهمين علشان يكونان عبرة.

ولكن جمال عبد الناصر- والرواية سمعتها شخصياً عام ١٩٥٣ من محمد حسنين هيكل- رفض أن يوافق على كلام أنور السادات؛ بل إنه أمر بالإفراج عنهما بعد أقل من ٧٢ساعة.. «ص ٢٢١ كتاب قصتى مع الصحافة».

ولكن كيف كانت الصورة بالضبط داخل مجلس قيادة الثورة؟! وماذا كان رد فعل الضباط الأحرار لاعتقال مصطفى وعلى أمين ثم الإفراج عنهما.

يقول الأستاذ «محمود الجيار» وهو من الضباط الأحرار والذى اقترب من عبد الناصر طويلاً وسجل ذكرياته على صفحات روزاليوسف ٧٦/٢/١٦).

يقول الجيار: «إن أول معارضة واجهها جمال عبد الناصر من زملائه بعد الثورة بأيام كان موضوعها مصطفى وعلى أمين، كنا قد اعتقلناهما ليلة الثورة (الصحيح بعد ٣٦ ساعة) مع الذين اعتقلناهم من قادة الجيش، وقد عرفت هذا عندما ذهبت اسلم قائد اللواء السابع إلى المعتقل، فاستقبلنى قائد المعتقل الصاغ عبد الحليم عبد العال وأخبرنى بأن لديه فى الداخل مصطفى وعلى أمين، ودعانى إلى أن أراهما بنفسى، وكنا نحن رجال الصف الثانى فى عنفوان الشباب والتطرف، وكانت نظرتنا إلى مصطفى وعلى أمين أنهما من رجال الملك. أى أنهما جزء من النظام الذى ثرنا عليه، ولهذا اعتبرنا اعتقالهما امراً طبيعياً جداً، إن لم يكن واجباً وطنياً(!!!) ولكن ما كاد يتم إخراج الملك من البلاد فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ حتى فوجئنا بالكاتبين يستردان حريتهما ويعودان إلى أخبار اليوم».

لاحظ أن الجيار لم يشر إلى السبب المباشر للاعتقال ولاالسبب المباشر أيضاً للإفراج عنهما، ولكنه يعود فيقول:

«وانتشرت حالة من الاحتجاج بين صفوف الضباط الأحرار، وحدث نوع من البلبلة عندما عرفنا أن الذى أمر بإطلاق سراح الكاتبين كان جمال عبد ال نفسه ولأن جمال عبد الناصر كان قائد الضباط الأحرار ومو الاحتجاج لم يلبث أن هدأ بين صفوفنا، ولكنه لم يهدأ داخا يضم قادتنا، زملاء جمال، فقد أثير الموضوع داخل المج

يفاجأ فيها عبد الناصر بأن الاغلبية ضده، وفى المقدمة كمال الدين حسين وحسن إبراهيم وفى مقدمة المقدمة عبد اللطيف البغدادى. ولكن قرار عبد الناصر كان قد نفذ وانتهي الأمر وكان مقتنعاً به: فهو بالإفراج عن مصطفى وعلى أمين قد أعفى نفسه من مشكلات، ثم أنه كسب كثيراً بالإفراج عنهما. فقد جند مصطفى أمين أخبار اليوم لتأييد الثورة بعد أن كانت تؤيد الملك(!!) والواقع أن تأييد مصطفى أمين ظل يتصاعد بعدها بلا تحفظ».

ويروى الجيار واقعة لها دلالتها البالغة جرت فى عام ١٩٥٩ عندما ذهب عبد الناصر لزيادة سوريا فيقول:

«نزلت فى فندق كان فيه مصطفى أمين والمرحوم كامل الشناوى وغيرهما من نجوم الصحافة. وبعد يومين جاءت الأنباء بأن عبد الناصر سيصل مساء الغد إلى دمشق وإذا بمصطفى أمين يبحث عنى ليقول لى: أرجوك أن أطلب من الرئيس أن يؤجل وصوله إلى صباح الغد!! فدهشت وسألته: ليه؟ قال: كى تكون هناك فرصة لاستقباله كما يجب، وسأقول لك سراً، لقد أبرقت فعلاً إلى أخبار اليوم بأن تكتب على رأس الصفحة الأولى فى برواز «حكمة اليوم» بيت الشاعر أحمد شوقى:

دخول الظافرين يكون صباحا ولاتزجى مواكبهم مساء!

كان كلاماًمقنعاً جعلنى فعلاً أتصل بموكب الرئيس وأقترح تأجيل ميعاد وصوله إلى الصباح (ثم يقول الجيار معلقاً) ولكن ما هزنى كان هذا الحماس الذى بدأه مصطفى أمين وقد فسرته وقتها بأنه عرفان بجميل عبد الناصر الذى أطلق سراحه فى مواجهة المعارضة الحادة من جانب البغدادى وكمال حسين وغيرهما (روزاليوسف).

وأصل بكم إلى شهادة لها دلالتها الهامة. فصاحبها هو «إبراهيم طلعت المحامى» ، فقد كان من المع شباب الطليعة الوفدية ومن أصدق أنصار الثورة فى وقت واحد، وكان يتمتع بثقة عبد الناصر وثقة النحاس باشا بنفس الدرجة، وكان إبراهيم طلعت صديقاً قديماً لعبد الناصر منذ تعرف عليه فى حزب مصر الفتاة فى الثلاثينيات ثم زامله فى كلية الحقوق عام ١٩٣٧، كان أول مدنى يطلبه

عبد الناصر صباح ٢٣ يوليو.. وعندما نشر إبراهيم طلعت مذكراته السياسية فى الزميلة «روزاليوسف» بعنوان «أيام الوفد الأخيرة» كانت هذه المذكرات أخطر وأهم ما نشر عام ١٩٧٦.

يقول إبراهيم طلعت فى شهادته تحت عنوان «عندما انتصر مصطفى أمين على جمال عبد الناصر» مايلى:

«كانت جريدة «أخبار اليوم» من أهم العناصر التى ساعدت على توسيع الفجوة بين الوفد والحركة (الثورة) فقد كان عداء أخبار اليوم للوفد تقليديا قديماً، كما أن المنافسة الصحفية كانت واضحة بين أخبار اليوم والمصرى، وبالرغم من أن مصطفى أمين كان قد اعتقل بعد قيام الحركة بيومين لموقفه منها عند بدئها ثم أمر جمال عبد الناصر بالإفراج عنه كطلب «أحمد أبو الفتح» وإلحاحه (عكس شهادة هيكل تماماً) إلا أن مصطفى أمين بلباقته وشخصيته وذكائه استطاع أن يستحوذ على قلوب بعض ضباط القيادة، وقد تزايد نفوذ مصطفى أمين بعد ذلك إلى درجة أنه توجه إلى فؤاد سراج الدين بعد ذلك فى المعتقل يساومه باسم مجلس القيادة للإفراج عنه إذا تنازل عن القضية التى رفعها فى مجلس الدولة تظلماً من أمر الاعتقال».

ويرى إبراهيم طلعت قصةاجتماع جرى بين عبد الناصر وصحبه وفؤاد سراج الدين، وبعدها زاره الأستاذ كامل الشناوى زيارة مفاجئة ودار بينهما حديث طويل حول ما جرى فى الاجتماع الذى تم بين فؤاد سراج الدين وعبد الناصر وزملائه. ثم يقول إبراهيم طلعت بالنص:

«فوجئت بجريدة أخبار اليوم تنشر تحقيقا كبيراً وبعناوين مثيرة عن هذا الاجتماع وما دار فيه، وكان هذا التحقيق بقلم «كامل الشناوى» وفوجئت بأنه ينطوى على أشياء غير صحيحة تخالف ما جرى وبعضها عكس الذى سمعه منى تماماً، ومن شأنه إفساد النتائج التى يمكن أن تتحقق لهذا الاجتماع الذى اتفقت فيه أراء الوفد وحركة الجيش (بشأن إعادة الحكم الدستورى)، وبعد ذلك بأيام صدرت مجلة أخر ساعة وكان يرأس تحريرها «محمد حسنين هيكل» وفى الملحق الذى يوزع معها باسم «أخر لحظة» نبذة صغيرة عن هذا الاجتماع تقول : إن

فؤاد سراج الدين.. صرح بأنه قد وضع ضباط القيادة فى جيبه.. وانفجر هذا النبأ الكاذب كالقنبلة داخل مجلس القيادة واتصلت بعبد الناصر تليفونياً فى ذلك اليوم وأكدت له عدم صحة ما نشر، ولكنه أجابنى بأن هذا الأمر لايقدم ولا يؤخر فيما اتفقنا عليه، وقال: أنا عارف إنهم كدابين!!

ولكننى أحسست من نبرات صوته أنه متأثر جداً وأنه فى قرارة نفسه يعانى شيئاً كالهزيمة.

ويروى أحمد حمروش فى مقال «آخر معارك النحاس مع الجيش وضده» أنه بعد نشر الخبر السابق فى «أخر لحظة» أن فؤاد سراج الدين فوجئ بالخبر، ويؤكد عدم صحته، وعدم صدور مثل هذه الكلمات منه، وتأكد - سراج الدين - أن فى الأمر دسيسة لابد أن يتأثر منها قادة الحركة (ويؤكد حمروش) وهكذا لعبت صحافة الإثارة دورها التقليدى لشق الصفوف مقدماً، ومنع التلاحم بين الجيش والوفد!! (روزاليوسف ١٩٧٥/٩/١).

ويروى أحمد حمروش واقعة ذهاب «مصطفى أمين» إلى فؤاد سراج الدين فى المعتقل حاملاً رسالة من أعضاء مجلس القيادة تقول.. إنهم على استعداد للإفراج عنه إذا تنازل عن القضية، ويعلق حمروش قائلا: وكان غريباً أن يتحول مصطفى أمين إلى مندوب لرجال القيادة وهو الذى اعتقل فى الأيام الأولى للحركة!! (ص٢٧٤ قصة ثورة ٢٣ يوليو).

ويلفت النظر فيما بعد أن «أنتونى ناتنج» وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية والذى شارك فى مفاوضات الجلاء عام ١٩٥٤، يروى فى كتابه «ناصر» وكانت المناسبة حديثه عن أزمة مارس ١٩٥٤، واحداثها.

كتب ناتنج يقول : ونشر مصطفى وعلى أمين بتحريض من عبد الناصر تسجيلات لمحادثات تليفونية بين محمد نجيب ومصطفى النحاس توحى بأن اللواء محمد نجيب يعمل بنشاط على عودة الوفد إلى السلطة، ولما كانت صحيفة الأخبار ذات النفوذ تؤيد عبد الناصر والثورة فإن الصحف الأخرى سارت على منوالها «ص ٥٤».

وقبل ذلك فإن ناتنج يشير إلى واقعة بالغة الدلالة جرت بعد أن اجتمع مجلس القيادة ولم يكن أمام عبد الناصر لحظتها سوى التسليم بانتصار محمد نجيب

عليه، ويقول ناتنج: لكن فى خلال ساعات قليلة حدث تغير مثير، فلسبب ما أعلنت صحيفة الأخبار وهى إحدى صحف القاهرة الرئيسية فى مقال افتتاحى لها أن عبد الناصر كان وسيظل الزعيم الحقيقى للثورة بالرغم من أن عبد الناصر نفسه قد أبلغ رئيسى تحريرها الأخوين مصطفى وعلى أمين أنه قد خسر المعركة أمام نجيب ومن ثم فإنه ليس ثمة ما يلزمها أو حتى من مصلحتهما تأييده..

وروى لى الكاتب الكبير«موسى صبرى» ضمن حوار طويل معه ما يلى:

كان مـا حدث لمصطفى وعلى صدمـة خطيرة لنا، ووضعنا ذلك فى مـأزق، ثم اتضح لنا أن محرر الحوادث فى جريدة المصرى أبلغ قيادة الثورة أن مصطفى وعلى أمين اتصـلا تليفونياً بلندن وتحدثا مع وكيل وزارة الخارجية البريطانية، وطلبا إليه أن يتدخل الجيش البريطانى ضد الثورة، وأن حديثهما التليفونى هذا المسجل على اسطوانة موجودة فى مصلحة التليفونات.. ونشرت الصحف هذا الاتهام.. وفى ذلك الوقت كنت موجودا فى الاسكندرية بمكتب الأخبار، واتصل بى المرحوم الأستاذ محمد التابعى من القاهرة وقال لى: أنا أعلم أنك تعرف أنور السادات كويس، أرجوك أن تتصل به وتبلغه على لسانى ألا يظلم الضباط أحداً وأن مصطفى وعلى أبرياء، وقلت للتابعى: إننى فعلاً سأتصل بأنور السادات من أجل هذا الغرض، وبحثت عن السادات الذى كان موجوداً فى الأسكندرية فى ثكنات مصطفى باشا، وحصلت على رقم تليفونه وطلبته، وقلت له: ياحاج أنور- إننا منذ كنا معتقلين سوياً فى المعتقل ونحن نناديه ياحاج، والحقيقة أنا لاأدرى حتى الآن السبب فى هذه التسمية - المهم أننى بمجرد أن قلت له: ياحاج: قال لى: اهلاً ياموسى، وشرحت له الموضوع كله فقال لى: تأكد ياموسى أن هذا الموضوع سيتم البت فيه على وجه السرعة الليلة أو بكرة بالكتير ، ولا يمكن للثورة أن تظلم صحفياً واحداً! وفعلاً اتضح بعد التحقيق أنها كذبة وتم الإفراج عن مصطفى أمين وعلى أمين!!

وأخيراً يروى لنا مصطفى أمين قصة الاعتقال والإفراج بالشكل التالى «قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وفوجئت بأنهم قبضوا على أنا وأخى على أمين ودهشت، اعتقدت أنهم يتحفظون علينا لحرصهم على ألا ننشر خبر عزل الملك فاروق فى

«أخبار اليوم» التى كانت تصدر صباح السبت، وكانت لدينا معلومات تؤكد أن رجال الثورة فى نيتهم عزل فاروق، بعد ثلاثة أيام فوجئنا بأنور السادات يزورنا فى الزنزانة وقال لنا إن أحد الأشخاص ذهب إليهم وقال: إنكما طلبتما من وكيل وزارة الخارجية البريطانية التدخل ضد الثورة، وهناك شريط مسجل عليه الحديث، وقال (أى السادات) أنه كان من رأى بعض الضباط الأحرار أن تضربا بالرصاص، ولكن تم الاتفاق فى النهاية على سجنكما، وبعد أن تم ابعاد الملك ذهبنا إلى مصلحة التليفونات وطلبنا الشريط المسجل عليه المكالمة، ولكنهم فى مصلحة التليفونات قالوا: إن أخبار اليوم لم تطلب لندن على الإطلاق. لا يوم ٢٣ يوليو ولا ٢٤ ولا ٢٢، وأن على ومصطفى أمين لم يتحدثا إلى لندن تليفونياً أبداً طوال شهر يوليو!! ويطرح السؤال نفسه: من كان وراء هذه الوشاية؟!

كان الواشى محرراً فى جريدة منافسة على صلة قوية بثروت عكاشة، وتشاء الظروف أن يحكم عليه بعد سنتين بعشر سنوات سجن فى تهمة تخابر مع بريطانيا.

ذهبنا إلى مجلس قيادة الثورة فور الإفراج عنا، وهناك التقينا باللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر والبغدادى وكمال الدين حسين وصلاح سالم. قال محمد نجيب: نحن آسفون جداً لهذا الخطأ، لقد بحثنا الموضوع فلم نجد له أى أساس من الصحة. وهنا قال عبد الناصر: أظن أنه من حقكما أن نصدر بياناً نوضح فيه حقيقة ما جرى، ونقول إننا آسفون جداً وأنه تبين لنا أنكما برئيان، بالفعل أعد البيان وأذيع فى الإذاعة أربع مرات فى يوم واحد» (ص ٩ و١٠ كتاب مصطفى أمين يتذكر من إعداد جمال الغيطانى).

وتقول الأستاذة مى شاهين فى كتابها «شارع الصحافة»: إن الأستاذ الأكبر الشيخ «عبد المجيد سليم» شيخ الجامع الأزهر أرسل بالرسالة التالية إلى مصطفى وعلى أمين عقب الإفراج عنهما:

«إن الله يدافع عن الذين آمنوا»، إن أصحاب الحق يتولى الله حفظهم دئماً ما داموا مخلصين مؤمنين بالوطن عاملين من أجله. ولقد دعوت الله أن يحفظكما دائماً» (ص ٥٥٣).

وبعد ١٣ سنة عادت الثورة لتقبض على «مصطفى أمين» بتهمة التخابر مع أمريكا!!

■■

كتب مصطفى أمين آلاف المقالات فى الصحف والمجلات المصرية، وعرف واقترب من كل زعامات مصر طوال أكثر من نصف قرن من عصر الملكية إلى الجمهورية.

وما أكثر ذكريات وحكايات مصطفى أمين الصحفية والسياسية على مدى تاريخ عمله بالصافة واقترابه من زعماء وملوك ورؤساء، وهذه بعضها ترسم ملامح علاقته بالرئيس عبد الناصر أيام سنوات العسل السياسى وقبل اعتقاله ثانية عام ١٩٦٥.

يقول مصطفى أمين: كل مقال كتبته له قصة وأحياناً تبدأ القصة قبل كتابة المقال، وأحياناً بعد كتابة المقال، وأحياناً فى أثناء كتابة المقال!

وكم من المقالات كتبتها ولم تر النور جاء قلم الرقيب وبطش بها، أو حذف منها سطوراً، وأضاف إليها سطوراً!

ومن سخريات القدر أننى ما كتبت فى حياتى سلسلة مقالات وأتممتها! فى كل مرة كانت تتدخل يد فتوقف السلسلة، فتسكت شهرزاد عن الكلام المباح، ولا يعرف القراء عادة ماذا حدث لماذا فقدت النطق فجأة؟ لماذا توقفت السلسلة مع أننى قلت فى نهاية المقال الأخير «البقية غداً» ولكن غداً لا يجيء أبداً؟

فى سنة ١٩٤٤ نشرت سلسلة مقالات بعنوان: «لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟»، عن الخلافات التى قامت بين الملك فاروق ومصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء، رويت فيها أسرار الأزمات التى حدثت منذ حادث ٤ فبراير.

وكانت هذه الخلافات تعتبر فى تلك الأيام من السياسة العليا التى لا يجوز أن يعلم الشعب بتفاصيلها، وكان من رأيى أن من حق الشعب أن يعلم كل شيء..

وكنت أعددت ٣٠ مقالاً عن هذه الأسرار والخبايا.

ونشرت منها فى أخبار اليوم ١٤ مقالاً.

وفجأة أصدر الملك فاروق أمراً بمنع النشر.

وكانت الرقابة مفروضة فى تلك الأيام على الصحف، فلم استطع نشر المقال الخامس عشر، ولم أعرف لماذا منع الملك النشر! قيل لى إن بعض حاشية الملك أفهموه أن الكتابة بهذه الصراحة عن خلاف رئيس الوزراء مع الملك فيها «تنزيل» لمقام الملك وجعله على قدم المساواة مع رئيس الوزراء!

ولكن لماذا انتظر الملك ١٤ أسبوعاً حتى يصدر هذا القرار؟!

وفى سنة ١٩٥٢ بدأت أكتب قصة فاروق كاملة مسلسلة فى «الأخبار» و«أخبار اليوم» وقبل أن أبدأ فى كتابة السلسلة تحدثت فى شأنها مع البكباشى جمال عبد الناصر فوافق على أن أبدأ بالنشر.

وكتبت بضعة فصول.. واتصل بى البكباشى عبد الناصر تليفونياً وطلب منى أن أوقف السلسلة لأن بعض زملائه فى مجلس الثورة اعترضوا عليها.. وأوقفت السلسلة! ثم عاد البكباشى عبد الناصر وقال لى إنه أقنع المعترضين من أعضاء مجلس الثورة أن لا مانع من استئناف السلسلة!

وعدت أستأنف كتابتها من جديد عدة أسابيع!

وطلبنى البكباشى عبد الناصر فى بيته وطلب منى أن أوقف السلسلة لأن بعض الضباط يقولون إن الغرض منها تذكير الناس بفاروق، مع أن المطلوب أن ينساه الناس.

وأوقفت السلسلة وكان قد بقى منها حوالى ستين مقالاً!

وذات يوم طلبنى البكباشى جمال عبد الناصر، وقال لى إن من رأيه أن أكتب قصة الثورة. وأملانى أسماء التسعة الذين يتألف منهم مجلس الثورة وروى لى تفاصيل الثورة وأسرارها. وأخبرنى أن البكباشى أنور السادات سيجتمع بى فى داره بمنيل الروضة ليراجع كل مقال قبل نشره.

وراجع البكباشى أنور السادات المقال الأول وقرأته على البكباشى جمال عبد الناصر فى التليفون، فأقره، بعد أن عدل ثلاث كلمات!

ونشرت صورة جمال عبد الناصر وحده فى الصفحة الأولى.

ونشرت صورة باقى أعضاء مجلس الثورة الثمانية وهم: جمال سالم وأنور السادات وعبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر فى صفحة داخلية مع بقية المقال.

ثم نشرت فى المقال التالى قصة ضم زكريا محيى الدين وعبد المنعم أمين وحسين الشافعى ويوسف صديق إلى عضوية مجلس الثورة.

ثم قصة ضم اللواء محمد نجيب وانتخابه رئيساً لمجلس الثورة بعد تنازل جمال عبد الناصر.

وما كادت الأخبار تنشر هذه السلسلة بعنوان «قصة التسعة» حتى قامت قيامة عدد كبير من الضباط الأحرار!

كان كل واحد منهم يتصور أنه عضو فى مجلس الثورة! ولم يكن جمال عبد الناصر أبلغهم بأسماء أعضاء مجلس الثورة!

واتصل بى جمال عبد الناصر تليفونيا وقال لى إنه أصدر أمره بالتحقيق معى لأن المقالات التى نشرتها سببت فتنة فى القوات المسلحة. وأنه سيرسل لى قائد الجناح جمال سالم للتحقيق معى فى هذه التهمة الخطيرة.

قالها جمال عبد الناصر جاداً، ولم يذكر تفصيلا، وأنهى المحادثة بسرعة، على غير عادته، مما دلنى على أنه لم يكن وحده عندما أبلغنى هذا القرار العجيب!

وذعرت! فإن تهمة إحداث فتنة فى القوات المسلحة عقوبتها الإعدام وخاصة فى بداية الثورة.

ثم إننى أعرف عنف جمال سالم فقد كان زميلى عندما كنت طالباً بالجامعة الأمريكية.

وجاء جمال سالم إلى مكتبى فى «أخبار اليوم»، وطلب منى بلهجة آمرة أن أغلق الباب!

وأغلقت الباب.. وإذا بجمال سالم يستغرق فى الضحك ويقول لى: إنها مسرحية رتبها جمال عبد الناصر ليهدئ ثائرة الضباط الغاضبين على اختيار أعضاء مجلس الثورة، وأنه سيأمر بوقف المقالات، وأنه مطلوب منى أن أخفى عن أى إنسان أن جمال عبد الناصر هو مصدر هذه المعلومات.

ولم أذكر هذه الحقيقة لأحد.. واليوم أذكرها لأول مرة!

وتوقفت سلسلة «قصة التسعة»!

■■

ويبدأ مقال سر الضباط التسعة على النحو التالى، وكما نشر فى جريدة «الأخبار» ١٤/١٠/١٩٥٢:

من هم التسعة؟

إن الصحف كلها لم تستطع أن تكشف ستارهم!

إن الناس كلها تتخبط فى أسمائهم.

من هم؟ أين هم؟ ماذا يفعلون؟

إن «الأخبار» ستنشر ابتداء من اليوم قصتهم كاملة وهى قصة خطيرة!

سر التسعة:

جلس مجلس التسعة فى دار القيادة يقررون مصير العرش!

كانوا منذ بضعة أيام عصابة التسعة، يجتمعون فى الظلام، ويتناقشون على ضوء الشموع، ويضللون البوليس والحكومة وأقلام المخابرات.

ثم أصبحوا بعد بضعة أيام دولة!

تسعة شبان يحتلون القيادة العليا للقوات المسلحة، معهم المدافع والدبابات، ومعهم الطيران والأسطول، ومعهم الحكم والسلطان، ومعهم قبل هذا الشعب كله!

إنهم يجتمعون ليقرروا مصير ملك!

منذ ساعات فرضوا اللواء محمد نجيب قائداً عاماً للقوات المسلحة.

والتفتوا باسمين لمن حولهم، وقالوا:

ليس لنا طلبات سوى هذا..

وما كاد ينفذ الطلب حتى فاجأوا فاروق بطلب إسقاط الوزارة.

وأسرعت حاشية فاروق ترجو منه أن يجيب الطلب حتى تنجو برءوسها.. وخضع فاروق.. وأسقط الوزارة التى عينها منذ ١٨ ساعة!

وابتسم التسعة ابتسامة بريئة وقالوا للصحفيين:

ليس لنا طلبات بعد هذا..

وما كاد فاروق يقبل استقالة وزارة نجيب الهلالى حتى وثبوا عليه وطلبوا تعيين على ماهر رئيساً للوزراء.. ورضخ فاروق وعين على ماهر.

وابتسم جمال عبد الناصر ممثل الدهاء فى القيادة وقال للصحفيين:

الحمد لله.. بعد هذا سنعود إلى ثكناتنا!

وبلغ فاروق النبأ فاستراح! واستراحت الحاشية..

ولكن.. لم تمض دقائق حتى كان جمال عبد الناصر يكتب قرار مجلس التسعة بإخراج جميع حاشية فاروق فوراً!

وذهب على ماهر إلى فاروق فى قصر المنتزه..

وعندما قرأ قائمة الجيش بأسماء الذين يطلب الجيش استبعادهم، ارتعشت الورقة فى يده.

وقال فاروق:

- كريم ثابت؟! أنا كنت أخرجته فعلاً.. يخرج!

إلياس أندراوس؟! مفيش مانع.. يخرج!

حسن عاكف؟! زى بعضه.. يخرج!

ثم توقف فاروق أمام ثلاثة أسماء والتفت إلى على ماهر رئيس الوزراء وقال:

- لا.. لا.. مستحيل! هؤلاء خدمى! خدمى الخصوصيين! كيف يتدخل الجيش فى إخراج خدمى؟!

قال على ماهر: هؤلاء كانوا خدمك فعلاً.. انطونيو بوللى كان مساعد الكهربائى، ولكنك منحته رتبة البكوية من الدرجة الأولى، وجعلته من كبار موظفى القصر، ودعوته إلى المآدب الملكية ليجلس مع الوزراء ورؤساء الوزارات، وكلفته بمهام ليست مهام الخدم!

والجيش يقول إنه أفسدك وأفسد البلد!

ومسح فاروق العرق من وجهه وقال:

- وحلمى.. حلمى حسين إنه سواق سيارتى!

وابتسم على ماهر وقال:

- إنك منحت حلمى حسين رتبة الأميرالاى! أدخلته الجيش دون أن يدخل الكلية الحربية، ورفعته من سواق إلى أكبر رتب الجيش، وجعلته رسولك إلى ملوك العرب.. والجيش يريد أن يخرج من القصر وتنزع رتبته العسكرية!

ورمى فاروق الكشف من يده، وقال:

- ومحمد حسن كمان؟ إنه خادمى الخاص! إنه هو الذى يشرف على ملابسى وأحذيتى؟

وقال على ماهر:

- محمد حسن لو كان خادمك فقط لما تعرض له أحد! ولكنك جعلته سكرتيراً خاصاً، بل رئيساً للديوان! يدير شئون الدولة ويتدخل فى تأليف الوزارات.

إن الجيش لن يمس أى خادم عندك اشتغل خادماً فقط، ولا يشكو منه أحد، وإنما الجيش والبلد كله يعترض على الخدم الذين يشتغلون بأمور السياسة!

وقام فاروق من مقعده محتداً، وقال:

- لا.. لا.. أنا الملك ومن حقى أن اختار خدمى!

وفى هذا الوقت الذى كان يقول فيه فاروق: أنا الملك، لم يخطر بباله ولا ببال على ماهر أن مصير العرش قد تحدد قبل ذلك بأيام، بل قبل ذلك بشهور.

ولكن مصير فاروق كملك تحدد رسمياً يوم الانقلاب!

إن مجلس التسعة مجتمع..

أعضاء المجلس لم يناموا منذ بضعة أيام..

وبعضهم لم يأكل منذ ٢٤ ساعة..

وكل منهم لم يفكر فى أن يتصل ببيته ويقول لأهله إنه لا يزال على قيد الحياة.

إن مصير فاروق كملك يتقرر الآن..

إن جمال عبد الناصر يعرض الأمر على مجلس التسعة.. ويتحدث بأعصابه الحديدية، الصارمة، بوجهه الهادئ الجامد، وكأن شعره الأشيب يروى قصة كفاح سرى عجيب لم يتصوره أحد ولم يعلم به أحد!

كان جمال عبد الناصر يعرض مصير الملك ببساطة وكأنه يعرض مصير «نفر» يراد فصله من الخدمة العسكرية لسوء سلوكه وخروجه على النظام!

وتلفت جمال إلى وجوه الثمانية الآخرين..

إن التسعة كلهم مجتمعون للمرة الأولى، ولم يكن رشاد مهنا بينهم لأنه ليس عضواً فى مجلس التسعة..

وكان وجه عبد الحكيم عامر وهو ثعلب ماكر وسياسى داهية لا يقول شيئاً، كان ساكناً وكأنه مستغرق فى حلم جميل وكأنه فى دنيا أخرى، لا يسمع ما يجرى فى الغرفة الأخرى!

وكان صلاح سالم يخفى عينيه بنظارته السوداء!

إنه يقول: إن عينيه قد اصيبتا بالتعب عندما مشى على قدميه فى صحراء فلسطين عشرات الساعات ليصل إلى قوات الفالوجا التى حاصرها اليهود.. ولم تستطع عيناه أن تقول شيئاً! وإنما كانت شفتاه ترتعشان كما ترتعش فوهة المدفع والكلمات التى تخرج منه!

وكان حسن إبراهيم هادئاً كعادته، يتطلع فى صورة فاروق المعلقة فوق رءوس المجتمعين. لقد كانوا مشغولين بدرجة أنستهم أن ينزلوا صورة فاروق من مكانها..

منذ كانوا متفرغين لبحث إنزال الملك نفسه من مكانه!

وكان كمال حسين جالساً كما يجلس المدفع! مستعداً للانطلاق!

وكأن جسمه كل قطعة من الديناميت والصواريخ تستعد للانطلاق!

وكان أنور السادات جالسا كالنمر.. مستعداً للوثوب. ولكنه نمر عجيب.. تحسبه قطاً وديعاً إلى أن يكشر عن أنيابه ويفترس.

وكان يهز رأسه وهو يقول:

- «صح»!

وهذه الكلمة لا تعنى أنه موافق أو غير موافق وإنما تعنى أنه يفكر!

وكان جمال سالم يتململ فى جلسته..

لقد بت فى الموضوع، موضوع فاروق من وقت طويل، فلماذا يبحث الآن؟

إنه يلعب فى خاتمه بحركة عصبية.. هذا الخاتم يمثل جمجمة ترمز إلى الموت.. ينظر إلى الجمجمة ثم ينظر إلى صورة فاروق المعلقة فى الحائط وكأنه يجد بين الاثنين شبهاً عجيباً.

وكان خالد محيى الدين يتأمل وجوه زملائه فى صمت..

لا يتكلم.. ولا يقول شيئاً.. وكأنه غائب عن هذا الاجتماع

إنك ترى فى عينيه الحذر، كأن كل نظرة فى عينيه هى نواة لخطة سرية، وحلقة فى سلسلة مؤامرة واسعة النطاق!

وهذا هو قائد السرب بغدادى..

فى وجهه شراسة، وفى عينيه عنف، وكأنه أشبه بطائرة منقضة، تحلق، وتستعد للانقضاض، وكانت حدقتا عينيه مصوبتين إلى المجتمعين وكأنهما فوهتا مدفعين رشاشين.

وكان محمد نجيب يرأس التسعة..

وكانت على شفتيه ابتسامته الحلوة التى يغطى بها دهاءه المرير..

وتحرك محمد نجيب فى مقعده ونظر إلى الأرض وقال بصوت كالهمس، ولكنه كان سيدوى فى التاريخ كالرعد.

- والآن.. ما رأيكم فى مصير حضرة صاحب الملك فاروق الأول، ملك مصر والسودان؟

ولم ينتظر التسعة أن يؤخذ رأيهم واحداً، واحداً، كما جرت التقاليد، ولكنهم قالوا فى صوت واحد:

- خلع!!

وساد مجلس التسعة سكوت عميق..

وطوى محمد نجيب ورقة أمامه.. وكأنه يطوى صفحة من التاريخ!

تاريخ مصر سابقاً.. فاروق الأول.

وامسك جمال عبد الناصر ورقة وراح يرسم عليها خطوطاً، ثم تحولت الخطوط إلى خطة..

والتفت نجيب إلى التسعة، وقال:

- ومتى نخلع فاروق؟

ونظر جمال سالم إلى ساعته وكأنه يريد أن يقول: نخلعه بعد خمس دقائق!

وتناقش التسعة ثم اتفقوا على رأى..

- نخلعه غداً.. الجمعة!

وكان الفجر قد أشرق.. ولم يكن الموعد غداً.. بل كان اليوم، فقد كان يوم الجمعة قد بدأ منذ بضع ساعات!

وبدأ التسعة يعملون وكأنهم يدوسون على أزرار كهربائية سحرية، لا يكادون يضغطون عليها حتى يخرج من تحت الأرض جنود ومدافع ودبابات وطائرات.

كلها فى الطريق إلى الإسكندرية..

ولم يكن أحد يعلم سوى هؤلاء التسعة.

إن كل الأوامر: أن المطلوب هو أن تقوم الحامية الموجودة فى الإسكندرية بحفظ الأمن والنظام.

وفجأة تذكروا شيئاً!

البوليس السياسى!

إنهم لم يقبضوا عليه، ولا ضمان لنجاح العملية إلا إذا تم القبض على رجال هذا البوليس. وأصدروا أوامرهم بأن يكون كبار رجال البوليس السياسى فى السجن بعد ساعة كاملة!

وبعد ساعة دخل أحد الضباط المكلفين بعملية القبض وأخذ تعظيما، وقال:

- تمام يا أفندم!

وهنا وقف اللواء محمد نجيب وسار ومعه أنور السادات وجمال سالم إلى المطار واستقل اللواء محمد نجيب طائرة حربية إلى الإسكندرية ومعه نصف مجلس التسعة.

وبقى النصف الآخر فى القاهرة برياسة جمال عبد الناصر لقيادة الحركة بالنيابة عن اللواء محمد نجيب.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحق وثائقى

عبد الناصر والصحافة في محاضر سرية !



بعض «الموضوعات» تفسدها «المقدمات» التى تسبقها كلمات ساخنة، وحروف صاخبة، وسطور جوفاء بلا أى مضمون أو معنى!!

الموضوع هو «نصوص سرية لم تنشر» وقيل فيها أخطر الأسرار والمعلومات والحكايات على لسان الرئيس «جمال عبد الناصر» فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى - التنظيم السياسى الوحيد فى مصر وقتها!!

لم يكن وقتها هناك أحزاب ولا يحزنون، كان هناك «الاتحاد الاشتراكى» وكانت أمانته بمثابة هيئة مصغرة تحكم مصر وكان من أعضاءها المشير «عبد الحكيم عامر» و«زكريا محيى الدين» و«خالد محيى الدين» و«سيد مرعى» و«كمال رفعت» و«حسين الشافعى» و«أنور السادات» و«شعراوى جمعة» و«عباس رضوان»..

و١٢ جلسة بدأت فى ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤، وانتهت فى ١١ مايو ١٩٦٥ ناقش «عبد الناصر» مع رجاله وأهل الثقة عشرات الموضوعات الهامة وغير الهامة، لكن ما قيل عن الصحافة كان غريباً ومدهشاً ومربكاً ومحيراً، لقد كانت «الصحافة» صداع النظام والمسئولين أيضاً فى ذلك الوقت!!

لقد تأخر نشر هذه الوثائق ٣٣ سنة بالضبط، وعندما نشرت هذه الأيام، فالعودة إليها وقراءتها ضرورة ومهمة أيضاً!!

... والآن إلى أبرز ما قيل فيها!!

■■

كانت قضية الصحافة من أهم القضايا التى نوقشت فى الجلسة الأولى التى عقدت فى ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤، وفى البداية طرح «حسن إبراهيم» نائب رئيس الجمهورية وقتها، ملاحظة هامة حيث قال: «كانت الصحافة بالنسبة للاتحاد الاشتراكى العربى عملاً مبلبلاً أكثر منه عاملاً يقود لرأى معين! ولا توجد صحيفة تنطق باسم «الاتحاد الاشتراكى» مع العلم أنه مفروض فى كل الصحف أن تنطق باسمه (!!).

وبالنسبة للتنظيم الجديد، إما أن توجد صحيفة معروفة تعبر عن الاتحاد الاشتراكي أو تكون كل الصحف لا يكتب فيها غير ما يعبر عن رأى الاتحاد الاشتراكي!! ويجب تنظيم الصحافة (!!).

وليس معروفاً على وجه اليقين ماذا كان يقصد «حسن إبراهيم» بجملة «تنظيم الصحافة» فوقتها كان قد مضى حوالي أربع سنوات بالفعل على صدور قانون تنظيم الصحافة أو تأميمها.. لكن ما يلفت النظر هو رد «جمال عبد الناصر» عليه حين قال:

بالنسبة للصحافة ستكون هناك لجنة للصحافة، وأنا أعتبر أن الصحافة فى الفترة التى مضت كان لها دور كبير فى خلق البلبلة بين الناس (!!)، لأن من السهل على الشخص الموجود خارج العملية أن ينتقد!! وقد كانت الصحافة تنتقد باستمرار بالنسبة لعمليات كثيرة.

النقطة الثانية: إننى لا أريد أن تكون الصحف كلها نسخة واحدة!

والنقطة الثالثة: إننا نريد أن يجتهد الناس فى أى موضوع من الموضوعات، لأن الشعور السائد بين الناس أن الجرائد مراقبة، وهى فى الحقيقة لا تخضع للرقابة ويجب أن يفهم الناس ذلك، ويجب أن يترك باب الاجتهاد مفتوحاً بالنسبة للكتابة فى موضوعات الاشتراكية. ونحن إذا قيدنا العملية، فإن صحافتنا ستفقد قيمتها، ليس هنا فقط وإنما فى العالم العربى. ولذلك يجب أن تكون هناك وحدة فكرية، وأنا متصور أن «خالد محيى الدين» ومعه رؤساء التحرير سيساعدون على إيجاد هذه الوحدة الفكرية.

وكمثل من الأمثلة التى كانت تنشر فى الصحافة، نجد أن مجلة «روزاليوسف» تنشر «يابيروقراطية يا» وكذلك «اللحمة يابتوع اللحمة» وموضوع «الشفخانة» وأنا لا أمانع فى أن ينشروا أن مستشفى قصر العينى مثلاً به أخطاء، ولكن لا يجوز أن يقال إن المستشفيات كلها «بايظة»(!!) إننى أعتبر هذه العملية عملية تخريبية(!!).

إن مجلة «صباح الخير» نشرت فى هذا الموضوع أيضاً موضوع «الشفخانة» والعملية بهذا الشكل – معناها أن الحكومة كلها حكومة فاشلة بالنسبة لهذا

الموضوع، قد تكون هناك مآخذ على بعض المستشفيات، ولكن هناك مستشفيات أخرى «كويسة» ولا داعى أبداً لنشر أخبار مجهولة، كأن ينشر أن هناك مؤسسة حدثت فيها سرقات(!!) قد يكون هذا الخبر صحيحاً وفى هذه الحالة لا مانع من أن ينشر اسم المؤسسة بالتحديد، وطبيعى أن لجنة الصحافة يمكنها أن تحل هذه الموضوعات.

ورد «خالد محيى الدين» - ولاحظ جيداً دلالة كلامه - فقال:

- إن الصحافة لكى تنجح، يلزم أن يكون هناك صحفيون مثقفون يعملون بها، والحقيقة أن أغلب الصحفيين الموجودين ثقافتهم محدودة ودراستهم عن الاشتراكية قليلة، فلا يوجد صحفيون اشتراكيون ليكتبوا فى الاشتراكية(!!).

وهنا سأل «حسن إبراهيم»: ألا يمكن إصدار جريدة يومية تعبر عن رأى الاتحاد الاشتراكى فى موضوعات معينة مثلاً؟!

ورد «جمال عبد الناصر»: إذا ثار نقاش فى موضوع ما، يمكن أن نقول أن رأينا هو «كذا» أى أننا يجب أن نقول نحن هذا الرأى، وإلا سنوجد بلبلة بين الناس.

وقال «خالد محيى الدين»: يمكن أن تساعد فى هذا المجلة الخاصة بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى (!!).

وأكمل «جمال عبد الناصر»: ويجوز أيضاً أن تكون للناس آراء مختلفة، فمثلاً المجلة التى تصدر فى «براغ» تنشر آراء مختلفة جداً عن آراء الحزب الشيوعى، ونحن يجب أن نسمح بنشر الآراء المختلفة حتى يشعر الناس بأنه يمكن لكل شخص أن يبدى رأيه.

■■

ثم جاءت الجلسة الثانية بتاريخ أول ديسمبر ١٩٦٤، وقال عبد الناصر: لا داعى للدخول فى الدين أو الماركسية، فمثلاً الأخ «خالد محيى الدين» تكلم عن الدين والماركسية وهذا يحدث بلبلة، فالماركسية تنكر الدين وهذه حقيقة ولهذا لا نتكلم عن الماركسية ومحاسنها، ويوجد خلاف بين الدين وديكتاتورية البروليتاريا فالأخيرة هدمت الدين.

ودافع «خالد محيى الدين» عن نفسه قائلاً:

- أنا لم أتكلم عن ماركس، ولكن تكلمت عن تجربتنا وما ورد فى الميثاق، وأن كلمة الدين التى وردت فى الميثاق ليست موجودة على أنها مجرد كلمة!! إننى كنت أعطى تفسيراً للمعنى وأنا قلت.. إن مجتمعنا عاش فى تقاليد من التراث الاشتراكى يفخر بها عن المجتمعات الأخرى، وقلت إن المسلمين مثل كل البشر تطبق عليهم كل القوانين، وقلت أيضاً أنه من الثابت أن «ماركس» عند تأليفه لكتاب «رأس المال» قد استعار كتاباً عربياً اسمه «الأموال»(!!)

وفى حسم قال «عبد الناصر»: لا داعى للكلام عن الدين ويوم القيامة، فهذه تعتبر أموراً مسلماً بها، ولا داعى لمناقشتها.

■■

ولعل أخطر ما جرى فى الجلسة الثالثة (٨ ديسمبر ١٩٦٤) هو اعتراف «عبد الناصر» وقوله: «أنا أعتبر أن الاشتراكية فى العالم فى أزمة وهى أزمة الديمقراطية، وإذا لم نسر فى طريق الديمقراطية فسوف ندخل فى عمليات محسوبيات وعمليات لا أول لها ولا آخر، وفى المستقبل طالما أنه توجد الديمقراطية لن يستطيع أحد أن يفسد! والكلام الذى قيل عن «خروشوف» رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى بعد عزله من الحكم بخصوص تعيين زوج ابنته رئيساً لتحرير جريدة برافدا لم يكن أحد يجرؤ أن يقوله عندما كان فى الحكم، لأن النظام هناك فيه عيوب، ونحن نريد نظاماً بحيث يخرج أفراد يقولون بأن رئيس الجمهورية قام بتعيين زوج كريمته فى إحدى الوظائف(!!).

ثم ينتقل «عبد الناصر» إلى استعراض الأسماء التى اقترحها الأعضاء لكى ينضموا إلى التنظيم وبدأ حديثه فقال: لا يمكن أن نسلم للشيوعيين وأنا لا أعتبر الأخ «خالد محيى الدين» شيوعياً لأنه لم ينضم إلى التنظيم (الشيوعى) وإلا ما اخترناه ولا نريد الرجعيين!! وقال عبد الناصر متسائلاً: وبخصوص السادة: لطفى الخولى وكامل زهيرى؟!

قال شعراوى جمعة: لقد رشحت السيد «كامل زهيرى» للعمل معى، ويمكن أن يساهم فى الدعوة لو طُلب منا ذلك.

وفى جلسة ٢٢ ديسمبر قال «شعراوى جمعة»: «إن كامل زهيرى» يصلح للعمل فى التوعية وقد سبق له أن عمل معى، وهو يعمل حتى لو كان مريضاً.

■■

فى اجتماع يوم خمسة يناير ١٩٦٥ بدأ عبد الناصر حديثه حول القرارات الاشتراكية التى صدرت فى سوريا وتأميم ١١٥ شركة وأن أية خطوة تقدمية فى أية دولة عربية لابد أن نساندها ثم أضاف عبد الناصر قائلاً:

«طلبت اليوم قبل حضورى إلى هنا من الجرائد أن تؤيد هذه الخطوات فى افتتاحياتها غداً، لأن موقف صحافتنا بالنسبة لهذه الخطوات لم «يريحنى» (!!) فهو يدل على أننا «مفتاظين» وأننا لا نريد أن يقوم غيرنا بعمل اشتراكى! وحتى مانشيت جريدة «الأهرام» لم يعجبنى! فهو لم يكن يشير إلى التأميم وإنما كان منصباً على التهريب ونحن يهمنا التأميم بصرف النظر عن أى شىء آخر».

وأثير موضوع «مناقشات» مجلس الأمة، وقال «عبد الناصر»:

«ليس من المعقول أن نترك المجلس «يضرب يقلب» المطلوب هو أن ننظم المجلس وأن ننظم أنفسنا، والذى أريد أن أقوله هو أننا يجب ألا «نكلبش» المجلس، فقد قيل ضدنا كلام كثير جداً بالنسبة للديمقراطية، ولذلك يجب أن يظهر مجلسنا على أنه أحسن مجلس فى البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، وهو فعلاً أحسن مجلس فالمجلس اللبنانى كلام فاضى» وليست فيه مناقشات!

وقد طلبت من الصحف أن تنشر مناقشات مجلس الأمة بالحرف، طلبت من «الأهرام» أن تنشر المناقشات بالكامل! لماذا؟ لأنى أريد أن أعطى الحياة الديمقراطية السليمة التى ننادى بها على أساس جديد، قيمة حقيقية، فلننظم دون أن نكلبش!! نترك من يتكلم دون أن نسد عليه الطريق ثم يحال كلامه إلى اللجنة ولا نخاف، ثم إن رئيس المجلس (السادات وقتها) يستطيع أن «يموت» أى شىء وفقاً للائحة! (ضحك).

وبعد أن استمع الحاضرون من السيد «كمال رفعت» إلى مذكرة حول اختصاصات وتنظيم الأمانة الفرعية للدعوة والفكر الاشتراكى قال جمال عبد الناصر:

إننا نريد أن نحقق هدفنا دون أن يحدث تضارب مع الصحافة أو الإذاعة أو أجهزة الإعلام، لأنه إذا حدث تضارب فإن كل واحد «سيشنع» على الآخر!! وتخرج العملية عن وضعها! إنك لن تعمل دعوة بين يوم وليلة، وإلا فإننا سنعقد الدنيا! مثلاً بالنسبة للكلام الذى يكتبه «خالد محيى الدين» فإن أى كلمة يكتبها يكون لها رد فعل عند الناس! فعندما قال: «الدول الاشتراكية» ثم كتب بين قوسين «الشيوعية» كل الناس قالوا: إن الاشتراكية معناها الشيوعية!! وقد قلت له: أنت تعقد الموضوع! ويمكن أن تقول: الدول الشيوعية، لماذا نقول الدولة الاشتراكية ثم نضع كلمة الشيوعية بين قوسين؟! معنى هذا أن الاشتراكية هى الشيوعية! واليوم حتى الشيوعيين توجد بينهم خلافات.

الملفت للنظر أن الأستاذ «خالد محيى الدين» لم يعلق على ملحوظة الرئيس جمال عبد الناصر بشأن كتاباته (فى أخبار اليوم وقتها).

■■

وفى جلسة ١٢ يناير ١٩٦٥ تساءل عبد الحميد خليل غازى (أمين الفلاحين):

– لقد تناول الأستاذ «حسنين هيكل» فى مقاله يوم الجمعة مسألة استصلاح الأراضى الزراعية ووسيلة استغلالها، وهل نملكها للفلاحين المعدمين أم أن الدولة ستزرعها بمحاصيل مختلفة للتصدير؟ وهذا أمر له جوانب كثيرة جداً ونريد أن نعرف رأى سيادة الرئيس فيه، حتى يمكن أن يدرس هذا الموضوع على هدى توجيهات السيد الرئيس؟!

ثم تحدث غازى عن موضوعات أخرى متعددة أجاب عنها «عبد الناصر» لكنه لم يشر إطلاقاً إلى مقال الأستاذ هيكل (!!).

الطريف أن «عبد الناصر» لم يحضر جلسة ١٩ يناير، فاجتمعت الأمانة برئاسة المشير «عبد الحكيم عامر» الذى بدأ الاجتماع بقوله ولاحظ معى دلالة كلامه:

– «السيد الرئيس مشغول اليوم فى تجهيز ما سيقوله فى مجلس الأمة غداً إن شاء الله، ولذلك لم يحضر سيادته هذه الجلسة، وعلى هذا فإننا سنناقش أى موضوع ترونه».

ثم جاءت جلسة ٢٦ يناير ١٩٦٥ التى بدأها جمال عبد الناصر بقوله:

- طلب الأخ خالد محيى الدين تأجيل موعد انتخابات نقابة الصحفيين التى ستجرى فى الساعة العاشرة من صباح يوم ١٩ فبراير القادم، على أن يكون التأجيل لمدة أسبوع أو أسبوعين نظراً لوجود بعض الصحفيين المتقدمين لانتخابات مجلس النقابة فى زيارة للكويت فى هذا التاريخ ولا يملك الاتحاد - من الناحية القانونية - طلب مثل هذا التأجيل، ومع ذلك فإنه يمكن تأجيل الانتخابات إما بطريقة التفاهم الودى وإما عن طريق وزارة الداخلية، وقد يكون من الأنسب تأجيل انتخابات كل النقابات المهنية إلى ما بعد ٢٦ مارس ١٩٦٥(!!).

وتساءل د. نور الدين طراف: ما هى الفكرة من تأجيل انتخابات النقابات المهنية؟ إننى أرى أن انتخابات النقابات المهنية فرصة لكى تكون هناك تجمعات ومناقشات وقرارات طوال فترة الانتخابات.

ورد «حسين الشافعى» قائلاً: إن الفكرة عن التأجيل هى تغطية طلب أمانة الصحافة بالنسبة للصحفيين الموجودين فى الخارج أثناء هذه الفترة بحيث يكون التأجيل يبدأ موحداً بالنسبة لكل النقابات المهنية! وقد لا تقع خلال هذه الفترة انتخابات أخرى غير انتخابات نقابة الصحفيين، وإن كنت لا أعلم ما إذا كانت هناك انتخابات لنقابات أخرى خلال هذه المدة أم لا؟!

وتحدث الرئيس «جمال عبد الناصر» معلقاً: «رأيى أنه يجب أن نترك النقابات كما هى - وقد سبق أن قلنا سنؤجل الموضوع لمدة سنة، إلى أن يكون لنا تنظيم فى النقابات المهنية، وفى هذه الحالة لا مانع إطلاقاً من أن ندخل طرفاً فى أية عملية، وفى رأيى أيضاً أنه يجب ألا يدخل الأخ «خالد» الآن طرفاً فى عملية الانتخابات (!!).

وقال «خالد محيى الدين» موضحاً: «إن بعض المرشحين سيكونون فى الكويت لحضور المؤتمر الذى سيعقد هناك خلال فترة الانتخابات، وعدد هؤلاء المرشحين أربعة، وقد طلبوا تأجيل الانتخابات أسبوعاً أو أسبوعين».

وعاد «جمال عبد الناصر» ليقول: «إننا نتكلم فى المبدأ، فهل يجوز - من حيث المبدأ - أن نؤجل الانتخابات لأن أربعة من المرشحين موجودين فى الكويت؟! هل هذا سبب وجيه؟! من الأفضل لهم ألا يسافروا(!!) وفى رأيى أنه بالنسبة للمؤتمرات التى تعقد فى الكويت أو لبنان لا داعى أبداً أن نشجع جذب النواحى الخاصة بالصحافة إلى أى بلد عربى آخر، يجب أن نترك عملية النقابات المهنية تسير كما هى!

وأثار «د. نور الدين طراف» مسألة فى غاية الغرابة فقال:

«بالنسبة لنقابة الصحفيين بالذات فقد كان هناك كلام على أن يقوم الأخ «خالد محيى الدين» ببحث شئونها، ثم قلت سيادتك أنها - كنقابة - تكون فى أمانة المهنيين، وقد حدث عند الصحفيين أنفسهم نوع من الارتباك فى هذا الموضوع وأنا قلت لهم: إنهم لا فرق بين أن تكون النقابة تابعة لأمانة الصحافة أو أن تكون لأمانة المهنيين، ولكننا نريد توجيهاً فى هذه المسألة»(!!).

فى البداية قال «حسين الشافعى»: «الذى فهمناه فى الجلسة الأولى (٢٤ نوفمبر ١٩٦٤) هو أن أمانة الصحافة مسئولة عن الناحية الخاصة بالصحافة كصحافة من حيث الكتابة، ومن حيث التوجيه والسياسية، أما النقابة - كنقابة للعمل المهنى - فقد كنا نتصور أنها مع أمانة المهنيين وعندما أثرنا هذا الموضوع فى أول اجتماع للأمانة، وجدنا أن الفهم مختلف فيه، ولذلك فإن هذا الموضوع يعتبر أيضاً - من ضمن الموضوعات التى نعرضها اليوم لنأخذ توجيهاً فيه»(!!).

وقال «زكريا محيى الدين»: أذكر أنه فى أول اجتماع للأمانة العامة تم حسم موضوع نقابة الصحفيين بأنها يجب أن تكون تابعة لأمانة الصحافة، وأنا أعتبر أن نقابة الصحفيين ليست نقابة مهنية، فقد خرج من عضويتها منذ عام ١٩٥٥ كل أرباب المهن الذين يعملون فى الصحافة بعد خروج أصحاب الصحف منها، وأصبحت نقابة تجمع بين المحررين الذين يعملون فى الصحافة. وجميع أعضاء نقابة الصحفيين يعتبرون «عمالاً» بحكم الميثاق (!!) وقد دخلوا انتخابات مجلس الأمة على هذا الأساس، فهى النقابة الوحيدة التى تختلف عن النقابات المهنية

الأخرى فى هذا الشأن، ثم أنه بالنسبة للنشاط العملى لأمانة الصحافة واضح أننا إذا أخذنا منها نقابة الصحفيين فإنها ستصبح أمانة نظرية»!

وتدخل الرئيس «جمال عبد الناصر» فى المناقشة قائلا: «فى رأيى أنه من الأفضل أن تظل نقابة الصحفيين مع أمانة الصحافة، على أساس أن نقوم بجمع الناس، لا نوجد بينهم انشقاقات، وقد عقد الأخ «خالد» مؤتمراً للصحفيين والنقابة، واتضح لى من هذا المؤتمر أن «خالد» متحيز ضد النقيب الحالى، وقد تهجم بعض الناس على النقيب!.

ودافع «خالد محيى الدين» عن نفسه قائلاً: «لقد تهجم على كثيرون أيضاً منهم «حلمى سلام» مثلاً، وأما بالنسبة للنقيب فقد تهجموا عليه أكثر من الآخرين لأنه النقيب»(!).

وقال عبد الناصر مؤكداً: «لقد تهجمت أنت على النقيب»!

عاد «خالد محيى الدين» ليدافع عن نفسه فقال: أبداً لم يحدث، وإنما الأعضاء هم الذين تهجموا عليه، على أساس أنه يتصل باتحاد النقابات المهنية، أما أنا فقد قلت فى المؤتمر: إن النقيب أبلغنى حسب توصية من النقابة! فقالوا إنه لم يأخذ توصية من النقابة، وهذا هو كل ما حصل!

وعاد «عبد الناصر» ليقول: «إن الوضع فى الصحافة مبنى على «الشلل» ولكى يعمل الإنسان فيها لابد أنه يفهم كيف يسير وضع «الشلل» ونحن لا نريد أن نسلم الصحافة «لشلة» معينة تعتمد على معرفتها بك. إن أفراد هذه الشلة يتكلمون ويهاجمون الباقين، ومعنى هذا أنك ستقلب الباقين عليك، ولن تستطيع تحقيق النجاح فى عملية بهذا الشكل، فهذه عملية تقتضى أن نجمع الناس كلها، إننا لا نريد أن ننصر أناساً على أناس آخرين، لأننا نعرف الفئة الأولى، أو لأنه توجد علاقة شخصية بيننا وبينها، وأنا فى رأيى أن تظل نقابة الصحفيين مع أمانة الصحافة على أساس أن نوسع أمانة الصحافة، فبدلاً من أن يكون فيها خمسة أشخاص يمكن أن نزيد العدد إلى عشرة أو اثنى عشر شخصاً، أما أمانة المهنيين ففيها من العمال ما يكفيها.

وقال «د. نور الدين طراف»: الحقيقة أنه توجد صلة بين النقابات المهنية كلها ويجب أن تشترك جميعاً فى الاجتماعات والندوات.

ورد «جمال عبد الناصر» قائلاً: «إن هذا لا يمنع أن تمثل نقابة الصحفيين فى مثل هذه الاجتماعات والندوات».

وعاد «د. نور الدين طراف» ليثير مسألة غريبة فيقول: لقد أردت أن أقول للأخ «خالد» إن «حافظ محمود» قابلنى، وهو يشكو من أن الأخ «خالد» يهاجمه فى معركة الانتخابات وهذا ليس من مصلحتنا!

ورد «جمال عبد الناصر» قائلاً: «إن حافظ محمود له شلة»!

وقال «خالد محيى الدين»: إنه يردد هذه الشكوى حتى من قبل تشكيل الأمانة العامة، فهو تاريخياً يعتقد أننى أقف ضده مع أنه لم يحدث له شىء جديد منى.

وعلق «عبد الناصر» بقوله: «لقد كان واضحاً فى المؤتمر أنك ضده».

ورد «خالد محيى الدين» قائلاً: «لقد كان الجو السائد بالنسبة للجميع أنهم ضده».

وقال عبد الناصر معلقاً: «وأنت أطلقتهم عليه» (ضحك)!!

ورد خالد: «ولكننى لم أهاجمه».

ثم انتقلت اللجنة لمناقشة موضوعات أخرى كارتفاع أسعار السمك والسماد!

ثم من هم الشيوعيون(؟!).

فى البداية قال «جمال عبد الناصر»: «إن الموقف بالنسبة للشيوعيين واضح». فسياستنا بالنسبة للشيوعيين هى أن نوجد لهم عملاً ولا نتركم عاطلين، أما بالنسبة للعمل السياسى فإن الشخص الذى نثق فيه يمكن أن يدخل فى الاتحاد الاشتراكى، أما بالنسبة لأى عمل سياسى آخر أو أى تنظيم فإنه يعتبر عملاً عدائياً! وهناك بعض الشيوعيين أنشأوا دوراً للنشر ويمولونها عن طريق السفارات الشيوعية بأن يقوموا بطبع كتب أو ترجمتها للسفارات الشيوعية، وحتى الآن فإن هذا الكلام لا تأثير له بحيث يمكن أن نعمل له حساباً».

وتدخل د. إبراهيم سعد الدين فقال: إن مشكلة الشيوعيين فى اعتقادى تثير مشكلة هامة! فمن هم الشيوعيون؟! لأنه من مجموع الكلام الذى قيل الليلة فإننى

أحس أن هذه المسألة ليست واضحة لى تماماً فبالنسبة لعملية أسوان فإننى كنت مدعواً للاشتراك مع عدد آخر أذكر منهم «لطفى الخولى» و«محمد الخفيف» ولقد تم ترتيب الدعوة بناء على دعوة من السيد «طه زكى» وتم هذا الترتيب فى «الأهرام» فقد اتصل السيد طه زكى بالسيد لطفى الخولى وقال إنه يريد ن يجرى نشاطاً فى أسوان، ولقد أرسلت أسماء هؤلاء الناس إلى أمانة الدعوة وجميعهم أعضاء فى الأمانات الفرعية فى الاتحاد الاشتراكى.

فالحديث عن نشاط الشيوعيين باعتبار أن هناك شيوعيين فإن تلك الأسماء التى نتحدث عنها تجعلنا أو تثير فى أذهاننا تساؤلاً: من هم الشيوعيين فى الوقت الحالى؟

وجاء رد «عبد الناصر» كالتالى: «فى الحقيقة إننا نحتاج إلى معلومات واجتماعات مع الناس لنعرف هل خدعنا فى الكلام الذى قيل أم لم نخدع؟».

وإننى أعرف مثلاً «عبد العظيم أنيس» الذى لم يقبل، ولقد قال إنه ليس عضواً فى اللجنة المركزية وقد أقسم لى الأخ «خالد محيى الدين» أنه ليس عضواً فى تلك اللجنة، وعلى هذا الأساس عمل في جريدة «المساء» ثم ظهر بعد ذلك أنه عضو فى اللجنة المركزية ولقد خدع خالد محيى الدين!! والناس تقول إن خالد محيى الدين شيوعى وكذلك «عبد الرازق حسين» و«إبراهيم سعد الدين» و«كمال الحناوى» و«كمال الدين رفعت».

إن المقاييس تختلف بالنسبة للناس وإننى أوافق على ما قاله الدكتور «إبراهيم سعد الدين» فمثلاً إذا ذهبت إلى خبار اليوم فإنه نتيجة لوجود ناس أذناب لـ«مصطفى أمين» و«على أمين» يقولون: إلى متى سنحكم بالشيوعيين؟! إلى متى؟! وإلى متى؟!

فهل فعلاً يحكم الشيوعيون أخبار اليوم؟ ولكن بعض التصرفات من بعض الذين يعملون مع الأخ «خالد محيى الدين» الذين كانوا شيوعيين فى الماضى تجعل هناك حملة مركزة على الشيوعيين الغرض منها هو التخلص من هؤلاء وعودة «مصطفى أمين» و«على أمين» إلى أخبار اليوم!!

ونجد أيضاً فى البلد من يقول: إلى أين تذهبون؟ والعملية فى رأيى هى خوف على المناصب.

■■

لقد ظلت هذه المحاضر سرية ومحظورة من التداول طوال ٣٣ سنة، كيف ظهرت، وكيف وصلت إلى «د. عبد العظيم رمضان» ليعيد قراءاتها ويعلق عليها ثم ينشرها فى جزئين (الأول ٤٢٦ صفحة، والثانى ٦١٢ صفحة) تحت عنوان «الوثائق السرية لثورة يوليو»، وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

والأهم من ذلك كله: هل تم نشرها كاملة؟! هل تم حذف شىء ما؟! وهل لدى الدولة صور أصلية لهذه المحاضر الخطيرة؟!

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع

٢٠٠٢/١٥٦٦١

I.S.B.N. 977-01-8138-2





لقـــد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عـادة القـراءة، وحب المعرفـة، وأن المعرفـة وسيلتها الأساسية هى الكتـاب، وأن الحق في القـراءة يماثل تمامـا الحق فى التعليم والحق فى الصحـة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

الثمن ٣٠٠ قرش